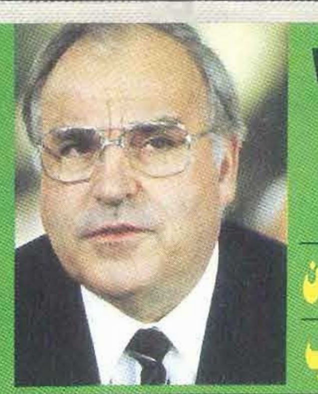




L'AVANT GARDE ARABE

N 232 Lundi 19 - Octobre 1987 - ISSN: 0759-965X
السنة الخامسة ـ العدد ٢٣٢ ـ الاثنين ١٩ تشرين الاول ١٩٨٧

تحول في موقف بون من مسؤولية بدء الحرب

الاعتداء على بغداد

لن تمر جريمة الخميني دون عقاب

الاعتداء على المسجد الاقصى

.. ولا جريمة الصهاينة

ما الثمن الذي يطلبه نظام دمشق لحضور القمة؟


من مدرسة بحر البقر..
إلى "بلاط الشهداء" !
كاريكاتير
بهجوري





L'AVANT GARDE ARABE

الطليعة العربية (Marque Deposee)

السنة الخامسة ـ العدد ٢٣٢ ـ الاثنين ١٩ تشرين الاول ١٩٨٧ N 232–19 Octobre 1987

تصدر عن دار الفارس العربي (ش.م.م) رأسمالها مليون فرنك فرنسي

العنوان: ٣١ شارع دوبون، ٩٢٢٠٠ نويي سور سين ـ فرنسا ـ

تلفون: ٤٠٠٤٧٤٧٥٠٤٠ تلكس: الفارس ٦١٣٣٤٧ ف. الصور: سيبا

عربية اسبوعية سياسية

L'AVANT GARDE ARABE. Edité par AL-FARES AL-ARABIE S.A.R.L.

au capital de 1.000.000 F.F. C. NANTERRE 83 B 325050201

Siège: 31 Rue du Pont 92200-Neuilly sur-Seine-France-

Tél: 4747.50.40 Télex: ALFARES 613347 F

Photos: Sipa

Commission paritaire des Journaux et Publication - N° - 67445

Imprimée en France par JL–SA 63, Av. Marceau – 75016 Paris – Tél : 47.23.61.15

Gérant : **NASIF AWAD**

الناشر ورئيس التحرير: ناصيف عواد

Directeur de la Publication et Rédacteur en chef:

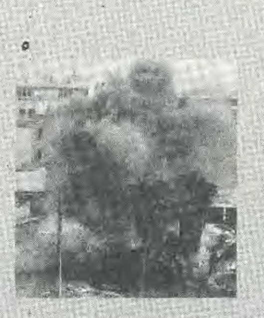
NASIF AWAD

مدير التحرير: نبيل ابو جعفر

Directeur de la rédaction: **NABIL ABOU JAAFAR**







العراق ٤٠٠ فلس / الكويت ٤٠٠ فلس / الاردن ٤٠٠ فلس / مصر ٧٥٠ مليم / لبنان ٤٠٠ ق.ل / سورية ٥٠٠ ق.س / المغرب ٤ دراهم / تونس ٤٠٠ مليم / الامارات ٧ دراهم / اليمن ٥ ريالات / الصومال ١٠ شلنات / قطر ٦ ريالات / البحرين ٤٠٠ فلس / السعودية ٦ ريالات / ليبيا ٤٠٠ مليم / عُمان ٥٠٠ بيسه / موريتانيا ١٠٠ اوقية / جيبوتي ٢٠٠ فرنك.

France 7 F / Allemagne 3 DM / Belgique 50 FB / Canada 2$C / Espagne 200 Ptas / G. Bretagne 75 P / Grèce 150 Drcs / Hollande 3,50 Fl / Italie 2000 L / U.S.A. 1,95 $ / Suisse 2,50 FS / Turquie 300 LT / Chypre 400 M / Brésil 400 C / Autriche 30 Sch / Danemark 15 Dkk / Norvege 12 CN.

من أسرة التحرير

في الزمن الرديء، لولا بعض علامات مضيئة تكشف عار الذين صنعوه، يطلع علينا هشام علي حافظ، بهجوم على القومية العربية والمؤمنين بها، يذكرنا بحملة الخميني والصهيونية على كل رابطة قومية، وعلى كل صبوة الى تحقيق حلم العرب في الوحدة التي لا تتعارض مع وحدة المسلمين، بل هي شرط أساسي لها. كما يذكرنا بإلحاح عقلية التخلف والرجعية على الفصل بين العروبة والاسلام، كأنهما متناقضان، وكأن الأمة العربية لم تكلف حمل رسالة الاسلام ورايته بقيادة النبي الكريم. وانها لم تفعل ذلك الا بعد ان توحّدت بفضل الاسلام.

أيجب ان نعيد الى ذهنه ان البعض ممن يزعمون انهم حملة راية الاسلام، يتآمرون مع الامبريالية الاميركية، ومع الصهيونية، على كل نزوع عربي، وكل قوة عربية؟ هل نذكره بأن هذا الموقف هو موقف الخميني والصهيونية؟

هل نذكره بأن هذا البعض مالأ الخمينية في عدوانها، وحافظ أسد في تواطئه مع ملالي طهران والصهيونية؟ وهل من الاسلام في شيء هذه الخيانة المكشوفة، وهذا العداء للعروبة، وهي من الرسالة في صميمها؟

لا نقول هذا لاقناع هشام علي حافظ، فقد اسمعت لو ناديت حياً ولكننا نقوله لاولئك الذين يمولونه ليتجرأ على العروبة، خدمة لاعدائها. وتبريراً للاحداث الجرامية التي حدثت في مكة المكرمة باسم الاسلام.

الاجماع العربي بين الضرورة والضرر

بعد هذا التصعيد الايراني لوتيرة العدوان، سواء بالاصرار على فتح جبهة حرب المدن، او بالاعداد لهجوم برّي جديد. هل ظل ثمة شك عند أحد من اعضاء مجلس الأمن الدولي، أو من الحكام العرب. في رفض نظام طهران مبدأ السلام، وفق القرار ٥٩٨ او غيره؟

يقيناً، ان جميع هؤلاء يعرفون نوايا حكام طهران العدوانية، ويعرفون ان كلمة السلام لا وجود لها في قاموس الخميني، ويعرفون ايضاً انهم جميعاً مسؤولون، بدرجة او بأخرى، عن اندلاع هذه الحرب واستمرارها طوال هذه السنوات. وانهم قادرون على ايقافها، إذا أرادوا ذلك.

ولقد ظن الكثيرون، عندما اصدر مجلس الامن بالاجماع قراره الداعي الى وقف الحرب في تموز المنصرم، ان المجتمع الدولي قرر اخيراً ان يتحرك في الاتجاه الصحيح، وتوقعوا أن يعمد مجلس الأمن الى تطبيق القرار الذي اتخذه، بالسهولة التي تمت فيها ولادة القرار. لكن ذلك لم يحدث حتى الآن. وتبين بعد ذلك ان موسم المراهنات لم ينته بعد أن امتد لسبع سنوات، بل ان سوق هذه المراهنات نشطت بعد صدور القرار ٥٩٨. وفي اعتقادنا ان سوق المراهنات الدولية لن تُغلق، ما دام هناك مجال لمراهن على هذا المُلا أو ذاك داخل ايران، وما دام الكيان الصهيوني وحلفاؤه معنيين بهذه الحرب التي ينهي المراهنات الدولية عليها، سقوط نظام الملالي، او تهديم طهران على رؤوسهم فقط.

كما ظن كثيرون، ان الحكام العرب ادركوا خطورة هذه الحرب، وحقيقة نوايا نظام الخميني ازاءهم، بعد الاعتداءات الايرانية المباشرة على الكويت بالصواريخ وبالاعمال الارهابية الاجرامية في الداخل، وكذلك بعد احداث مكة المكرمة. وبعد ان وصل الهوس الخميني المنظّم والمؤدلج الى عقر دارهم جميعاً. وتوقعوا، بعد اجتماع مجلس وزراء الخارجية العرب في تونس، ان يكون لهؤلاء الحكام موقف قومي يجبر حكام ايران على إعادة النظر في نهجهم العدواني ضد العراق والأمة العربية.

وإذا كان العالم قد احتاج الى سبع سنوات، ليدرك مخاطر هذه الحرب، فقد كان أحرى بالحكام العرب ان يدركوا مخاطرها قبل ذلك بكثير. ويقيناً انهم ادركوا هذه المخاطر. ولكنهم، ايضاً، دخلوا سوق المراهنات، دون ان يدركوا انهم يراهنون على مستقبلهم ومصير بلادهم وامتهم.

الآن، ادرك الكثيرون منهم خطورة المراهنات التي انجرّوا اليها طوعاً او بالخديعة، وها هم يتهيأون لعقد مؤتمر قمة عربية، بعد طول تلكؤ وتهرّب، لمناقشة هذه المخاطر. فهل بلغوا درجة اليقين، في ضرورة الاقدام على عمل جدّي لوقف هذه الحرب العدوانية عليهم، او في ضرورة إثبات وجودهم، على الأقل، كقوة اقليمية لها حسابها في المنطقة والعالم؟

نعرف ضرورة الاجماع العربي الذي تعذّروا به طوال السنوات السابقة وندرك اهميته، سواء في اجبار ايران على اعادة النظر في موقفها، او في اجبار العالم على التعامل مع موضوع الحرب بطريقة اكثر جدية ومسؤولية. ولكننا نعرف، انهم جميعاً يعرفون سبب تصدّع هذا الاجماع، وانهم شجّعوه بوسائل مختلفة، وأن اسباب هذا التشجيع كانت، في فترة من الفترات، تنبع من ساحة المراهنات. فهل تغيرت الحالة الآن؟

الجواب على ذلك، نعم ولا في آن معاً. الجواب بنعم، تؤكده بعض المواقف التي ظهرت في اجتماع وزراء الخارجية العرب الاخير في تونس، حين بدا وزير النظام السوري معزولاً ومُداناً امام العديد من وزراء الخارجية العرب. وتؤكده، ايضاً، النشاطات والفعاليات التي قامت بها اللجنة العربية السباعية التي انبثقت من قمة الرباط لمتابعة موضوع الحرب. وتؤكد اكثر من هذا وذاك السهولة التي تقرر فيها عقد القمة وتحديد زمانها ومكانها.

اما الجواب بلا، فيدل عليه هذا الحرص المبالغ فيه على مسايرة النظام السوري واسترضائه، رغم الدور الخياني الواضح الذي يُصرّ على القيام به، بعد أن لم يبق هنالك ما يستره.

ربما كان لهذه المسايرة ما يبررها، عندما راهن البعض على قدرة النظام السوري او رغبته في اقناع حكام طهران بعدم التعرض لاقطار الخليج العربي. وربما كان لها ما يبررها قبل انكشاف العلاقة الوثيقة التي تربط حكام طهران بحكام تل أبيب، وانفضاح الصفقات التي تتم بينهما على اكثر من صعيد. أما الآن فما الذي يُبرّرها؟

نعم، بسبب هذه المسايرة وافق حافظ أسد على حضور قمة عمان. وربما رأى بعض الحكام العرب في ذلك جدوى هذه المسايرة. ولكن هل سألوا انفسهم عن الدوافع الحقيقية التي قرر بسببها حافظ أسد المشاركة في القمة؟ وهل يتصورون ان سياسة المسايرة ستجعل النظام السوري يغيّر نهجه الشاذ والمنحرف؟ لقد جاءهم الجواب من خلال زيارة نائب رئيس الوزراء الايراني الذي وصل دمشق ساعة غادرها الشاذلي القليبي، أمين عام الجامعة العربية، الذي كان يبحث فيها مع حافظ أسد ترتيبات القمة.

إن حضور حافظ أسد القمة العربية ليس كسباً الا بمقدار ما يواجهه به الحكام العرب من صلابة ووضوح. فإما ان يرتدع عن القيام بالادوار الخبيثة والشاذة التي يقوم بها، او يُعزل عن الجسم العربي لئلا ينقل الامراض التي فيه الى هذا الجسم المثقل بالامراض فيجهز عليه.

نعرف اننا نطالب الحكام بما لا يستطيعون فعله. وبالتالي فاننا نعرف ان هذه القمة لن تكون سوى محطة في الطريق، ربما تكشف للجماهير خطورة تخليها عن دورها، كرها او طوعاً. وتكون شهادة حيّة عن المرحلة، التي تمر بها الأمة.

ويبقى صمود العراقيين والفلسطينيين، هو الأمل الذي يبشّر بمستقبل جديد.

رئيس التحرير

صواريخ طهران على بغداد... و«بلاط الشهداء» مثال لا ينسى

لن تمر الجريمة دون عقاب

الجميع يطالب بالثأر العادل... والمراقبون يجمعون على ان سعي ايران الى حرب المدن... مأزق من مآزقها العديدة

بغداد: جاسم محمد حسن

صباح يوم الثلاثاء الماضي توجه اطفال مدرسة «بلاط الشهداء» الابتدائية في احد احياء بغداد الى مدرستهم وهم يحملون حقائبهم وكراريسهم الملونة والسعادة بادية على وجوههم، مع بداية العام الدراسي الجديد. وقبل دقائق قليلة من بدء الحصة الاولى، وبينما كانوا في ساحة المدرسة يؤدون التحية لعلم العراق، حل الموت والخراب فجأة. واغتيلت الطفولة وبراءتها، بفعل صاروخ ارض - ارض ايراني كان يحمل في احشائه كل الحقد والجبن والغدر، سقط على المدرسة والبيوت المحيطة بها.

اجساد غضة تمزقت اشلاء هنا وهناك، وضحكات بريئة مجلجلة طمرت مع الطفولة تحت الانقاض. وخيم شيطان القتل، شيطان خميني على المكان، فلا تكاد تسمع الا نحيب النساء، ولا ترى الا دموع الرجال اغرورقت بها العيون، بينما كانت البلدوزرات والجرافات مع رجال الانقاذ يبحثون عن بقايا شرائط ملونة كانت تزين جدائل اولئك الاطفال، وينتشلون من بين الاتربة واكوام الحجر والاسمنت حقائب ملونة في داخلها كتب قراءة نقشت على اغلفتها الآية القرآنية الكريمة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق».

٢٩ طفلاً وامرأتان ورجل راحوا ضحية هذه الجريمة الايرانية الجديدة، وجرح ٢١٨ بينهم ١٩٦ طفلاً وتسع نساء، غص بهم احد مستشفيات بغداد القريبة، ونقل تلفزيون بغداد الى العالم، مشاهد حية عن هذه المأساة التي صنعتها ايران خميني ضمن فصول مأساة الحرب الكبيرة.



سيكون الرد العراقي حاسما

كنا شهودا على ما جرى

«الطليعة العربية» كانت هناك وبعد قليل من حادث الجريمة، مع ممثلي وسائل الاعلام العربية والاجنبية، وكذلك الدبلوماسيين المعتمدين في بغداد، الذين حضروا كشهود على هذه المأساة المروعة التي لا يمكن وصفها بالقلم والكلمات، فشبح الموت الخميني بسط عباءته السوداء على المكان.

بيوت لم يبق فيها اثر، واخرى تهدمت على ساكنيها. وحيثما تطلعت الفيت حقائب الاطفال الضحايا متناثرة هنا وهناك. ويغادر الحزن الجميع فلا يبقى غير الغضب والرغبة في الثار التي سرعان ما انتشرت كما تنتشر النار في الهشيم في كل ارجاء العراق. حال اذاعة البيان التفصيلي عن هذه الجريمة المأساة، فقد خرجت الجماهير الى الشوارع مستنكرة تحمل روح الغضب وتطالب بحماية الحياة المقدسة التي وهبها الله، وتبديد روح الموت والقتل التي تنفخها ايران خميني في كل حدب وصوب.

ولكن مع طغيان المشاعر تبقى للعقل حكمته وحضوره. فإذ لم يبق في قوس الصبر العراقي منزع تجاه هذه الجرائم الخمينية المتكررة والمتواصلة، فان ساعة القصاص والثار ستاتي في وقتها، بعد ساعة او يوم او ايام.

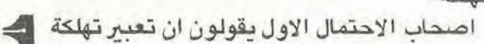
لقد ارادتها ايران حرب مدن مفتوحة، فليكن لها ما تريد. هكذا قال العراق. وهكذا تدخل الحرب مع ايران فصلاً جديداً ليس من الصعب حساب نتائجه وتأثيره.

ولكن قبل الحديث عن هذه النتائج والتأثيرات، يبقى السؤال الذي ما زال يحتاج الى جواب: لماذا تسعى ايران الى مثل هذه الحرب؟ للاجابة على هذا السؤال يكاد كل المراقبين والمعنيين يجمعون على طرح احتمالين او رأيين قد يختلفان في السبب لا في النتيجة.

احتمالات حرب المدن

الاحتمال الاول ان ايران تسعى الى اشعال فتيل حرب المدن المدمرة رغم ان نتائجها وتأثيراتها ستكون ناراً محرقة عليها فالتفوق العراقي في حرب المدن، اي في احداث الدمار داخل ايران، لا يقارن بأي فعل ايراني مهما كان حجمه. فالعراق يملك في ترسانته صواريخ ذات قدرة تدميرية هائلة، ومن مختلف الامداء وبامكانها الوصول الى اية بقعة في ايران، ومن ضمنها العاصمة طهران. اضف الى هذا تفوق العراق الجوي الساحق، في مقابل عجز ايراني شامل في هذا المجال. والعمليات العراقية في العمق الايراني ضد المنشآت النفطية والحيوية الاقتصادية شاهد على هذه الحقيقة. وبالتالي فان استخدام العراق تفوقه هذا في حرب المدن، يعني ان مدن ايران كلها ستكون في متناول القدرة التدميرية العراقية. اذن، لماذا تسعى ايران خميني الى هذه التهلكة؟

اصحاب الاحتمال الاول يقولون ان تعبير تهلكة



قد لا يكون دقيقاً بالنسبة لنوايا خميني والملالي في ايران واهدافهم، فحساب التهلكة من عدمها ليس في وارد حساباتهم او في اذهانهم اطلاقاً، ذلك ان آخر ما يفكرون فيه هو شعوب ايران، بل انهم يسعون الى حرب المدن رغم كل الدمار الذي سيلحق بايران، لاستخدامها كتكتيك لخلط الاوراق في الداخل وفي الخارج. فعلى صعيد الداخل يعرف حكام ايران ان استمرار وتيرة الاوضاع على هذا المنوال سوف يؤدي في النهاية الى التعجيل بذهاب نظامهم لان حالة التذمر من الحرب وصلت ذروتها، ومقاومة النظام تسير في خط بياني متصاعد وتهدد هيكليته، ومع العجز عن شن هجوم جديد ضد العراق يلهي الداخل ويحول انظاره، فان سياسة احداث ما يغير الوتيرة او سياسة خلق الازمات التي يتبناها نظام خميني، هي الحاضرة في الذهن الايراني. ومن هذا المنطلق يسعى الى حرب المدن كورقة رابحة، حسبما يعتقد، على صعيد الداخل، وربما كمقدمة لهجوم جديد للوصول الى قمة الازمة وتصديرها. وينسحب هذا كله الى الخارج ايضاً، فاندلاع حرب المدن تبدو للنظام الايراني وكأنها الحالة الوحيدة المتوفرة لخلط الاوراق تجاه الاجماع الدولي والعالمي لايقاف الحرب بعد صدور القرار ٥٩٨ من مجلس الامن، وما استتبع ذلك من عزلة ايران وحصارها. فمثل هذه الحرب بنتائجها المدمرة لا بد ان تحظى باهتمام عالمي وتسرق الاضواء، خاصة اذا اقترنت مع هجوم ايراني جديد. وبذلك، يتراجع الحديث عن تنفيذ قرار مجلس الامن ٥٩٨ وفرض العقوبات على ايران.

هذه هي طروحات اصحاب الاحتمال الاول. اما اصحاب الاحتمال الثاني فرغم انهم يتفقون تماماً مع الطروحات السابقة، خاصة بصدد وطأة حرب المدن على ايران. ويسلمون بتفوق العراق الساحق، وقدرته على تدمير مدن ايرانية بكاملها بصواريخه وسلاحه الجوي، فانهم يضيفون الى ذلك ما هو اهم، وهو ان ايران خميني، ورغم معرفتها المسبقة بخسائر هذه الحرب المدمرة لا تجد امامها اي خيار آخر للرد، او مواجهة الضربات العراقية ضد المنشآت النفطية وناقلات البترول والمراكز الحيوية الاخرى. فهذه الضربات التي تجسد حقيقة التفوق العراقي، تكشف العجز الايراني من جهة، وتفضح عنجهية نظام طهران الفارغة، واصراره على رفض قرار مجلس الامن الداعي الى تحقيق السلام. وهذا ما لا يحتمله نظام خميني مطلقاً، خاصة وانه يعتمد في بقائه، في الاساس، على منطق الارهاب، والعربدة السياسية، وادعاء القوة المفرطة. وهذا ما عملت الغارات الجوية العراقية، ومسيرة الحرب الدامية منذ ثماني سنوات على وأده وبالتالي تجريد نظام خميني من اية مصداقية امام شعوب ايران، ومن اية قوة يهدد بها اقطار منطقة الخليج العربي.

هذا من جهة، ومن جهة اخرى ادت الغارات العراقية الى احداث عجز كبير آخر في الموارد الاقتصادية الايرانية، وكادت تحرمه من العوائد البترولية الكافية لادامة الحياة الطبيعية في ايران. فحتى هذه الساعة استطاع العراق، وفق مصادر سوق النفط العالمية، ان يخفض صادرات النفط الايراني الى اكثر من الثلث. وقد اشارت النشرة النفطية المتخصصة «ميدل إيست ايكونيمك سيرفي» التي تصدر في نيقوسيا الى ان معدلات الانخفاض ترجع الى قبل الاغارة على جزيرة لاراك مرفا تصدير النفط المهم عند عنق الخليج. وهذا يعني ان هذه المعدلات ستنخفض الى حوالي النصف بعد ان كادت تتلاشى تسهيلات تصدير النفط الايراني من هذه الجزيرة التي احجم الكثير من مالكي الناقلات عن التوجه اليها، او الى الجزر والمرافىء الايرانية المتناثرة على طول الخليج العربي، ومنها جزيرة سري التي نقلت وكالة رويتر عن بحارة وشهود عيان ان النيران لا تزال مشتعلة فيها حتى هذه الساعة، نتيجة تعرضها لغارات جوية عراقية. اما جزيرة خرج، وهي مصب التحميل الرئيسي للنفط الايراني، فان المصادر الملاحية في منطقة الخليج العربي اكدت ان ستة من ارصفة الشحن العشرة فيها اصبحت عاطلة عن العمل، ولا يمكن استخدامها فيما الاربعة الباقية معرضة للتدمير في اية عملية عراقية جديدة. مما يطرح جدوى استمرار ايران اصلاح هذه الارصفة ما دامت العمليات الجوية العراقية متواصلة ومستمرة.

اليد العراقية الطويلة

الى جانب كل هذا استطاع العراق، وفق تقرير نشرة ميدل ايست ايكونيمك سيرفي، ان يدمر خلال الفترة من ٢٩ آب / اغسطس الماضي حتى اليوم ٢٢ ناقلة نفط من اصل ٢٩ ناقلة تعمل لحساب ايران ومن هذه الناقلات التي ضربت اكبر ناقلة نفط في العالم وهي الناقلة السويسرية العملاقة سيوايز جانيت، التي تبلغ حمولتها ٥٦٤٧٤٩ طناً. ومن هنا فإن ايران لا تمتلك الآن العدد الكافي من الناقلات التي تمكنها من الحفاظ على الحد الادنى من تصدير النفط لدعم الاقتصاد الايراني المنهار.

الاحباط الايراني تجاه هذا الواقع وفقدان لعبة الارهاب والقرصنة في الخليج العربي ضد الناقلات والسفن المحايدة الكثير من اثارتها وبريقها وتأثيرها، وصنعا حرب المدن كخيار وحيد امام طهران. وهذا ما يفسر اصرارها على اطلاق صواريخها على بغداد وقذائف مدفعيتها على مدينة البصرة والقرى العراقية الحدودية.

ذاك هو تفسير دوافع ايران لاشعال حرب مدن مدمرة توقف العراق عنها طوعاً ومن جانب واحد منذ حوالي ثمانية اشهر لاسباب انسانية واستجابة لطلب من المعارضة الايرانية.

ولكن، الى متى سيستمر العراق في مراعاة الجوانب الانسانية امام تصرفات نظام خميني غير الانسانية؟ وهل ستتحمل ايران وطأة الفعل العراقي المدمر عندما يأتي وهل تضمن بذلك انشغال العراق عن مهاجمة الاهداف الحيوية والمنشآت النفطية ومنع تصدير النفط الايراني؟

ان حكام ايران يعرفون قبل غيرهم ان دماء العراقيين غالية، وان قوة العراق ليست لها حدود، وذارعه الجوية طويلة ومتعددة القدرة، وحين تحين ساعة الثأر لدماء اطفال مدرسة بلاط الشهداء، وغيرهم من الشهداء، سيرى ملالي طهران، ويرى معهم العالم، كيف ينقلب السحر على الساحر.



الانتقام آتٍ لا محالة



سياتي الرد سريعا

قصف المدرسة الابتدائية في بغداد

الجريمة... والعقاب

شهداء بغداد البند الاول على جدول قمة عمان، ولا عذر لمن يتخاذل بعد اليوم

حرب المواقع بين موسكو وواشنطن في الخليج العربي أغرت طهران بـ «القرصنة الدموية»، وخيانة بعض العرب شجعتها على مواصلة العدوان

انها الجريمة الايرانية كاملة المواصفات: لقد استهدفوا الطفولة لانها تفضح ظلاميتهم. واستهدفوا العلم لانه النقيض لزمن الجهل الذي يبشرون به. وكم هم متماثلون مع الصهاينة في الحقد والخديعة والعطش الى الدم البريء. والصغار ـ الكبار في بغداد الشماء الذين دفعوا ضريبة الصمود وهم يبتسمون لصباح دجلة، كم ذكروني باطفال اشقاء لهم في لبنان دفعوا بدورهم ضريبة الدم الطاهر لانهم اصروا على ان يبقوا سنابل قمح في مواجهة برابرة السياسة وحفاري القبور. لكن الدم في العراق له من يثأر له، خلافاً للدم المستباح في لبنان. ولا بد للعراقيين من ان يمتشقوا السيف بعد ان اعطوا ما يلزم من فرص للنظام الايراني لكي ينتظم في معركة السلام.

وحفزوا ظروفاً دولية مؤاتية للانعطاف به نحو ورشة البناء والتنمية. ولانهم روّاد تعايش حضاري ضبطوا ردود فعلهم امام التصعيد الايراني الآثم ضد المدنيين في البصرة وشريط القرى والبلدات الحدودية. وركز طيرانهم على المرافق النفطية والصناعية من دون ان يتعرضوا للمدنيين الايرانيين المكشوفين امامهم، دون اية حماية. لكن النظام الايراني الذي ذهب بعيداً في حياكة القتل وعجز عن المساس بأي مرفق حيوي عراقي، كما انه عجز عن المواجهة على الجبهات الطويلة، صب حقده على المدنيين. وهو في ذلك يؤكد على معادلتين اساسيتين. الاولى، وهي ان الرهان عليه لصياغة السلام حول طاولة مستديرة عملية عبثية. فهو مفطور، بالمعنى البيولوجي للكلمة، على الموت والجثث الممزقة. واذا تعذر عليه ان تكون هذه الجثث عربية، فيعرف كيف يجدها في الداخل الايراني، وبين الحلفاء الالداء او الخصوم الالداء. ومكبرات الصوت جاهزة للترويج للضحايا الجديدة. والمعادلة الثانية، تتمثل في ان «حرب المدن» التي يشعلها نظام خميني، وفي الشكل الذي عايناه في البصرة او في بغداد من خلال صواريخ سكود، السوفياتية المنشأ، السورية المصدر، والصهيونية الاستعمال، هي السقف الذي يمكن ان يلامسه في خطته التصعيدية. فالايرانيون باتوا اسرى العجز عن شن هجمات كبيرة. وباتت قيادتهم العسكرية عاجزة ايضاً عن التعبئة واستقطاب وقود جديد للمحرقة. لذلك لا يستطيعون التعبير عن عدوانيتهم الا بهذا الشكل البدائي والرخيص: الحرب على المدنيين، اطفالاً ونساء وعجزة. لكن هذا الاسلوب سكين ذو حدين. فهو وان حصد ضحايا، كما هي الحال مع المدرسة الابتدائية في بغداد، يرتد عليهم وبالاً وكوارث واعاصير من حمم. ولا تغالي القيادة العسكرية العراقية لحظة تطلق وعيدها، مهددة بمسح مدن باكملها عن الخريطة. وعندما تتكلم هذه القيادة، فانها تعني ما تقول، هي تجيد تلقين الدروس خصوصاً لاولئك الذين حولوا ايران الى قبر كبير. وبدا واضحاً ان بغداد، وبعد معمعة القرار الدولي ٥٩٨، لم تنخدع بلعبة الوجه والقناع التي مارستها واشنطن وموسكو تجاه ايران. لكنها تمسكت بالايجابيات التي تبلورت في ملجس الامن. وراهنت على تثمرها في عملية سلام شاملة تُزاوج بين الترهيب والترغيب، لدفع نظام خميني، المكبل داخل الافخاخ التي زرعها، نحو الحد الادنى من المعقول السياسي. لكن عدوانية هذا النظام شحذت اظلافها منذ اللحظة الاولى التي انعطف فيها الاجماع الدولي نحو مشروع السلام. وناورت مع واشنطن. وقدمت تنازلات نفطية واستراتيجية الى موسكو. ولوحت بالارهاب مع باريس. وعرضت الصفقات الدسمة مع بكين. وعندما التقطت انفاسها، اندفعت في تلغيم مقتربات بعض الموانيء العربية، وضاعفت من الحرب اللفظية على واشنطن لتسويق وهم الخلاف الجذري معها. وانقضت على المدنيين العراقيين، في «حرب مدن» تسعى اليها، لانها ترى في الكوارث التي تنجم عنها مقصلة تطبق حكم الاعدام بالقرار الدولي ٥٩٨ وتطيحه نهائياً.

ومع ذلك التزمت بغداد عدم الانجرار الى «حرب مدن»، على الرغم من سهولة حصاد البشر والحجر فيها، وركزت في المقابل على الحرب الاقتصادية، التي اجمع عدد من خبراء الاستراتيجيا والمعلقين السياسيين على انها سجلت نقاطاً اساسية فيها، ان على مستوى تطويع المسافات (جزر لاراك، وسري، وفارسي) وإن على صعيد الدقة في المطاردة، حتى ان ناقلات عديدة اصيبت لحظة ابحارها من الموانيء النفطية الايرانية، او خلال تحميلها بالقرب من الارصفة العائمة. ولم توفر هذه الغارات العمق الايراني. والمراسلون الصحافيون الاجانب في طهران تكلموا على «شلل زاحف في المراكز الصناعية حتى تلك التي تتاخم اقصى الشمال واقصى الجنوب، بعد ان سقط معطف المسافة». ومضت بغداد في سياسة ضبط النفس، محاذرة الاستدراج الى بؤرة الحرب ضد المدنيين، من جهة، وثمرت استراتيجية قصم الظهر الاقتصادي الايراني من جهة ثانية، حتى اللحظة التي سقط فيها صاروخ الجريمة على مدرسة الاطفال. وكان سقوطه بمثابة المنعطف الذي يُفضي الى مرحلة جديدة من الرد العراقي النوعي والشامل على العدوان. بالطبع انه ليس اول صاروخ يسقط على العاصمة العراقية. لكنه حمل من بصمات الحقد اكثر من الصواريخ السابقة. وهو الرسالة الملغومة الى الكبار في مجلس الامن، والى الذين دعوا الى قمة عمان لمناقشة الحرب العراقية ـ الايرانية، والى «الاهليّين» الذين اجتمعوا في الخرطوم وهم من كل الاقطار العربية وحثوا طهران على كسب معركة السلام. وعنوان

الرسالة: لا سلام الاّ بعد حرق بابل مرة ثانية وسبي العرب من جديد.

بابل لن تحرق ثانية

لكن بابل لن تُحرق مرة ثانية. وزمن السبي العربي ولىّ. ويتحمل النظام الايراني مسؤولية الاصرار على التصعيد. كما ان دول مجلس الامن تتحمل بدورها قسطاً من المسؤولية بعد ان تراجعت عن مبدأ العقوبات على طهران. واظهرت عن هشاشة مبدئية في التزام ضبط بؤر النار التي تهدد الامن الاقليمي والامن الدولي. ولم يكن الخمينيون قادرين على هذا الفحش في العدوان لو لم تسمح لهم تناقضات المصالح الدولية والحسابات الضيقة بذلك. فتسللوا من تشققاتها، وامعنوا في تسويق الجحيم. ولا شك في ان التسابق الاميركي ـ السوفياتي على الحصص النفطية والاستراتيجية في الخليج العربي شكل «رفعة ابط» دولية لايران اي تجرأت حتى على السخرية من الحظر الفولكلوري الذي تريد واشنطن فرضه عليها. فخرجت تستعرض صواريخ «ستينغر» الاميركية الصنع، والتي يخضع انتشارها لقيود صارمة، ولا تسلم عادة الا للحلفاء الموثوقين. ولن تغير هذه الصواريخ في موازين القوى ولن تؤثر في التفوق العراقي. لكن نظام طهران اراد من خلال تهديد الطوافات الاميركية بها، بعد ان فقد ثلاثة زوارق في معارك خاطفة معها، الهزء من الحظر على السلاح، بالمفهوم الاميركي. والثابت ان واشنطن سلمت احد فصائل المقاومة الافغانية شحنة من «ستينغر» قدرت بـ ٢٠٠ صاروخ. وبعد اسبوعين على التسليم، ترامت معلومات الى واشنطن تقول ان هذه الصواريخ باعها الفصيل الافغاني الى طرف ثالث. وفتح الاميركيون تحقيقاً، وتاكدوا من ان الشحنة جرى بيعها في الواقع الى الحرس الثوري الايراني. وقد لا يكون الكيان الصهيوني بعيداً. وهو الذي يزود نظام طهران، في شكل دوري، بما يلزمه من ادوات الموت. ويرفق ذلك بالمعلومات والتقنيات الملائمة. لكن اللافت في العملية هو ان الاميركيين، كما السوفيات، لم يعبروا عن الجدية اللازمة، ولا عن التصميم اللازم لاحتواء بقعة العدوانية الخمينية. فخاضوا سباق المواقع على حساب الحقوق العربية في الامن والسلام. وبادروا الى مباراة لوي ذراع متبادل... وفي غضون ذلك، نسوا ان بيت القصيد هي الحرب الايرانية على العراق، وليس حروبهم وقضاياهم وفاقهم ومسائل التسلح والاستئثار بالخرائط والثروات والمواقع الاستراتيجية. وبعد لقاء شولتز ـ شيفارد نادزة في الامم المتحدة، وهو اللقاء الذي تمحور حول السلام في الخليج ردد اندريه فونتين في «لوموند» ما قاله ريجيس دوبريه، قبل ان ينتهي في الاليزيه، مستشاراً للرئيس ميتران «لا تبحثوا كثيراً عن العمالقة. انهم موجودون دائماً عند بوابة الجحيم».

لم يقل بالطبع الجحيم الايراني. بل اوحى الى ذلك من خلال سياق مطالعته، لينتهي الى استنتاج مفاده ان العراق هو منطقة الاستقطاب الايجابي، فيما تشكل ايران، المقفلة في جميع الاتجاهات منطقة الاستقطاب السلبي... والمفارقة في ان الدول الكبرى اتهمت ايران بانها المسؤولة عن تواصل الحرب. ثم لم تتردد في غض الطرف عن تزويدها بما يلزم من صواريخ لتحويل السلام الى جثة هامدة. ويتهم يوجين روستو، احد كبار الدبلوماسيين الاميركيين موسكو بانها خرقت اتفاقاً دولياً حول فرض التسوية في الخليج، فيما وكالة «تاس» تردّ التهمة بتهمة مضادة وتقول ان واشنطن تنكرت لتعهدات قطعتها بالشراكة الثنائية في رعاية هذه التسوية. وبادرت الى التواجد العسكري في منطقة حيوية في الاستراتيجيات الدولية... وامام هذا السجال الخادع، هل نردد ما قاله ذات يوم الرئيس الصومالي، محمد سياد بري لوزير الخارجية الاميركية السابق، بعد حرب اوغادين: «ان الفيلة الدولية تتصارع. لكن العشب الصومالي هو الذي يموت...؟» ذلك ان تقاذف الكرة لم يردع نظام طهران، بل اغراه في المقابل، بالتصعيد الدموي.

ويشير هنا يوجين روستو ذاته الى ان موسكو تراهن على الظروف الصدامية بين طهران وواشنطن. وهي تعتقد ان الصدامات الصغيرة التي تؤدي الى الصدام الكبير هي كفيلة وحدها بمد رقعة ظلالها فوق الضفتين العربية والايرانية. لكن روستو يستدرك في «لوس انجلوس تايمز»: «لن نقدم هذه الهدية الذهبية الى السوفيات... ولن نكرر «الغلطة اللبنانية». فالجنود الاميركيون لن ينزلوا الى الساحل الايراني، ولا الى العمق الايراني، حيث قد يصبحون هدفاً سهلاً للبنادق السوفياتية «السرية». بل ان العمل العسكري سيقتصر على ضربات موجعة تشلّ النظام القائم في ايران عسكرياً وتؤدي الى اطاحته سياسياً...».

مفوض التنمية في السوق الاوروبية المشتركة، كلود شيسون، يقول ان «الاختبار اللبناني يكاد لا يُذكر امام الاختبار الخليجي. وعلى الرغم من ان الدول الاطلسية تبدي استعداداً اكبر للتعاون مع الولايات المتحدة في ردع ايران في الماء (الهاجس النفطي) خصوصاً في المنطقة المتاخمة لمضيق هرمز. ويضع الاطلسيون في حساباتهم امكانية الاختراق السوفياتي في المنطقة، واحتمال تسجيله نقاطاً، لذلك اندفعوا وراء الاميركيين للامساك بالعقد المائية ـ الاستراتيجية في الخليج. اي في المنطقة التي وصفها ليونيد بريجنيف، ومن بعده يوري اندروبوف وقسطنطين تشيرننكو بانها المكان الذي سوف يتحدد فيه شكل الوفاق حتى مشارف العام ٢٠٠٠. واذا كان كلود جوليان، مؤلف كتاب «الامبراطورية الاميركية»، قد وقف موقفاً حذراً من المواكبة الاوروبية للتواجد العسكري الاميركي في الخليج، يتحدث عن «الفخ السوفياتي»، فقد لاحظ ايضا ان السوفيات الذين لا يملكون في المنطقة اكثر من الورقة الجيو ـ استراتيجية، رفعوا شعار: «ليحترق الخليج ويحترق معه الاميركيون». وفي الواقع تابعت موسكو تراقص عقارب الصدامات المحدودة بين الاميركيين والايرانيين. وهي تتوقع الاسوأ. واظهرت من خلال انفتاحها على طهران انها على استعداد لتوظيف محطة الوقيعة بين واشنطن ونظام الملالي، في تفاصيلها وتعقيداتها من اجل تقاسم الادوار معها. لكن الاميركيون الذين يمارسون مع طهران الوصل السّري والفصل الظاهري تحوطوا من الخطة السوفياتية القائمة على سياسة التقدم خطوة ثم الانتظار. وصمموا، تبعاً لما قاله وزير الدفاع كاسبار واينبرغر في المنامة، على منع الروس من الاصطياد في المياه العكرة، وتسجيل نقاط على مشارف مرحلة الوفاق الدولي الجديدة. واذا كان الساسة الاميركيون قد تراجعوا الى الخطوط الخلفية بالنسبة الى الوجود العسكري في الخليج العربي، فان العسكريين، في المقابل، وقفوا في المواجهة، ومعتبرين ان القضية لم تعد في الاطار الدبلوماسي. بل تعدته الى الاطار الميداني البحت. وفي هذا الخط جرى تسريب الخطط والبدائل التي وضعها البنتاغون للرد على التحرش الايراني. وهي تركز على حماية التواجد العسكري الاميركي. ولا تلحظ ردع ايران الا في حال هاجمت السفن الحربية الاميركية او الطائرات الاميركية او منشآت ومواقع في بعض دول الخليج العربي. وبين الاهداف الايرانية خمس جزر، تقول واشنطن انها نقاط تمركز للزوارق الحربية السريعة التي يستعملها حرس خميني للارهاب. وهي فارسي وسري وساسان ولافان وابو موسى. وترصدها الاقمار الصناعية الاميركية في الليل والنهار. ولها عملاؤها داخل هذه القواعد العائمة الذين يضعونها في صورة التطورات ساعة بساعة.

لكن الاميركيين ينطبق عليهم مثل القروي في المطحنة. فقد سمع ضوضاء وجعجعة. لكنه لم ير طحيناً. وهم يعتقدون ان استعراض العضلات بديل من سياسة غرز الابر في جسد التنين. وهذه الزئبقية التي تكلم عليها وزير خارجية فرنسا السابق، ميشال جوبير امام «الطليعة العربية» (العدد ٢٣٠) نسف منهجي للسلام وخدمه مجانية لمطحنة الموت الايرانية. واللافت ان النظام الايراني «هضم» جيداً الضربات المتتالية التي انزلتها بزوارقه الحوامات الاميركية. ولو كانت ثمة عداوة حقيقية بين طهران وواشنطن لكانت هذه الصدمات كافية لاشعال مواجهة شاملة بين الاساطيل الاميركية في الخليج العربي ونظام قُم لكنها في سياق التفاهم الضمني الاميركي ـ الايراني لم تكن سوى طفرة حكاك. وقد اسهمت في اعطاء الخمينية حقنة من العدائية التي سارعت الى ترجمتها ميدانياً، في البصرة وبغداد.

لكن الالغاز ولعبة الكلمات المتقاطعة فوق المربعات الخليجية لم تعد كذلك. والايرانيون، على غرار كل المتواطئين معهم يحفرون قبورهم بايديهم. وهذا النوع من الجرائم يستلزم نوعاً معيناً من العقاب. ولن يكون في استطاعتهم الهروب من استحقاقات آتية. فالتواطؤ الدولي اللامرئي مع طهران، وهو عادة يسبق عمليات الاقتسام الكبرى، اصبح مكشوفاً وعلى هامشه بدأ مراقبون فرنسيون يتكلمون على ايران الشرقية وايران الغربية.

والمناقصة مفتوحة في طهران. وهي مناقصة المأزق الكبير. خصوصاً ان الدوران اللولبي داخل الخطا ادى الى حالات التشنج الرهيب، بحيث ان «حرب الحطام» اصبحت ثقب الابرة الوحيد الذي يجب ان يعبر منه خمسون مليون ايراني. ترضية للملالي. كما للزبائن الاميركيين والسوفيات الذين لبوا نداء الاستغاثة لحظة كان النظام يتآكل ويتهاوى لكن الحرب الايرانية، تحولت. وبكل المقاييس والمعايير الى ضجيج غوغائي. ولم تعد حرباً بل عمليات قراصنة مكلفة جداً للطرف الذي يُبادر اليها. لان ضربة الثأر تكون عادة اكثر هولاً وفداحة من مبادرة التحرش. ولهذا الثأر، في القاموس العراقي زمان ومكان محددان. لكن بغداد التي تراهن على السلام، وتخوض معركة تحاذر الانزلاق الى المنطق الايراني. الذي درج على تعويض هزائمه العسكرية بارهاب المدنيين العزل. وهو منطق صهيوني. في الاساس، بدا في فلسطين. وتواصل في لبنان. ويستنير به ملالي طهران في حرب العار. ويجمع المراقبون «الحياديون» على ان ثمة ضرورة حيوية لضربة كبيرة على الرأس الايراني انقاذاً للسلام. ودفعا للمؤامرة المتعددة الجنسيات عليه. فهذا النظام ذهب بعيداً في اطاحة القوانين والاعراف. وهو يتصرف كالعربة التي تعطلت كوابحها. لذلك تبدو الكرة الآن في الملعب العربي. اذ آن اوان الخروج من الصمت والتواطؤ والدعم الكلامي الى الحزم العملاني. لذلك يجب ان يكون شهداء المدرسة الابتدائية الثلاثون في بغداد البند الاول في جدول اعمال قمة عمان. ويجب ان يكونوا نبض الموقف القومي الواحد الذي يمسح الخيانات. ويردع فرسانها الذين تكلست ضمائرهم. فايران هي الطرف المعتدي. وهي التي بدأت الحرب، وتواصلها. وهي التي ترتكب الجرائم. وايران لا تخوض حرب حدود ضد العرب، بل تشن حرب وجود في فجور لافت... فهذه هي موضوعات القمة الاستثنائية. ومن الضروري ان تكون القرارات على مستوى الخطر الذي يحمله المشروع الايراني، بعد ان افتضحت خفاياه. وهذا الخطر مزدوج، وان ارتدى قناعاً واحداً. انه ايراني - صهيوني. وليست مصادفة ان تدخل تل ابيب، على الخط، وبقوة غير مألوفة، وفي شكل ترافق والحديث عن السلام. فهي لم تكتف بصفقات الاسلحة. بل انتقلت الى صفقات اكثر اشتعالاً انطوت على خبرات وتقنيات. والهدف الجديد قديم: النيل من الصمود العراقي، ومن خلاله النيل من الصمود العربي. والعراق الذي يدفع ضريبة الدم دفاعاً عن الحق العربي من حقه على العرب ان يراهم يخرجون من الصمت والتواطؤ والدعم اللفظي. ولا بدّ من البعد الجماعي في المواجهة، ما دام الصراع تاريخياً مع النظام الايراني. والعار للذين يخونون الامة. والغار لشهداء العراق. الاطفال الكبار. سنابل الكرامة في وجه البرابرة المدججين بالكراهية، الذين تنتظرهم اوخم النهايات.

رياض مزنّر

محاولة صهيونية جديدة لاقتحام الحرم الشريف

سد من اجساد النساء والرجال... يحمي الاقصى

في اليوم الثالث للنكسة دخل الجنرال غور بدبابة نصف مجنزرة الى ساحة الحرم... من يومها لم تتوقف مشاريع التهويد ومحاولات انتهاك عروبة القدس... لكن الاهالي وقفوا بالمرصاد

«سد بشري». هذا هو الوصف الذي اطلقته وكالات الانباء العالمية عن الفلسطينيين الذي وقفوا جداراً يتصدى لجماعة اليهود التي تطلق على نفسها «امناء جبل الهيكل» والتي حاولت الاسبوع الماضي اقتحام المسجد الاقصى لاقامة الصلاة فيه بحجة ان الحرم الشريف اقيم فوق الهيكل الذي بناه سليمان قبل ٢٣٠٠ سنة.

وبعودة بسيطة الى الوراء نجد ان هذه ليست هي المرة الاولى التي يحاول فيها الصهاينة انتهاك حرمة المقدسات الاسلامية. البداية كانت حين دخل الجنرال الصهيوني مردخاي غور، في دبابة نصف مجنزرة الى ساحة الحرم الشريف في ثالث ايام حرب حزيران ١٩٦٧. وما زالت الانتهاكات مستمرة منذ ذلك الحين لتحقيق حلم اليهود بهدم المسجد الاقصى

وبناء الهيكل على انقاضه... لكن العرب استطاعوا حتى الآن الوقوف امام هذه الاعتداءات ومنع اليهود من تدنيس مقدساتهم. بعد ان تعاهد آلاف الشبان الفلسطينيين على الشهادة من اجل حماية تلك المقدسات

والاسئلة التي طرحها المراقبون الغربيون الموجودون في القدس كثيرة، ابرزها: ما هو دور الحكومة «الاسرائيلية» في كل ذلك؟ ولماذا تتزامن هذه الاعتداءات مع زيارة جورج شولتز وزير خارجية اميركا لتل ابيب؟

للحكاية فصول تروى

من الواضح ان حكومة الكيان الصهيوني لم تتعامل بجدية مع المعتدين على المقدسات الاسلامية منذ بداية الاحتلال وحتى الآن مما يؤكد تشجيعها لمثل تلك التحرشات. ان كان ذلك في العلن ام في السر. والحقائق عديدة ويمكن ايجازها على الشكل التالي:

■ في ١٩٦٧/٨/١٥ اقام شلومو غورن، الحاخام الاكبر للجيش الصهيوني وخمسون من اتباعه صلاة دينية في ساحة الحرم الشريف. بعدها مباشرة رفضت محكمة الاستئناف الشرعية الاسلامية، طلب مؤسسة اميركية لدفع مبلغ مائةمليون دولار من اجل السماح لها ببناء هيكل سليمان في الاقصى!

■ في ١٩٦٩/٨/٢١ قام مجهول باحراق المسجد الاقصى. ثم ادعت السلطات الصهيونية ان الفاعل من اصل استرالي وهو مختل العقل. وقل احيل الى محكمة «اسرائيلية» برأته فوراً.

■ في ١٩٧١/٨/٨ اقام كل من الحاخام رابينوفتش وعضو الكنيست بنيامين هليفي الصلاة داخل الحرم. ثم لحقهم في الفعل ذاته غورشون سلمون رئيس جماعة «ابناء الهيكل». وطبعاً مائير كاهانا واتباعه، واعضاء حركة «غوش ايمونيم».

■ في ١٩٨١/٨/٢٨. قام عمال من وزارة الشؤون الدينية بحفر سرداب تحت ساحة المسجد الاقصى بعد ان تساقطت مياه من خزان قديم في

اسفل الساحة. وبعد الاحتجاجات العربية قامت السلطات الصهيونية باغلاق الخزان، بالرغم من ادعاء الصهاينة بانه، اي السرداب يقود الى كنوز الهيكل وتابوت العهد.

■ ١٩٨٢/٤/١١، اقتحم جندي صهيوني، يدعى هاري غودمان الحرم الشريف واخذ يطلق النار بصورة عشوائية على المصلين داخل الحرم الشريف مما ادى الى استشهاد ثلاثة، وجرح اكثر من اربعين مصلياً.

■ في ١٩٨٦/١/١٤، حاول اعضاء اللجنة الداخلية التابعة للكنيست الصهيونية الدخول الى الاقصى والصلاة فيه تحت حراسة مشددة شارك فيها الآلاف من جنود الاحتلال، الا ان تضامن المواطنين الفلسطينيين وحشودهم ردتهم على اعقابهم.

وبالاضافة الى جميع تلك المحاولات فقد شهد المسجد الاقصى وقبة الصخرة عشرات الاعتداءات والانتهاكات الاخرى التي كانت بمثابة استفزاز يومي للفلسطينيين لا في القدس فحسب بل في ارجاء الارض المحتلة. كما قامت السلطات الصهيونية خلال السنوات العشرين الماضية بالعديد من الحفريات قرب الحرم الشريف وداخله، اولها كانت في نهاية العام ١٩٦٧ وحتى نهاية العام ١٩٦٨ اذ قام الصهاينة بالحفر على امتداد ٧٠ متراً، ووصل عمق الحفريات الى اكثر من ١٤ متراً جنوب المسجد الاقصى وخلف جامع النساء والمتحف الاسلامي.

وفي نهاية العام ١٩٦٩ اكملت السلطات الصهيونية الحفريات حيث انتهت المرحلة الاولى وعلى امتداد ٨٠ متراً حتى وصلت الى باب المغاربة، فتسببت في تصدع ١٤ بناءً تابعاً للزاوية الفخرية بالقرب من مركز الامام الشافعي مما تسبب ايضاً في ازالة هذه الابنية فيما بعد وتهجير سكانها.

بعد ذلك توقفت الحفريات حتى العام ١٩٧٤، ثم استؤنفت ثانية ولم تنته حتى الآن، وامتدت من مكان يقع في اسفل عمارة المحكمة الشرعية التي تعتبر من اقدم الابنية التاريخية الاسلامية في القدس، لتمر تحت خمسة من ابواب الحرم الشريف. وتم تحويل الجزء الاول من اماكن الحفر الى كنيس يهودي. كذلك تم الحفر في مكان قرب منتصف الحائط الشرقي لسور المدينة، مما يهدد بازالة اكبر مقبرة اسلامية في المدينة. وتم انشاء «منتزه اسرائيل الوطني» بالقرب من هذه المقابر بعد مصادرة الاراضي المحيطة بها.

ووضعت سلطات الاحتلال ايضاً مشروعاً لتعميق ساحة البراق الشريف، بعد موافقة اللجنة الوزارية الصهيونية عليه، كما أعادت فتح نفق قديم يقع ما بين السلسلة وباب القطانين. وقد ادت هذه الحفريات «الى تصديع المسجدين الاقصى المبارك والصخرة المشرفة، كل ذلك بحجة البحث عن هيكل سليمان، وهي حجة ليس ثمة ما يؤكدها في الوثائق التاريخية».

حلم صهيوني قديم

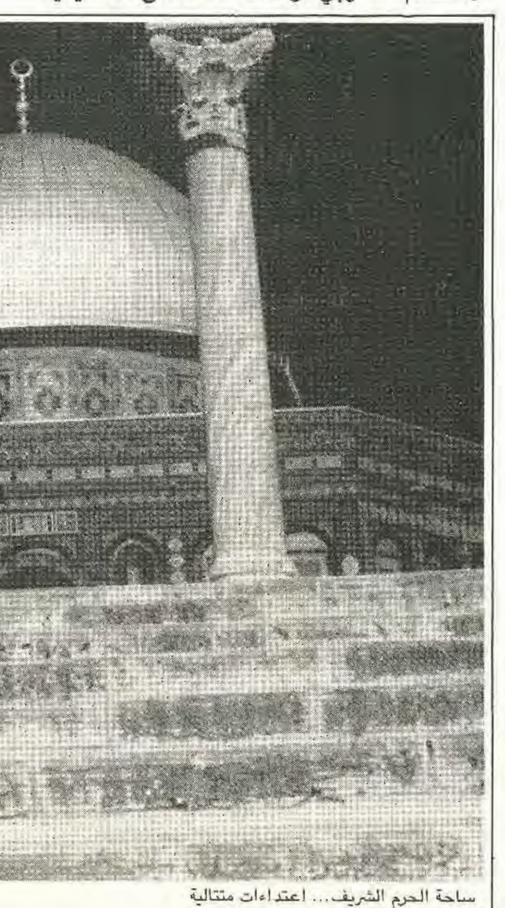
لقد حققت حرب العام ١٩٦٧ احلام الصهاينة ببسط سيطرتهم على القدس بشقيها الشرقي والغربي، ولم تمض سوى ايام قليلة حتى كانت الحكومة الصهيونية تقترح عدة قوانين ادت في خلاصتها الى ضم القطاع الشرقي من مدينة القدس في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧، والى مصادرة الاراضي والبيوت العربية والبدء باضفاء الصبغة اليهودية على المدينة.

وقد هدمت سلطات الاحتلال اكثر من ١٤٠ منزلاً، وصادرت ٣٢٠ منزلاً آخراً، وطردت ٥,٥٠٠ مواطن فلسطيني من حي المغاربة وذلك لاقامة الحي اليهودي تحقيقاً لما ذكره دافيد بن غوريون في الكنيست عندما قال: «ان الاستيطان داخل القدس وخارجها هو الشيء الوحيد الذي يكفل اعادة المدينة الينا».

وقد جاءت الاجراءات الصهيونية سريعة وحاسمة لتحقيق ما قاله بن غوريون، فحلت رئاسة بلدية القدس وابعدت روحي الخطيب الى الاردن، والحقت جميع الموظفين العرب ببلدية القدس اليهودية، كذلك تم نقل مقر محكمة الاستئناف الى رام الله، وتم ربط شبكة المياه والهاتف بالقسم الغربي من المدينة، المحتل منذ العام ١٩٤٨. بالاضافة الى نقل عدد من الوزارات «الاسرائيلية» الى القسم العربي، والغاء المناهج التعليمية



جماهير الارض المحتلة... صمود وصدام



ساحة الحرم الشريف... اعتداءات متتالية

العربية، وتطبيق مناهج التعليم الصهيونية.

وباختصار نستطيع القول انه خلال فترة قصيرة بعد الاحتلال، كان الصهاينة قد الحقوا جميع الهياكل الادارية العربية بالمكاتب الصهيونية، فضلاً عن عمليات الهدم واقامة المستوطنات حول القدس وتهجير عدد كبير من السكان، من حي المغاربة وحي الشرف.

لقد وضع الصهاينة مخططاً لتهويد القدس بكاملها، وكانت المرة الاولى التي كشف فيها النقاب عن هذا المخطط في العام ١٩٦٩، اذ نشرت احدى صحف تل ابيب خبراً مفاده ان لجنة هندسية كانت

الحليفان

خلال فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز الاشهر الثلاثة تعرضت قبلتا الاسلام مكة المكرمة وبيت المقدس الى اعتداءات صارخة، من اعداء العروبة والاسلام.

والذي يحدث اليوم على عتبات المسجد الاقصى من غزو صهيوني بربري، شبيه بذلك الانتهاك الذي قام به الفرس حلفاء الصهاينة للكعبة المشرفة في موسم الحج الاخير.

إذن لا عجب في تحالف الطرفين ضد الأمة العربية.

قد شُكلت لتنفيذ مشروع اطلق عليه اسم مشروع «القدس الكبرى». الذي يقضي باقامة حزام من المستوطنات الصهيونية بعد توسيع حدود القدس، على ان يبلغ عدد سكان القدس في العام الفين حوالي المليون نسمة بينما يكون عدد السكان العرب ٢٥٠ الفاً لقط. ويقضي المشروع ايضاً باقامة آلاف الوحدات السكنية الجديدة لاستيعاب المهاجرين الجدد من يهود العالم.

في العام ١٩٨٠ صادق الكنيست الصهيوني على القانون الذي تقدمت به عضو الكنيست غئولا كوهين، والذي عرف باسم «مشروع القدس»، وقد تضمن ذلك المشروع اربعة بنود كان ابرزها، «الاعلان عن توحيد القدس وتكريسها عاصمة ابدية لاسرائيل». وقد ادى ذلك الى موجة كبيرة من الاستنكار العالمي. واصدر مجلس الامن الدولي القرار رقم ٤٧٨ لتصوّت الى جانبه جميع الدول الاعضاء باستثناء الولايات المتحدة الاميركية، ويستنكر القرار اعلان القدس الموحدة عاصمة ابدية «لاسرائيل»، كما يدعو البعثات الاجنبية للانسحاب من القدس.

قبل سنوات، نشرت صحيفة «الفجر» المقدسية

مسيحيو الأرض المحتلة يقاتلون دفاعا عن الأقصى

في كل اعتداء على الحرمات الاسلامية المقدسة، كان مسيحيو القدس العرب يتضامنون مع اشقائهم المسلمين.

ويوم اقتحم الجند «الاسرائيلي» ساحة الحرم الشريف واطلق النار على المصلين من بندقية اميركية من نوع ام ـ ١٦، صباح الاحد ١١ نيسان ١٩٨٢، كان المسيحيون يستعدون لقداس الاحد، حين جاءهم نبأ الاعتداء على الاقصى واستشهاد ثلاثة مواطنين. فانهمرت الدموع من عيون النساء، بينما انضم الرجال الى تظاهرة الاستنكار التي اجتاحت القدس هاتفة: «بالروح بالدم... نفديك يا اقصى».

يومها صرح الاب لطفي لحام راعي طائفة الروم الكاثوليك في القدس قائلاً: لقد شعرنا باننا مهددون باقدس ما لدينا من مقدسات واماكن العبادة.

مقالاً لميرون بنفنستي النائب السابق لرئيس بلدية القدس، قال فيه ان تيدي كوليك رئيس البلدية منذ سنوات عديدة، يعترف ان ضم القدس وتوحيدها لا يعنيان وجود احياء عربية واخرى يهودية، لكن ازالة التفرقة بين العرب واليهود في نظر القانون، بحيث يتمكن العربي من شراء او استئجار شقة في الحي اليهودي، او بالعكس. لكن الحقيقة هي عكس ما قال كوليك، فالعرب لا يريدون السكن في الاحياء اليهودية التي اقامها الصهاينة بعد العام ١٩٦٧، بينما يسعى اليهود الى الاستيلاء على الاحياء العربية. ويعتقد المعارضون لتيدي كوليك ان الفصل بين الاحياء اليهودية والاحياء العربية قد يخفف من حدة التوتر بين الطوائف على المدى القصير، لكنه قد يؤدي الى مشكلات عديدة في المستقبل. فالافتراض بان الصراع في القدس، صراع محلي ومسألة عرقية مصغرة، هو افتراض رفضه العرب صراحة قائلين انهم ليسوا على استعداد لبحث الادارة البلدية الا بعد الاتفاق على المستقبل السياسي للقدس، اي ان تكون القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية في المستقبل.

ولا ترى الادارة «الاسرائيلية» اي تناقض بين سياسة الفصل المعتدلة والتوجه نحو التعايش السلمي، وبين الاندفاع العدواني للاستيلاء على «الاماكن الاستراتيجية». ان قرارات التخطيط الرئيسية التي صاغت الشكل العضوي للقدس لاجيال عديدة لم تتخذ على طاولات الرسم بل اتخذت على مائدة مجلس الوزراء الصهيوني، واسترشد صانعو القرارات بالمبدأ الصهيوني القائل بان السيطرة على المكان هي التي تقرر حدود الدولة الصهيونية.

واتخذت عدة قرارات تخطيطية كردة فعل سياسية في معظم الاحيان. لقد ردت «اسرائيل» على مشروع روجرز بمصادرة ١٢ الف دونم في مناطق مهمة، واقيمت على هذه المواقع اربعة مشاريع اسكان ضخمة.

وفي شهر اذار (مارس) عام ١٩٨٠. ربما مجلس الامن الكيان الصهيوني الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ومنها القدس، فرد مجلس الوزراء بمصادرة اربعة آلاف دونم واقامة مشروع ضخم عليها في العام ١٩٨٢.

في كل مرة تصادر سلطات الاحتلال اراض عربية، تجد لذلك مبرراً، ومثال على ذلك انه في العام ١٩٧٧ قامت سلطات الاحتلال بمصادرة اراض حول القدس بحجة انها تريد اقامة مجمعات سكنية جديدة لان القدس مدينة متراصنة وان الزحام السكاني فيها بات ثقيلاً.

لقد حسب الصهاينة لكل بيت وكل جدار وكل حجر في القدس حساباً، لكن فات عليهم ان يأخذوا «السدود البشرية» بالحسبان. وهكذا فان شولتز حين يصل العاصمة المزعومة للدولة العبرية، سيجد انتفاضة عارمة بانتظاره، وسداً ثائراً يمتد من غزة ليصل الى الضفة الغربية وقبلها... القدس. ومرة بعد مرة، يتأكد العالم، وهو يتابع صور الصدامات الدموية في الكيان الصهيوني، ان هذا الكيان ابعد ما يكون عن الصورة الوردية للديمقراطية التي يدعيها.

وفي ظل حالة التراخي التي شهدتها الانظمة العربية في السنوات الاخيرة، ما زالت الامة تثبت انها قادرة على الانتخاء، وان القدس تثير فينا النخوة اليوم، كما اثارتها امس غزة، ومن قبلها البصرة، او بيروت.

انها نخوة برسم مؤتمر القمة المقبل.

وهيب أبو واصل

مع تصعيد العدوان على العراق

القتل على الهوية السياسية في جمهورية خميني!

في موسكو تسلم علييف الملف الايراني، وفي اوروبا اكثر من لجنة لمتابعة الاوضاع في طهران، وواشنطن تنتظر سقوط الثمرة في سلتها

لا تختلف النشرة الطبية عن صحة خميني عن النشرة السياسية عن «صحة الثورة الايرانية». واذا كانت جهات عديدة، وبينها وكالة المخابرات المركزية الاميركية وقد اقامت لها جيوباً وزرعت جزراً من العملاء، في الدوائر العسكرية والدينية على السواء، دأبت في السابق على ترويج اخبار عن عوارض مرضية حادة طرأت على خميني، مستغلة سنه المتقدمة (٨٧ عاماً) فكانت هذه الشائعات في الواقع مقصودة ومدروسة. والهدف منها تحريك الصراعات على الخلافة، واستكشاف خريطة التحالفات بين الاجنحة في حال شغور قصر جماران من عباءة خميني، وفرز القوى على اساس ولائها او عدم ولائها للاميركيين، وتحفيز الظروف الملائمة لعملية انقلابية. ما زالت واشنطن تراهن عليها، على الرغم من تضاؤل احتمالها وخميني على قيد الحياة السياسية. لكن الاخبار التي تسربت مؤخراً عن توعك خطير في صحة الخميني ليست مجرد شائعات. بل هي مقتطفات من تقارير طبية وصفها فريق من الجراحين، وبينهم نمساوي وسويسري وصلوا لتوهم من ايران. وترامت هذه المعلومات الى جهات فرنسية مكلفة رصد مستجدات الوضع الداخلي الايراني. وقد كشفت عن اشارات منها الى اسبوعية «الاكسبرس» ووسائط اعلامية اخرى. وهذا الاهتمام الغربي يتجاوز بالطبع خميني الذي احترق ككومة من القش بنار كراهيته للعرب الى المرحلة السياسية الآتية في طهران واسئلتها الكبيرة الثلاثة: ما هي نوعية العلاقات الاميركية - الايرانية، ونوعية العلاقات السوفياتية - الايرانية، واي ايقاع سترتديه العلاقات العربية - الايرانية ومن ضمنها مصير الحرب على العراق بوصفه الجدار العربي العالي الذي حال دون «تصدير الثورة» الى الوطن العربي، واسهم بهذا الشكل في تصديع العصبية الايرانية التي توسلت الغزوة السياسية لتسويق بضاعتها الدينية؟

من الثابت ان الدول الكبرى، وبينها الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وفرنسا انشأت مختبرات متخصصة، واستقطبت فعاليات سياسية وامنية لدراسة التقاطعات السياسية في الداخل الايراني واستكشاف ما سيكون عليه الوضع بعد رحيل خميني. في موسكو مثلاً، تسلم حيدر علييف الملف الايراني. وفي باريس، ثمة اكثر من لجنة اختصاصيين تابعة لقصر الاليزيه (رئيس الجمهورية) والكي دورسيه (وزارة الخارجية) اضافة الى اجهزة امنية مختلفة تعنى بدقائق وتفصيلات الوضع الايراني. عشية التحولات المرتقبة فيه. وفي واشنطن، وبعد «ايران - غيت» مسح الرئيس ريغان ومستشاره لشؤون الامن القومي، فرانك كارلوتشي الغبار عن «لجنة الخمسين»، وهي الجهاز الذي شكله الرئيس جيمي كارتر من خمسين خبيراً من شتى الوزارات والادارات الاميركية الحاسة لمتابعة الوضع في طهران. كما ان الرئيس ريغان اطلق يد وكالة المخابرات المركزية لكي تتعاون مع مخابرات اوروبية في اجتذاب عدد من رجال الدين لتشكيل اللوبي الاميركي الفاعل في طهران، لقاء مبالغ طائلة. ومن بين رجال الدين من يشغل مراكز حساسة في الهيكلية الراهنة للنظام.

هذا الاستنفار الدولي ليس مجانياً. ومهمته معرفة في اي اتجاه وفي اية سلة سوف تسقط الثمرة الايرانية المهترئة. وحتى هذه اللحظة، ووسط حمى حرب الخناجر في الداخل، وحرب الخوذات والتصفيات «الامبراطورية»، يبدو ان السلة الاميركية هي اكثر جذباً للاهتراء الايراني. وقد نجحت واشنطن في استيطان تحت عمامات وخوذات تدور في فلك رافسنجاني. ولم يكن اعدام مهدي هاشمي، الرئيس السابق للمكتب الايراني لمساعدة حركات التحرر، واحد المقربين من الخليفة المعين، حسين علي منتظري واثنين من معاونيه سوى اشارة الدخول الفعلي الى مرحلة حادة في تصفية التيار المناهض للخيارات الاميركية بعد خميني. وبات ثابتاً ان مهدي هاشمي لم يعدم فقط بسبب ارتكابه جرائم قتل. فهذه الجرائم من يوميات الثورة التي حولت ايران الى ضريح يمكن العبور فوقه في سهولة. بل لانه قاد التيار الرافض للعلاقة الاميركية. لذلك راقب مع جماعته، وتبعاً لتعليمات صارمة من منتظري وحول مستشار الامن القومي الاميركي السابق، روبرت ماكفارلين الى طهران، ونزوله في فندق الاستقلال - هيلتون سابقاً - وبادر الى تطويقه، الامر الذي اضطر تدخل وحدات من الباسدران تتلقى اوامرها من رفيق دوست المقرب من رافسنجاني، وليس من محسن رضائي، قائد الحرس

الثـوري، المتعاطف مع منتظري، لفك الطوق عن الفنـدق. واقتضى الامـر مذبحـة. قيـل ان مبعوث الرئيس الاميركي شاهد عينة منها، وبالصورة الحية.

على اي حال لم يكن هذا الحادث، وما تبعه من اعـدامـات وتصفيـة حسـابات واقعة معزولة عن مخطط «امركة» ايران، ووضع «الديكور» اللازم، منذ الهزيمة المروعة الاخيرة امام مناعة البصرة، لمرحلة ما بعد خميني. والاميركيون انفسهم، وبالتعاون مع امتداداتهم في الداخل، يدفعون نحو محرقة الفوضى الراهنة. من هنا ترتسم حدود ارهابية بين المواطن والآخـر في ايـران. وتمتص الغطرسة كامل الدخل القـومي. فيمـا ردد خميني مثـلاً فارسيـاً يقـول: «الضربة القاسية تأتي عادة من يد قريبة». لحظة شاهد «رموز» الثورة يتساقطون كملوك الشطرنج. ووجـه اتهاماته في شتى الاتجاهات. فهل العمامة الايرانية تحولت اذاً الى مركز لانتاج المشكلات؟

السـؤال طرحـه ابـو الحسن بني صدر ناقـلاً مضمون الاجتماع المتوتر الذي عقده خميني بعد احـداث الشغب في مكـة المكـرمـة. وهو الاجتماع الاخير الذي جرى بحضوره في قصر جماران. وبدا يوما محبطاً ويائساً. وقد هدد رجال الدين مؤكداً على «اننـا لا نخـاف من الولايات المتحدة او غيرها من القـوى. لكننـا نخشى من الذين يرتدون زي رجال الدين مثلنا». ثم وجّه كلامه اليهم: «ان تصرفكم غير لائـق. لذلك ستـعصيكم الامـة، بعـد ان نسيتم مسؤولياتكم». وقيل انه اصيب باكثر من صدمة بعد يقينـه بان رجـال الدين تخلوا عن لقبهم السـابق «الاشباح السوداء» التي كانت تخيف الشاه لكي يحملوا القـابـاً اخـرى متعـددة، حتى ان مهـدي بازركـان، رئيس الوزراء السـابق، لم يتمكن، وهو الذي يملك لساناً هادئاً ـ كما يقول بذاته ـ الا ان يقول لخميني «لم اعد استطع معرفة ما اذا كانت هذه العمامات مصنوعة من القماش او من الذهب». وبازركان الهادىء لم يعد كذلك لحظة عاين كيف ان مفهوم الغنيمة الاميركية يتحكم برجال الدين. الذين رأى فيهم «جنرالات يقمرون العمامة». لذلك اقيمت شبكات سرية وعلنية لتثبيت النفوذ الاميركي، بعد ان اقلعت واشنطن عن خطة الانقلاب واستبدلتها بمشروع تحـويـل الخنـدق الواحـد الى خنـادق، وتعميم اليأس كرافعة للتغيير، او كما يقول جيفري ريكـورد، استـاذ التاريخ الاستراتيجي في جامعة جورجتـاون «تعميم جيـوب الصديد». اما جورج واتيمان، وهو عضو في «لجنة الخمسين»، فيقول ان العبور الى مرحلة ما بعد الخميني لا بد من ان يتم عبر الثياب الممزقة، وان كان يقول في مقال آخر «عبر الجثث الممزقة».

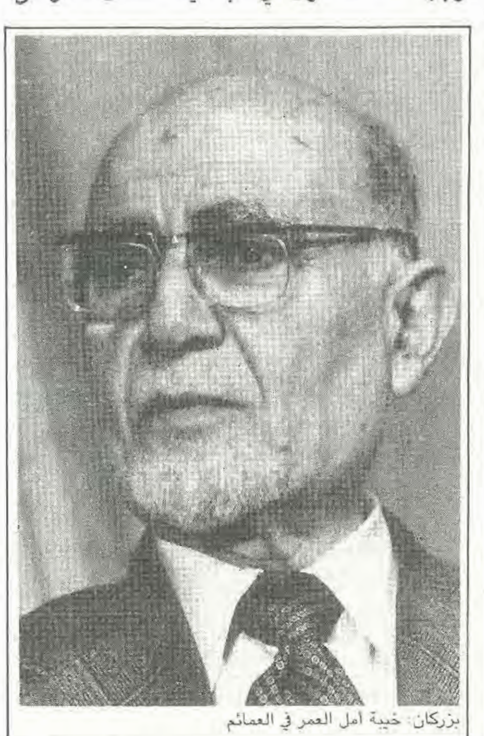
الصراع على الخلافة

على اي حال ان الصراع على الخـلافـة يتـلازم والصراع على تحـديـد ملامح المرحلة الاميركية في ايـران، في زمن خميني وبعـده. ولعـل الاسئلة لا تتعلق بالمرحلة الراهنة، وهي مرصودة على الفوضى الكبيرة في الداخل وعلى حصاد الفشل في المواجهات العسكـريـة في الخـارج. وهي ليست مرحلة بناء حسابات جديدة. بل مرحلة تصفية حسابات قديمة. والقـراءة تتـركز على ما بعد خميني، وان كان ثمة توافـق امـيركـي ـ سوفيـاتي ـ اوروبي على دور رافسنجاني المقبل. والذين توقعوا ان يغرق رئيس مجلس الشورى في مستنقع «ايران ـ غيت» صدموا من الطريقة التي خرج بها. مع آثار كدمات فقط فوق وجهـه. فقـد حاول، في البـداية، اسدال ستار على الفضيحـة، لكنه اضطر الى الكشف عنها، بعد ان سرب خصومه معلومات عنها الى الصحف. في هذه اللحظة، قدم روايات كاريكاتورية مثل «اميركا هُزمت وريغـان في اوحـال ايـران»، بدا من خلالهـا ان «الشيطان الاكبر ليس العدو الاكبر»، بل ان الحرب بوسـائل اميركية لا بد من ان تكون حرباً من اجل اهداف اميركية، كما يلاحظ وليام كوانت من معهد بروكينغز، ولحظة حاضر في منتدى الفكر العربي في عمان...

عنـد هذه النقـطة من المسـار الامـيركي في دور رافسنجـاني، اطل اعـداء الداخـل بآذانهم، ليس ليصيخـوا السمـع الى ما يدور في الغـرف المقفلة للنـظام من «حيـاكات اميركية» بل ليوثروا في قدرة النظام التعبوية، ويسوقوا السخرية المرّة: «لم تعد الحرب اقصر الطرق الى القدس». واصبح ثابتاً انه بقـدر ما تظهـر لعبـة رافسنجاني الاميركية، وهي ميـكـافـيـليـة، بقـدر ما يتقلص الشحن النفسي الدوغماتي الذي يمشي به الصقور نحو حتفهم. لكن رئيس مجلس الشـورى البـراغماتي يجيد اصول اللعبـة. ويرفع من حدة العدوانية اللفظية حيال واشنطن وتل ابيب، ليقينه بان خميني ذاته، وامام الافـلاس وتفـاقم ضغـط الشارع يبارك الخيارات الاميركية. من هنا ملاحظة استدراكية لكلود جوليان في «لومـونـد دبلوماتيك» ان الخميني ذاته يُحضر للـمرحلة الاميركية في ايران من بعده، لان الصراع ليس بين ان تكون ايران اميركية او سوفياتية. فهذه معادلة غير مطروحة بعد تصفية حزب تودة. بل بين ان تكـون دولة دينيـة مقفلة او «غيتـو عنصري مظلم» مهمتها تصدير الانتحار والارهاب، او دولة تعتـرف بشرعيـة الدول الاخـرى وتتعايش معها ضمن المـواثيق التي تضبـط العـلاقـات الدولية. وايران، من هذه الزاوية، لا يمكنها ايديولوجياً الا ان تكـون سلبيـة او معادية للاتحاد السوفياتي. وهذا الواقع، يشهد عليه التاريخ. ويشجع، تالياً، على ابقـاء الجسـور الاميركية مفتوحة معها. لذلك يمضي رافسنجاني في الخط الاميركي. وبصفته احد الجـالسـين القـرفصـاء في اذن خميني، يعرف ان الحـرب، وبـوجود مرشد الثورة سوف تستمر على البـارد، لان خميني لا يستـطيـع، وبعـد حصـاد الهزيمة، الا ان يكابر في الاستمرار بها. ولو في شكل الاثـارة البسيكولوجية، بسبب عدم القدرة المادية والبشريـة على استعـادة الفصـول الكبـيرة منها. ورافسنجاني المأخوذ بوهج الذهب والسلطة اكثر من وهج افكار خميني الطاعنة في اليأس، على يقين من ان القضايا الاقتصادية العالقة اليوم على جدار الحرب سوف تكون لها الاولوية في مرحلة ما بعد خميني، وحتى قبـل ذلك، اي بعـد الانتخـابـات التشريعيـة والرئـاسيـة في بدايـة ١٩٨٨. وهـذا السجـال الاقتصـادي طغـا على السطح بعد حل الحزب الجمهوري الاسلامي الذي حاول التصدي لرافسنجاني في بعض القرارات. ودار حول استحالة الانتصـار في الحـرب، او حتى المضي فيهـا، وسط اللوحة الاقتصادية القاتمة والارقام التي تترنح و ١٢ مليون ايراني يعيشون تحت عتبة الفقر.



رافسنجاني: ميكافيلية جديدة



بزركان: خيبة أمل العمر في العمائم

ولا شك في ان رافسنجاني نجح اكثر من غيره في توظيف المأزق الاقتصادي لتحسين شروط الخروج من المأزق السياسي. ومن خلاله واجه بعض «البازارين» والمؤسسة التشريعية العليا ومجلس الرقابة على الدستور والمجلس الخماسي الذي يدير البلاد، ويضم نجل خميني، احمد. لكن موقعه كان في حاجة الى دعم دولة كبرى، هي الولايات المتحدة الاميركية. لذلك كسب عطفها من خلال امساكه بالية الحكم في ايران. وضاعف من مفاعيل هذا العطف، لحظة هدد بالخطر السوفياتي. وبدا من خلال تراقصه على الحبال بين موسكو وواشنطن ان الخطر ليس مروحة طالبي المناصب والمتسابقين على كعكة الخلافة، بل المشكلات التي وعد خميني بحلها. لكنها تفاقمت وتعددت، وجعلت القوميات السبع تنكفىء على خوفها. وتحيي اللغة الانفصالية من جديد. من هنا محاكمته للنزفين البشري والاقتصادي وسوء التخطيط وتحويل ايران الى غيتو ارهابي اسهم فيه الى حد بعيد. وهذا ما لم يتوفر لبازركان وبني صدر اثناء الفورة الاولى، وقبل ان تكتمل جردة الحسابات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وتردد انه في صدد اجراء تغييرات عسكرية واقتصادية واجتماعية. وعلى المستوى العسكري انطلق من استمرار موجة الفرار من الجندية، والصدامات الدموية بشأن تدفق معدات جديدة وحرب النفوذ للدمج بين الجيش والحرس ولو في شكل صوري، لكن الواقعيّين يرون ان هذه الاجراءات قد تعزز صورة رافسنجاني لكنها لا تحد من سياسة الاشلاء.

على اي حال ان رافسنجاني صاحب الورقة الاميركية. لكنه محاط بمئة الف من الملالي و ٤٠٠ الف عنصر من الحزب الثوري المتناحرين وسط الضياع العام. والجميع يشحذون اسنانهم وسط مضمار السباق ويحاذرون الاجابة عن سؤالين: الاول تحديد الهوية الاقتصادية للنظام الايراني. والثاني: الموقف من الحرب ضدّ العراق. ولا شك في ان علاقة جذرية بين المسألتين لان احداً من الملالي لم يجرؤ على تحديد برنامج سوى الحرب خلال ٨ سنوات من العدوان على العراق. واتخذت الحرب غطاء للفشل في ادارة البلاد، ووقف الهجرة منها، وفرملة انزلاقها الى وضعية الضريح الكبير.

وفي محاولة إحاطة بصراع الافكار والبرامج وسط حرب الاشلاء الخمينية، نلاحظ ان هاشمي رافسنجاني يؤيد الاقتصاد الحرّ والعلاقة الوثيقة مع الغرب، على مستوى السلع والمبادلات. ويرفض اي تحول اشتراكي. وظهر ذلك من خلال محاولة توزيع اراض زراعية على الفلاحين. فسارع المجلس الاعلى للدولة، وهو اعلى جهة قضائية في ايران الى اصدار احكام تُبطل جميع عمليات الاستيلاء على الاراضي التي تمت في السابق. وهو في ذلك يتعارض مع مجموعة خامنئي ـ موسوي، القريبة من النماذج البدائية للاشتراكية. وتبدي انفتاحاً مع دول عدم الانحياز والدول الاشتراكية. وتاتي قضية العدوان على العراق لتمثل البُعد الآخر في الخلافات. واذا كان الحماس للحرب قد هدأ، وبدأ الشارع يعبر عن تذمره في وضوح، فان غالبية المسؤولين الذين يتحركون على الشاشة مقتنعون بعبثية الانتحار. وتدعمهم تجمعات اقتصادية ـ تجارية. وهذا التيار الذي يتنامى ويخرق جدار الخوف، رفع صوته واتهم القيادات العليا، اي خميني والمجلس الخماسي بالتآمر المكشوف على رغيف المواطن الايراني. وهذه الاصوات قويت على ضوء الضغط العسكري العراقي واستهدافه المرافق الحيوية النفطية والصناعية. ودعت الى التسوية على مائدة المفاوضات.

لكن وسط لعبة «الزجاج الداكن» اين موقع المنتظري؟

انه اللاعب المعزول في مواجهة رافسنجاني الذي مضى بعيداً في حبك خيوط تحالفاته الاميركية. لقد اختير في اواخر شباط (فبراير) ١٩٨٥ لمنصب نظري، من قبل مجلس الخبراء. ويُجمع حتى الذين انتخبوه على ان المؤهلات اللازمة للمرجعية ليست متوفرة فيه. وهو ليس الاكثر فقها، باي حال، بل لعله الاكثر عجزاً وسط دائرة العجز الكبير. ولعل خميني يبدي تجاهه شفقة وليس اعجاباً، خصوصاً ان نجله قُتل في احدى الانفجارات التي هزت طهران في حزيران ـ يونيو ـ ١٩٨٠. وعلى الرغم من ذلك، يتراجع موقعه، ويضيع صوته وسط ضوضاء الدم في طهران.

على اي حال ان استمرار العدوان على العراق بات جزءاً لا يتجزأ من الصراع على السلطة. والجميع يزايدون في سوق الموت، على اعتبار ان المزايدة هي الطريق الوحيد الى السلطة. وينقل دبلوماسي فرنسي ان خميني يتجه الى اقامة خلافة ثنائية من بعده. فيتسلم منتظري منصب المرشد الديني، فيما ينتخب رافسنجاني رئيساً للجمهورية. وهو في ذلك يرى ان الثنائية تحد من ليلة الخناجر الطويلة بين الملالي، وتدبر الامور بالتي هي احسن. لكن ذلك ليس سوى عبور من المأزق الاصغر نحو المأزق الاكبر، لان المتصارعين على السلطة مضطرون الى ازالة الاحجار الكبيرة والرؤوس الكبيرة من امامهم. وهذا ليس ممكناً دون حمامات الدم. واذا كان ريجيس دوبريه وهو الكاتب الثوري المعروف الذي يعمل مستشاراً للرئيس فرانسوا ميتران لشؤون العالم الثالث، قد قال ان «رغيف الخبز لم يأخذ اعتباطاً شكل الكرة الارضية»، فانه كان يلمح الى ان الجوعى هم الذين يصنعون التغيير الحقيقي. وفي ايران دقت ساعة التغيير الكبير على حساب الذين يحفرون الانفاق للوصول الى اهدافهم، الامر الذي انعكس مسلسلاً دموياً لا ينتهي. ويكفي ان حلم الخمينيين جميعاً لم يتحقق. فقد ارادوا تحطيم القوة العراقية، وهي الاكثر فعالية في المنطقة لاختراق الدول العربية الاخرى. لكنهم فشلوا. وهذا كافٍ في ذاته لتدمير النظام الخطأ... وما يمكن ان يجري في ايران يعيد الى الذاكرة ما حدث في البلقان. وهكذا يقرأ أهل الغرب... التاريخ.

منير الصيّاح



ثمة شعور عام، لدى الفلسطينيين ـ بشكل خاص ـ ان هناك استحقاقات داهمة لا بد من مواجهتها، وانها تحمل في طياتها الكثير من المخاطر على المصير والقضية والهوية الوطنية للشعب العربي الفلسطيني.

وليس صعباً على المراقب استقراء هذه الاستحقاقات الداهمة. واولها بدون شك الفترة الزمنية القصيرة المتبقية في عمر الحرب الايرانية ـ العراقية. فمن الواضح جداً ان هذه الحرب قد شارفت على نهايتها، واذا كان صمود العراق قد اسقط الرهان الصهيوني على انتصار ايراني يدخل المنطقة كلها في المرحلة النهائية من مشروع التمزيق الطائفي والمذهبي والعنصري، فإن هذا الامر بحد ذاته يجعل العدو الصهيوني، ومن وراءه، يتشبثون بالمشروع البديل: مشروع استثمار آخر دقيقة تمكن اطالتها في عمر هذه الحرب من اجل ترتيب اوضاع المشرق العربي قبل ان يدلف العرب الى مرحلة ما بعد «حرب الخليج»، وما يمكن ان يتولد فيها من معطيات لا يخفي قادة الكيان الصهيوني انها لن تكون في مصلحتهم.

هذا الاستحقاق الذي يعيه الفلسطينيون بمعظم فئاتهم وقادتهم تتولد عنه جملة من التحركات السريعة، بل المحمومة على مختلف الصعد ذات الصلة بالقضية الفلسطينية:

ـ فالولايات المتحدة التي كانت تبدو في الفترة السابقة وكأنها تخلت عن مساعي التسوية ومشاريعها، بما فيها مشروع ريغان، تبدو الآن على عجلة من امرها في التحرك السريع نحو ترتيب «البيت العربي» من اجل عقد مؤتمر دولي بمواصفات اميركية معينة تتولد عنه «تسوية» ما، هي في موقع الوسط بين مشروع ايغال آلون ثم مناحيم بيغن وكامب ديفيد للحكم الذاتي، وبين مشروع «المملكة المتحدة» المعدل اميركياً واسرائيلياً، سواء من حيث الحدود الجغرافية والسيادة على الارض، او من حيث العلاقات

الفلسطينيون واستحقاقات المرحلة

بالوحدة الوطنية
وانتفاضة الداخل
ة محاولات تجاوزها

عرفات الى موسكو قبل قمة عمان، ام يظهر في صيدا؟

المستقبلية بين هذا المشروع وبين الكيان الصهيوني!

مستويات التحرك الاميركي

هذا التحرك الاميركي لا يجري على مستوى واحد... بل على جملة مستويات:

– فهو على المستوى الفلسطيني يعبر عن نفسه بتحرك واشنطن ومبعوثيها، ومبعوثي حلفائها الغربيين بشكل عام نحو التعامل المباشر مع سكان الضفة الغربية وقطاع غزة كوجود اجتماعي اقتصادي له «استقلاله» النسبي، لا عن «اسرائيل» فقط وانما عن العرب بصورة عامة وعن منظمة التحرير بشكل شديد الخصوصية.

ويحاول هذا التحرك، سواء بالمساعدات المالية والعينية او بالتسهيلات الاقتصادية، وحتى بلقاءات سياسية واعلامية من مستوى معين، ان يخاطب شريحة طبقية معينة في هذا «الكيان» ويدغدغ لديها مصالح ذاتية وآنية، على امل تكوين بديل قيادي يمكن ان يحل محل منظمة التحرير كطرف تفاوضي فلسطيني مجرد من نضاليته ومستعد للمشاركة في صيغة تسوية عملية تعبر عن واقع الحال وتخدمه في آن واحد!

ضمن هذا التحرك اوفد جورج شولتز مدير مكتبه قبل اسابيع الى فلسطين المحتلة، وضمنه ايضاً كانت هناك دعوات سياسية واعلامية لشخصيات ذات هوية معينة من فلسطينيي الضفة وغزة لزيارة الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية المعنية بهذا التحرك.

كما انه ضمن هذا التحرك بالذات يجري التفاوض بين السوق الاوروبية المشتركة وبين الادارة الصهيونية للوصول الى صيغة تسويقية خاصة للمنتجات الزراعية من الضفة وغزة الى بلدان السوق مباشرة، بدون الدور الوسيط لشركات التصدير «الاسرائيلية»! وهو ما يعرف حالياً بمشروع شيسون نسبة الى مفوض السوق الاوروبية المشتركة الذي قام بزيارة للكيان الصهيوني هذا الاسبوع من اجل متابعة المشروع المذكور.

– وهو على المستوى العربي يعبر عن نفسه بجملة تحركات اخرى ابرزها استثمار المرحلة الحالية في «حرب الخليج» لتعويم الدور الاميركي في المنطقة وضمان نوع من «الاحتماء العربي» بالمظلة الاميركية، الامر الذي يمنح واشنطن فرصة لا سابق لها من اجل التأثير على الموقف العربي الرسمي من مشاريع تسوية الصراع العربي «الاسرائيلي» و«قولبة» هذا الموقف وفقاً للصيغ الاميركية التي يأتي في مقدمتها استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية وتبديد الحقوق الوطنية لشعب فلسطين. ويأتي في صلب هذا التحرك، تحرك اميركي خاص باتجاه النظام السوري لمقايضة ما يمكن تقديمه له من مساعدات هو في امس الحاجة اليها، بمزيد من الاقتحام التصفوي الذي يمكن ان يؤديه هذا النظام على طريق تصفية الوجود النضالي الفلسطيني في مخيمات لبنان سواء عن طريق استخدام ميليشيات «أمل» وغيرها من الادوات المحلية، او عن طريق القوات السورية نفسها بعد ان يتوفر لها الضوء الاخضر الاميركي الصهيوني للتقدم نحو المعقل الفلسطيني الاساسي في مدينة صيدا ومخيم عين الحلوة المجاور لها، كما يتوفر لها غطاء عربي رسمي تساهم الولايات المتحدة في نسجه من اجل تغطية مثل هذه العملية التصفوية الكبيرة.

يضاف الى ذلك مسعى اميركي محموم لتحقيق مقايضات معينة على الصعيد العربي الرسمي غرضها الاساس تطويق منظمة التحرير وابعادها عن مسرح الاحداث في الوقت الذي يجري فيه الاعداد للمرحلة الجديدة من مساعي التسوية... وإذا كانت القاعدة العربية الاساسية للمنظمة على الصعيد العربي الرسمي هي العراق ومصر والجزائر والى حد ما تونس وليبيا واليمن (بشطريها)... فإنه ليس من قبيل المصادفة ان ابرز هذه الاقطار تتعرض لضغوط من نوع معين او آخر لتعطيل قدرتها على الدعم الذي تحتاجه منظمة التحرير في مواجهة ضغوط المرحلة الجديدة... علماً بأن الكثير من هذه الضغوط مصحوب في الوقت نفسه مع اغراءات معينة... فإذا تركنا العراق مع تطورات الحرب المفروضة عليه، نرى ان مصر الواقعة تحت ضغط الديون الاميركية (والتلويح باغراءات اعادة جدولتها) يأتي من يلوح لها ايضاً بأن عودتها بصورة رسمية الى الجامعة العربية متوقفة على تخليها السياسي عن منظمة التحرير الفلسطينية... ولا يخفى ان للتلويح باسقاط ورقة «المعارضة» السورية لهذه العودة، وقعاً خاصاً عشية انعقاد القمة العربية الطارئة في عمان.

اما تونس والجزائر واليمنان وليبيا، فلكل منها ازماته الخاصة التي تشكل ابواباً واسعة للضغوط والمساومات والمقايضات!

استحقاق محفوف بالمخاطر

على ضوء هذا التحرك الاميركي والغربي المتشعب في مجاهل الوضع العربي الرسمي، تتحول قمة عمان المقبلة من محطة هامة للتضامن العربي دعماً للمصالح القومية العليا وفي مقدمتها الموقف من الحرب المفروضة على العراق ومن الحقوق الوطنية لشعب فلسطين... تتحول الى استحقاق آخر محفوف بالمخاطر التي تحيق بوضع منظمة التحرير وصفتها التمثيلية وبالاوضاع الفلسطينية عامة بما فيها مصير القضية الوطنية



انتفاضة الارض المحتلة: ثورة الشعب الدائمة

الفلسطينية برمتها على ابواب مرحلة المساعي الاميركية الجديدة.

- وهو على المستوى الدولي تحرك يستثمر حاجة القيادة السوفياتية الحالية لتحقيق انفراج دولي في مجال سباق التسلح يوفر لها فرصة توظيف امكانات كبيرة في مجالات الاصلاح الاقتصادي والاجتماعي التي تعطيها الاولوية في استراتيجيتها الراهنة... يستثمر هذه الحاجة لجر الاتحاد السوفياتي الى تقديم تنازلات في مجال التفاوض حول قضايا اقليمية معينة، وفي مقدمتها «حرب الخليج» و«الشرق الاوسط»... ان مثل هذه التنازلات في حال نجاح واشنطن في الحصول عليها ستفقد العرب بصورة عامة والفلسطينيين بصورة خاصة قوة دعم اساسية هم في امس الحاجة لها في هذه الفترة المصيرية الحرجة.

ومما لا شك فيه ان هذه التحركات كلها تشكل الاطار المناسب لجولة وزير الخارجية الاميركي شولتز الحالية في المنطقة بعد مقاطعته الطويلة لها، وقبيل لقائه المرتقب مع نظيره السوفياتي.

- الاستنفار الفلسطيني: من الطبيعي، في مواجهة هذه الاستحقاقات كلها ان يعم بين الفلسطينيين بشكل خاص شعور بالخطر الداهم يستفز «غريزة البقاء» لدى شعب فلسطين (وهي بالمناسبة غريزة شديدة الحساسية بعد كل ما تعرض له هذا الشعب. وهي شديدة القوة في الوقت نفسه بعد كل الامتحانات والتجارب التي خاضتها)... وينعكس هذا المناخ بصورة مباشرة على الاوضاع القيادية للثورة الفلسطينية: وقد لا تكون هناك مبالغة ابداً في الاعتقاد بأن «غريزة البقاء» هذه كانت العامل غير المنظور (وربما الحاسم) في نجاح المصالحة الوطنية التي انعقدت على اساسها الدورة الاخيرة للمجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر... خاصة وان فاعلية هذه الغريزة كانت قد اثبتت موجوديتها قبل ذلك في الاعتداءات المتلاحقة على المخيمات.

لقد اثبت شعب فلسطين في كثير من التجارب المريرة، انه، على شدة الخلافات التي تعصف بين قواه ومنظماته وقياداته، سرعان ما يحتمي بوحدته الوطنية في ساعات الخطر الداهم. ولسنا في حاجة هنا لايراد عشرات الامثلة على هذه الحقيقة.

هذا الواقع يطور - وقد طور بالفعل - احساساً فلسطينياً عاماً بأن الحفاظ على الصيغة الوحدوية التي ابرزتها دورة الجزائر، يعتبر من اهم الاولويات في مواجهة استحقاقات المرحلة القادمة... وهذا وحده ما يفسر السهولة الكبيرة التي تقبلت بها اللجنة التنفيذية الدعوات السلمية التي اطلقها السيد ياسر عرفات في جنيف خلال المؤتمر الذي عقدته المنظمات غير الحكومية العاملة في اطار الامم المتحدة. وليس سراً ان كل الضغوطات التي مورست على بعض الاطراف لاستغلال مواقف جنيف ولقاءات اديس ابابا مع الرئيس حسني مبارك، من اجل الاجهاز على صيغة الوحدة الجديدة للجنة التنفيذية، قد فشلت فشلاً ذريعاً.

- التحرك النضالي: وقد التقت هذه الارادة الوحدوية الوطنية، مع تصميم متزايد على الصمود لدى الجماهير والمقاتلين في المخيمات بلبنان. وهذا ما رفع درجة التصدي لمؤامرات النظام السوري وصفقاته الاميركية الممثلة بمحاولات ميليشيا «امل» لتلغيم المبادرات السلمية بالكثير من كمائن التآمر التصفوية والتحضير لعدوانات جديدة على مختلف المخيمات في الجنوب وحول بيروت.



عرفات: منظمة التحرير ما زالت الرقم الصعب

في هذا المناخ كان تطوير التصدي لعصابات «امل» عن طريق تطوير التحالف الوطني مع القوى الوطنية صاحبة المصلحة في الحاق الهزيمة بمشروع التقسيم الطائفي والمذهبي على ارض لبنان. وقد برز هذا التحالف بصورة جديدة وقوية في صيدا والمخيمات المحيطة. ولا يستبعد البعض في آفاق هذا التحالف وآثارها السياسية ان يظهر ياسر عرفات فجأة في صيدا او عين الحلوة خلال الايام القادمة.

وفي هذا المناخ ايضاً كان تصاعد العمليات الفدائية داخل الارض المحتلة لا سيما في قطاع غزة ومدينة القدس... تلك العمليات التي تحولت الى مواجهات شعبية واسعة مع قوات الاحتلال في كل مدن وقرى الارض المحتلة.

إن هذا التحرك الفلسطيني النضالي المتشعب سواء على صعيد تصليب الوحدة الوطنية او تطوير التصدي لمحاولات التصفية في المخيمات او تصعيد النضال والمواجهة داخل الارض المحتلة، هو صرخة مدوية في وجه كل محاولات الطمس التي تشكل عنوان المشروع التصفوي في مرحلته الجديدة. وليس من قبيل المصادفة ابداً ان يربط ابو جهاد في تصريح علني له بين استمرار الانتفاضة الجماهيرية في الداخل وموعد مؤتمر القمة العربي القادم!

- التحرك العربي والدولي: هذا على الصعيد الفلسطيني حيث بات مستحيلاً على اي «فئات اخرى» ان تتنطع للانتقاص من الشرعية التمثيلية للمنظمة او تشكيل هيئة بديلة عنها. اما على الصعيد العربي، فاننا نجد، بالرغم من التردي الكبير الذي تعاني منه الاوضاع العربية الرسمية، ان القيادة الفلسطينية تخوض تحركاً كثيفاً، لا من اجل قطع الطريق على المحاولات التصفوية فحسب، بل من اجل تصليب الوضع العربي كله في مواجهة تلك المحاولات. ولا تخفي هذه القيادة انها تعلق اهمية كبيرة في هذا المسعى على نهاية قريبة للحرب الايرانية - العراقية وسقوط اعباء هذه الحرب عن كاهل العراق القوي الذي سيستعيد بالضرورة دوره القومي الكبير في المرحلة القادمة. ولا شك ان اللقاء الاخير بين اللجنة التنفيذية للمنظمة وبين القيادة العراقية ممثلة بالرئيس صدام حسين والحوار القومي الاستراتيجي الذي دار في ذلك اللقاء، انم عبّر عن وعي مشترك لمخاطر المرحلة القادمة على المدى القريب وعن ادراك لاهمية الصمود في هذا المدى مقدمة لبناء موقف استراتيجي عربي صلب في المرحلة اللاحقة.

يضاف الى ذلك ان القيادة الفلسطينية لا تخفي حرصها على الدور القومي الهام لمصر، وهي لا تتوانى ابداً عن السعي بكل ما تملك من اجل استعادة مصر لذلك الدور... كما انها تسعى لتطوير لقاءات مصرية - عربية هامة كاللقاء الذي تم في اديس ابابا بين الرئيسين حسني مبارك والشاذلي بن جديد. تضاف الى ذلك مساعي فلسطينية كثيرة باتجاه تصليب المواقف في المواقع العربية الاخرى.

وبهذه الخلفية الوطنية الفلسطينية والقومية يستعد السيد ياسر عرفات لزيارة الاتحاد السوفياتي قبل قمة عمان... وما من شك في ان هذه الزيارة ستضع على مائدة التفاوض في الكرملين موقفاً فلسطينياً قوياً هو بالتأكيد مناقض للصورة التي يحاول الاميركيون ان يعكسوها في مفاوضاتهم الشمولية مع السوفيات.

ان عرفات سوف يحمل من غزة والقدس وصيدا، ومن بغداد والقاهرة والجزائر وعواصم عربية اخرى قراءة اوضح لمعطيات الاوضاع العربية، سواء كما هي تحت سطح الواقع المتردي المرئي من فوق، او بوصفها ضرورة مستقبلية سيكون التخلي عنها في المقايضات الدولية موقفاً خاسراً بصورة كبيرة.

وما من شك في ان قيادة واقعية كالقيادة السوفياتية الحالية، لا يمكن ان تتجاهل ما في هذه الصورة من معطيات حقيقية وتطورات واقعية مرتقبة.

بهذه الصورة... وعلى هذه المستويات كلها يتهيأ الفلسطينيون لمواجهة الاستحقاقات الداهمة في المرحلة المقبلة... وانها لمواجهة شديدة الحدة والخطورة بدون شك.

عدنان بدر

بعد أن وافق على حضور القمة

ما الثمن الذي يطلبه نظام دمشق؟

القادة العرب امام طريقين: إما الاستجابة لمصالح الامة وقضاياها ولو على حساب الاجماع، او التفريط بها والرضوخ لسياسة الابتزاز

اخيراً... وبعد مناورات متعمدة، اعلن النظام السوري عن موافقته على الاشتراك في القمة العربية الطارئة المقرر انعقادها في عمان في الثامن من الشهر القادم... وكان الموقف المعلن للنظام المذكور قبل ذلك هو رفض الاشتراك اذا كان جدول الاعمال سيقتصر على موضوع الحرب الايرانية - العراقية!

هذا الموقف «المتقلب» من قبل حكام دمشق، ليس جديداً لا بالنسبة للقمة العربية ولا لاي اجتماع عربي او اسلامي يمكن ان يحقق حداً معيناً من التضامن والتعاون لصالح القضايا العربية او الاسلامية المشتركة.

فقد كان هذا الموقف يمر دائماً في ثلاث محطات:

● المحطة الاولى: هي السعي لتعطيل عملية الاتفاق على عقد المؤتمر، وبالذات مؤتمرات القمة العربية حيث ما تزال معارضته العلنية تعطل - او تشكل ذريعة لتعطيل - مؤتمر القمة العادي منذ خمس سنوات تماماً.

● المحطة الثانية: في حال فشل الاولى، هي السعي لابتزاز القمة والاطراف الداعية لها، بهدف الحصول على مكاسب خاصة مقايضة بموافقته على المشاركة... وتنقسم هذه المكاسب الابتزازية الى قسمين:

١ مكاسب مادية تتعلق بدعم مالي عاجل، كما حصل مع قمة الكويت الاسلامية، حيث بات معلناً الآن بصورة رسمية انه ربط موافقته على الاشتراك فيها بالحصول على دعم نفطي مجاني وعاجل من الكويت في الوقت الذي كانت فيه ايران عاجزة عن تزويده بالكميات المتفق عليها نتيجة تقلص صادراتها بسبب الغارات العراقية على حقول النفط ومنشآت التصدير والناقلات الايرانية.

ويتردد ايضاً انه حصل في الوقت نفسه على مساعدة مالية عاجلة بلغت ٣٠٠ مليون دولار، كان بأمس الحاجة اليها في ظل الضائقة الاقتصادية الخانقة التي تعاني منها سورية.

٢ - مكاب سياسية تتعلق بشروط معينة يفرضها على القمة قبل انعقادها لتفريغ جدول اعمالها من اهم مضموناته تمهيداً لنجاحه في الدور الذي يقرر توليه داخل القمة عند انعقادها. وهو ما جرى حالياً، عندما اصر على توسيع جدول اعمال قمة عمان الاستثنائية... علماً بأن استثنائيتها متاتية بالاصل عن كونها مخصصة لقضية استثنائية داهمة ومحددة هي الحرب الايرانية - العراقية... والا لماذا لم تنعقد القمة العادية المقررة والمؤجلة منذ زمن طويل طالما ان جدول الاعمال سيكون مفتوحاً لقضايا عدة؟

● المحطة الثالثة: هي الدور الذي يلعبه داخل القمة وهو دور مزدوج ايضاً يتوزع:

بين السعي الدؤوب لاجهاض القمة والحيلولة دون خروجها بقرارات جدية تحقق الغرض القومي المعلق عليها (كما جرى في اجتماعات وزراء الخارجية التي انعقدت بغرض دراسة العلاقات مع ايران في ظل تطورات الحرب وتصاعد الاعتداءات الايرانية على الكويت والسعودية وغيرهما من الدول والمصالح العربية الحيوية، فنجح النظام السوري عن طريق الابتزاز بتأجيل القرار في المرة الاولى ثم بتعليقه بحجة القمة الاستثنائية في المرة الثانية).

وكذلك بين السعي لابتزاز الاطراف المعنية ثمناً لاي موافقة مطلوبة منه على اي مشروع قرار او توصية مهما كان حجم واهمية هذا القرار او تلك التوصية.

ولا ننسى في هذا المجال ان النظام السوري الذي يعتبر طرفاً اساسياً في كل القضايا العربية الهامة وذا دور تخريبي فيها، يشدّدون في هذه المحطات الثلاث على ضرورة ابعاده من دائرة الاتهام او المحاسبة والا فإنه مستعد للاستنكاف او المقاطعة حتى في آخر لحظة، كما جرى مع قمة عمان السابقة عام ١٩٨١.

هذا الاسلوب في تعاطي النظام السوري مع موضوعة التضامن العربي بشكل عام، ومع مساعي عقد مؤتمرات القمة بشكل خاص، بات نهجاً واضحاً في سياسة هذا النظام، وهو نهج معروف لكل المعنيين بالقمة ومؤتمراتها. غير ان اسباباً كثيرة (احدها فقط هو دور سورية الهام الذي يصادره النظام الحالي ويتفنن في تسويقه) لا تزال تمكنه من النجاح في ابتزاز الجهات المعنية، وجعلها تستجيب لمناوراته بالصورة التي يراها!!

قمة عمان الاستثنائية

وعلى ضوء هذا النهج الواضح والمفضوح سنحاول قراءة الكيفية التي تعامل بها النظام السوري مع القمة العربية الحالية باعتبارها نموذجاً للابتزاز «السوري» من جهة، وللقبول به من جهة اخرى!

- اولاً: لقد انطلقت الدعوة لهذه القمة الاستثنائية اساساً من المساومة بين الابتزاز والخضوع له، إذ كانت نتيجة مباشرة لمسعى النظام السوري الرامي الى تأجيل اتخاذ قرار عربي بصدد الموقف من ايران واعتداءاتها - كما اشرنا سابقاً - والا لكان من الضروري عقد القمة العادية المؤجلة منذ خمس سنوات بالرغم من وجود اكثر من مبرر وضرورة لعقدها في كل سنة من هذه السنوات الخمس المنصرمة... وحول موضوع القمة وضروراتها نقتطف هنا فقرة، من كتاب صادر حديثاً بعنوان «الصراع على لبنان» لمؤلفته تابيثا بيتران، تتعلق بالموقف العربي الرسمي من احداث لبنان بين حرب السنتين عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦ وبين غزو لبنان عام ١٩٨١... فيقول:

«لقد هُزم، في النهاية، التحالف الوطني اللبناني - الفلسطيني (في حرب السنتين) على ايدي الميليشيات اليمينية المارونية المدعومة من

«اسرائيل» والاردن وسورية وعروش النفط العربية ومصر والولايات المتحدة الاميركية. وعندما وضع الحكام العرب نهاية لتلك الحرب في تشرين الثاني ١٩٧٦ فانهم فعلوا ذلك في سياق سياستهم المستمرة التي تستهدف تصفية التيارات الشعبية والديمقراطية والوطنية في العالم العربي. كما أن سلبيتهم المطلقة في صيف ١٩٨٢ ـ لم تتحرك حكومة عربية واحدة لمساعدة اللبنانيين والفلسطينيين العرب في مواجهة غزو من قبل احد اقوى الجيوش في العالم. اكثر من ذلك لم تقم واحدة من هذه الحكومات حتى بالدعوة لعقد مؤتمر قمة يحدد موقفاً موحداً ـ إن هذه السلبية قد انطلقت من السياسة المستمرة نفسها» (الطبعة الانكليزية ص ١٨).

نعم... لقد مرت خلال السنوات الخمس الماضية اكثر من مرحلة كانت مليئة بالضرورات الملحة لعقد القمة العربية المؤجلة ومن بين هذه الضرورات: التطورات المختلفة والخطيرة للحرب الايرانية ـ العراقية وابرزها فضيحة التحالف الايراني ـ الصهيوني فيها... والتطورات الخطيرة ايضاً التي هددت وما تزال تهدد الثورة الفلسطينية وقضيتها القومية وابرزها حصار طرابلس والعدوان «السوري» المستمر على منظمة التحرير ثم حروب المخيمات المتلاحقة منذ اكثر من ثلاث سنوات برعاية النظام السوري وإدارته ودعمه... هذا بالاضافة طبعاً للتطورات الحاصلة في لبنان ذاته ومعاناة شعب لبنان غير المحدودة في ظل الانهيار السياسي والامني والاقتصادي الحاصل هناك.

والحقيقة، انه مهما كانت الاهمية التي ستثبتها قمة عمان الاستثنائية، يبقى قرار انعقادها مربوطاً بالمساومة بين معظم الدول العربية من جهة وبين النظام السوري من جهة اخرى حول الموقف من ايران واعتداءاتها.

ـ ثانياً: هذا من حيث شكل الدعوة للقمة، واما من حيث المضمون فالامر اكثر خطورة بما لا يقاس، وفيه اكثر من جانب:

أ ـ ان اي حوار عربي مسؤول حول الحرب الايرانية ـ العراقية وتطوراتها والاعتداءات الايرانية على اكثر من دولة عربية لا بد ان يتناول موقف النظام السوري نفسه من تلك الحرب ودوره فيها، وموقفه كذلك من فضائحها الكبيرة قبل انكشاف اسرار الصفقة الايرانية ـ الاسرائيلية ـ الاميركية وبعدها.

لا بد ان يُسأل النظام السوري عن هذا التطابق بين مواقفه من هذه الحرب وتطوراتها ودوره فيها، وبين مواقف العدو الصهيوني ودوره.

لا بد ان يُسأل عن شحنات الاسلحة الصهيونية لايران وهي تعبر الاراضي والاجواء السورية، وعن مشاركة اكثر من مسؤول سوري كبير في عقد صفقات هذه الاسلحة وقبض العمولات منها.

لا بد ان يسأل عن صفقة «فلاشا ـ ايران». فهو اجدر بالسؤال من الحكومة النمساوية التي احتج لديها السفراء العرب لان فيينا قد استخدمت نقطة عبور لليهود المهاجرين من ايران الى الارض المحتلة



لولا صمود العراق لما وجدتم مكاناً تجتمعون فيه

ولأن «هذا التطور ستكون له نتائج خطيرة بالنسبة للجانب العربي والمصالح العربية» كما جاء في بيان للجامعة العربية نقلته «رويتر» ونشرته صحيفة «السفير» اللبنانية المؤيدة لايران والنظام السوري على صدر صفحتها الاولى بتاريخ ١٠/١٠/١٩٨٧!

لا بد ان يُسأل بعد العدوان على الحرم وبعد سقوط الصواريخ الايرانية على ارض الكويت وغير ذلك من الاعتداءات، عن «تعهداته» المدفوعة الاجر و«ضماناته» بألا تطور ايران عدوانها على العراق باتجاه الدول العربية الاخرى. وبالذات الدول الخليجية!

ب ـ لم يكتف النظام السوري بالسعي لطمس هذه الاسئلة كلها من خلال موقفه «ايدّلع» تجاه قمة عمان الاستثنائية إذ ربط قبوله باستبعاد ذلك كله... بل اكثر من ذلك حصل مسبقاً على وعود من جهات معينة بأن القمة لن تخرج بقرار قطع العلاقات مع ايران... فقد نفت وكالة الانباء الفرنسية بتاريخ ١٩٨٧/١٠/٧ عن (مصادر دبلوماسية عربية في العاصمة الاردنية قولها ان الدول العربية لا تعتزم قطع علاقاتها الدبلوماسية مع ايران خلال القمة العربية الطارئة. لان مثل هذا الاجراء «لا يشكل حلاً» للحرب العراقية ـ الايرانية... وان اي «موقف متطرف» لن يحظى باجماع عربي. وسيتجه القادة العرب على الارجح الى اتخاذ موقف «عملي»).

جـ ـ وبحجة «الاجماع» الذي يستوجب الحضور السوري، نجح النظام المذكور في ابتزاز الدول العربية الاخرى الموافقة على توسيع جدول الاعمال بحيث اصبح يتضمن بنداً يتعلق بـ «المؤتمر الدولي بشأن القضية الفلسطينية... والصراع العربي الاسرائيلي ودعم دول المواجهة».

وفي هذا البند اكثر من جانب... واكثر من مطب. فالمعروف بالنسبة للمؤتمر الدولي ان العقبات التي تحول دون انعقاده ليست قائمة في الوضع العربي. بل هي محصورة بالموقف الصهيوني المتعنت ضد المؤتمر، والمدعوم من قبل الولايات المتحدة... اما الجانب العربي فله في هذا الامر مواقف واضحة ووثائق مقرة جماعياً كما في قرار قمة ناس. فهل يشكل اصرار النظام السوري على ادراجه في جدول اعمال القمة الحالية مسعى لتعديل الموقف العربي واجراء تراجعات معينة فيه؟ وهل تكمن وراء هذا المسعى محاولة مبيتة لاجراء مساومات داخل المؤتمر تتعلق بصيغة التمثيل الفلسطيني مثلاً، او بغير ذلك مما يشكل ـ حتى الآن على الاقل ـ ثوابت في الموقف العربي الرسمي من هذا الموضوع؟

هذا من جانب، اما من الجانب الآخر فيبدو ان النظام السوري قد ربط موافقته على القمة بمسالة «دعم دول المواجهة»... فمن المعروف ان قرار الدعم الذي يمنح النظام السوري اكثر من مليار دولار سنوياً كان قد اتخذ في قمة بغداد عام ١٩٧٨ لمدة

عشر سنوات تنتهي هذا العام... ومن الواضح ان النظام السوري يريد من قمة عمان ان تتخذ قراراً جديداً بهذا الصدد او تجدد القرار القديم وتمدده.

وهكذا، بدلاً من ان يكون النظام السوري متهماً في قمة عمان ومسؤولا عن مواقفه التخريبية من القضايا القومية المصرية، يتحول بالابتزاز الى مطالب للقمة بأن تقدم له اموالاً لدعم «صموده» !! وأي صمود!

- ثالثاً: اذا اخذنا بعين الاعتبار ان النظام السوري يعد نفسه للذهاب الى القمة وهو مسلح بقدرته على الابتزاز وكذلك بالمرحلة المستجدة في علاقاته الخاصة مع الولايات المتحدة خصوصاً والغرب بصورة عامة، ندرك خطورة الدور الذي سوف يلعبه داخل القمة لاستكمال تفريغها من اي قدرة على التعامل الجدي والمثمر مع القضية التي انعقدت من اجلها وهي الحرب الايرانية - العراقية واعتداءات ايران المتكررة على الدول العربية الاخرى.

ومن قال ان «الاجماع العربي» الذي يتمسك به النظام السوري للحصول على اكثر قدر من المكاسب ثمناً لحضوره القمة لن يتحول الى مقولة مرفوضة من قبل النظام نفسه عندما يتعلق الامر بالموقف من ايران... باعتبار ان هذا «الاجماع» يحول الحرب الايرانية - العراقية «الى حرب فارسية - عربية وفي ذلك ضرر للمصلحة القومية» على حد قول وزير خارجية النظام السوري فاروق الشرع خلال المؤتمر الصحافي الذي عقده في دمشق قبل ايام بمناسبة زيارة وزير الخارجية الفرنسي برنار ريمون لسورية؟!

والحقيقة الصارخة، في الختام، هي ان هذه القمة بالرغم من كل هذا الابتزاز «السوري» قد تكون فرصة هامة جداً في سبيل مجابهة الاخطار المصيرية المحيقة بقضايا الامة العربية وحتى بمصيرها ككل، فهي الفرصة الاولى التي امكن فيها عقد لقاء على هذا المستوى لمعالجة قضية داهمة بخطورة الحرب الايرانية - العراقية ومضاعفاتها والاعتداءات الايرانية على الدول العربية الاخرى.

غير ان هذه الفرصة ستظل مشدودة بين طريقين:

- الأول: هو الجدية في مجابهة موضوع اللقاء واتخاذ القرارات الحازمة والملزمة في مواجهته، بما في ذلك الوقوف امام التواطؤ والمتواطئين مع اعداء الأمة العربية والمعتدين عليها.

- والثاني: هو الخضوع لابتزاز النظام السوري، والقبول بمناوراته لشد القمة عن مهمتها الاساسية وتفريغها من اي مضمون بحجة «الاجماع» الشكلي!

فأي طريق يختار الحكام العرب؟!

هل يستجيبون لمصلحة الامة وقضاياها ومصيرها ام يستجيبون لابتزاز نظام غارق في الادوار المعادية لتلك المصلحة والقضايا والمصير؟!

هذا هو السؤال الذي يحدد هوية هذه القمة العربية الاستثنائية.

عدنان

حرب تطويع الفلسطينيين تسقط في شرق صيدا

التوافق السوري - «الاسرائيلي» ضد الوجود الفلسطيني في لبنان

المقاومة تستعيد زمام المبادرة في الجنوب والاراضي المحتلة، وبري «مالك الحزين» الذي تأتيه الرياح من كل الجهات

هل يلوح في الافق احتمال بامكان إنهاء الحرب ضد المخيمات الفلسطينية في لبنان؟ هذا السؤال طُرح في مطلع شهر أيلول/سبتمبر الماضي، عندما بادر رئيس ميليشيا «امل» نبيه بري الى الدعوة الى وقف الحرب بين مسلحيه والفلسطينيين، والسعي الى الاتفاق على مشروع سياسي يضع حداً نهائياً للحروب العسكرية والسياسية والاعلامية. واعتبرت منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة برئيسها ياسر عرفات دعوة بري اساساً يمكن التفاوض انطلاقاً منه لبناء علاقات وطنية وقومية بين المخيمات الفلسطينية ومحيطها اللبناني اياً كانت توجهات ذلك المحيط، لان الحروب التي تفتحها اطراف لبنانية واقليمية، من وقت الى آخر، ضد المخيمات الفلسطينية، تحد من فاعلية المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني في الجنوب اللبناني والاراضي العربية المحتلة. ومما


نبيه بري... شؤون «أمل» الداخلية

شجع منظمة التحرير الفلسطينية على اعتبار دعوة بري اساساً يمكن التفاوض عليه، ان دعوته جاءت في اعقاب حملات اعلامية وانتقادية عنيفة بين بري وبعض قيادات «حزب الله» ذي التوجهات الايرانية، الامر الذي جعل المراقبين يرجحون اندلاع القتال بين «امل» و«حزب الله». وصاحب تلك الحملات معلومات تفيد ان دمشق كانت وراء دعوة بري بهدف التفرغ لمواجهة استحقاقات لبنانية وعربية داهمة، ابرزها: انتخاب رئيس المجلس النيابي في العشرين من الشهر الجاري، وانتخاب رئيس الجمهورية في صيف العام المقبل وانعقاد القمة العربية المرتقبة في الاردن. وتفضل سورية ان تقفل الجرح الفلسطيني، مؤقتاً، لتتمكن من ادارة معاركها في مواجهة المعارضين لدورها ولتأثيرها في رئاسة المجلس النيابي ورئاسة الجمهورية. كما تفضل، في الآن نفسه، ان تذهب الى القمة العربية، من دون ان تواجه بسهام الانتقادات لدورها في الحرب ضد المخيمات الفلسطينية. فحضور القمة العربية، بالنسبة الى الرئيس السوري، في ظل خفوت المدافع والقذائف ضد المخيمات الفلسطينية، وفي ظل هدوء امني نسبي، يتيح له الظهور بمظهر المحايد، لا بمظهر الفريق الاساسي المتورط في الحرب ضد الفلسطينيين، والمتدخل في الصراعات، او المؤجج لنيران الصراعات بين الميليشيات والاطراف اللبنانية.

شروط بري التعجيزية

اذا كانت الصورة كذلك، فلماذا اندلعت الحرب مجدداً ضد الفلسطينيين في شرق صيدا؟

المطلعون على الوقائع والحقائق يقولون، إن اندلاع الحرب مجدداً في بلدات وقرى شرق صيدا، تم في اعقاب عودة رئيس ميليشيا «امل» نبيه بري من العاصمة السورية الى بيروت، مضيفاً الى دعوته شروطاً تعجيزية لوقف الحرب. وقد لخص شروطه التعجيزية على النحو التالي:

١ - انسحاب المقاتلين الفلسطينيين من بلدات وقرى شرق صيدا بصورة نهائية وناجزة الى المخيمات، وتسليم تلك البلدات والقرى الى مسلحي ميليشيا «امل». ويعني ذلك سيطرة «امل» على البلدات الاستراتيجية المشرفة على مخيمات صيدا،



المخيمات الفلسطينية.. منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد

مع ما يعنيه من عودة الى الخطف والقنص، والحصار.

٢ ـ إقامة مراكز عسكرية ثابتة داخل المخيمات الفلسطينية في الجنوب اللبناني، تشارك فيها عناصر مسلحة من «امل» ومن جبهة «التوحيد والتحرير» التي تديرها سورية.

٣ ـ إقامة مراكز عسكرية داخل المخيمات الفلسطينية في الضاحية الجنوبية القريبة من بيروت الغربية، تشارك فيها القوات السورية.

٤ ـ يتم، بعد تنفيذ تلك الخطوات، ادخال المواد الطبية والمؤن الغذائية الى المخيمات الفلسطينية.

ويتضح من الشروط التعجيزية التي اضافها بري الى دعوته وقف الحرب، الى عزل المخيمات الفلسطينية وتشديد الحصار حولها، لوقف دورها في مد المقاومة في الجنوب اللبناني، فضلاً عن انتزاع حقها في الدفاع عن النفس وحق منظمة التحرير في الاشراف على المخيمات وادارة شؤونها السياسية والعسكرية.

ومع ذلك جنحت منظمة التحرير الفلسطينية، في اتجاه تحريك الموقف نحو إنهاء الحرب، فنفذ المقاتلون الفلسطينيون انسحاباً جزئياً من شرق صيدا، وتسلم جيش التنظيم الشعبي الناصري الذي يقوده المهندس مصطفى سعد، المناطق التي كانت تحت سيطرة المقاتلين الفلسطينيين، لكن مسلحي «امل» لم يلبثوا ان شنوا سلسلة من الهجمات الواسعة ضد الجيش الشعبي الناصري، الامر الذي جعل المقاتلين الفلسطينيين يتدخلون مجدداً، ويرجحون كفة الجيش الشعبي على كفة «امل» التي تعاني من تفكك سياسي وعسكري.

لم يعد، ثمة، ادنى شك ان الوجود الفلسطيني في لبنان، يتعرض لهجوم عسكري وسياسي من ثلاث قوى، تتوزع الادوار بينها، بهدف تحجيم الثورة الفلسطينية، بعد ان استحال القضاء عليها، وكذلك تحجيم دور ياسر عرفات الذي استطاع ان يرصّن وحدة المنظمة رغم كل المحاولات التي بذلتها وتبذلها دمشق، وان يعمق الثورة داخل الارض المحتلة.

وتتمثل القوة الاولى في الحرب ضد الوجود الفلسطيني، بالكيان الصهيوني الذي لا تتوقف طائراته الحربية عن شن الغارات ضد المخيمات والمواقع الفلسطينية في الجنوب والبقاع والشمال. وتعتبر تل ابيب انها فشلت في عزل المخيمات الفلسطينية عن قطاع واسع من اللبنانيين الذين يتعاطفون معها سراً وعلناً. ولذلك فان الحلول الصهيونية، بدءاً من الترتيبات الامنية وانتهاء بالشريط الحدودي الذي تحتله القوات «الاسرائيلية» عجزت عن تحقيق اختراق حقيقي في صفوف المخيمات الفلسطينية... والقوى اللبنانية المؤيدة لها. ويقابل الغارات الصهيونية صمت سوريّ مطبق. وهو صمت يثير الاسئلة، ويعيد الى الذاكرة الكلام عن التوافق السوري ـ الصهيوني على لبنان والفلسطينيين.

اما القوة الثانية في الهجوم ضد الوجود الفلسطيني، فتتمثل في النظام السوري الذي خاض حروباً عديدة ضد الفلسطينيين في الشمال والبقاع والضاحية الجنوبية. وسعى النظام السوري الى تقسيم الفلسطينيين بين «عرفاتيين» و«انقاذيين» فسقطت تلك المقولة داخل المخيمات في لبنان قبل ان تسقط في المجلس الوطني الذي انعقد في الجزائر. ويعبر عاصم قانصوه امين عام حزب السلطة السورية في لبنان، عن اهداف النظام السوري عندما يعلن «ان على المقاتلين العرفاتيين ان ينسحبوا من شرق صيدا ويعودوا الى معسكراتهم، وان يعود الذين اتوا من المنطقة الشرقية الى الشرقية». وهكذا يعتبر النظام السوري الفلسطينيين منقسمين الى «عرفاتيين» وغير «عرفاتيين». وهو كلام لا يستند الى اية حقائق ومعطيات.

والقوة الثالثة هي ميليشيا «امل» التي تقف على حبل التوافق السوري ـ الصهيوني. وتلعب هذه القوة دور الشرطي الذي يسعى الى قمع المخيمات الفلسطينية بالسلاح الذي تتلقاه من دمشق وتل ابيب في آن. غير ان التفكك الداخلي الذي اصيبت «امل» به في مواجهة الوحدة الفلسطينية، جعلها تتكفىء عسكرياً وسياسياً. وقد باتت، في الفترة الاخيرة، بحاجة الى دعم سوري علني شبيه بالدعم الذي تلقته في حروبها ضد المخيمات الفلسطينية في الضاحية الجنوبية.

اما منظمة التحرير الفلسطينية فتصر على موقفها في تمثيل المخيمات وادارتها في لبنان. وقد نجحت المنظمة في توسيع دائرة مقاومتها ونقل المعركة من شرق صيدا الى مقاومة الاحتلال الصهيوني في الجنوب اللبناني، وتوسيع العمليات العسكرية ضد قوات الاحتلال، فضلاً عن الانتفاضة العسكرية داخل الاراضي العربية المحتلة، التي يتوقع المراقبون لها ان تزداد اتساعاً وحدة، الامر الذي سيجعل الانظار مشدودة الى المقاومة الفلسطينية، في الوقت الذي ستُحرج فيه سورية و«امل»، خصوصاً على ابواب القمة العربية المقبلة.

وفي كل الاحوال، فان الحرب ضد الوجود الفلسطيني في لبنان، تسير كما هو مرسوم لها في ظل التوافق السوري ـ الصهيوني ـ فعندما تبلغ ذروتها ويحقق المقاتلون الفلسطينيون انتصاراتها، تدفع سورية بنبيه بري نحو تهدئتها، فتتقدم الطائرات العسكرية الصهيونية لتنفذ غاراتها. والغارة الاخيرة ضد احدى قواعد الجبهة الشعبية في سهل البقاع الذي تعتبره سورية خاصرتها الامنية، واجهتها القوات السورية واجهزة الاعلام في دمشق، بالصمت. ثم عندما تتوقف الطائرات العسكرية الصهيونية عن تنفيذ الغارات ضد المخيمات الفلسطينية، تحرك سورية نبيه بري الذي يشبهه اللبنانيون بـ «مالك الحزين»، ضد المخيمات الفلسطينية، من دون اي تبدل حقيقي، او احتمال جدي بامكان إنهاء الحرب ضد المخيمات.

وبانتظار تبدل المعطيات العربية يبقى نبيه بري «مالك الحزين» الذي اذا اتته الرياح من كل الجهات، يخبىء رأسه بين جانحيه، فينقض الثعلب عليه كما في حكاية ابن المقفع.

فواز كلش

في افق البحث عن بناء المغرب العربي

الوحدة الليبية - الجزائرية مؤجلة وفكرة المغرب العربي ما زالت الحلم الجميل

هل ينجح صندوق النقد الدولي في ما فشل فيه أبناء المنطقة؟

كتب محرر شؤون المغرب العربي

في نهايات اشهر الصيف يأخذ النشاط السياسي في بلدان المغرب العربي مظهر الحيوية والاستئناف رغم انه لا يتوقف ابداً، بكيفية قطعية نظراً لوجود قضايا ومشاكل لا تسمح ديمومتها بأي توقف او ارتخاء. وفي محافل البلدان المعنية يمتد الاستئناف الى مختلف المجالات والقطاعات، وهذا بصرف النظر عن وجود او غياب عناصر تجديدية وايجابية من خلال ما يمكن ان تقدم عليه اي جهة في هذا المجال او ذاك، وفضلاً عن مفهوم التجديد ونسبيته بين القوى المشاركة او المتضاربة في الوطن الواحد، وهو ما يصدق، بصفة خاصة، على المغرب وتونس حيث يجوز التحدث، ونسبياً، دائماً، عن تعددية في المنابر السياسية والاجتماعية.

لكن هل من الجائز حقاً ان نبحث عن ظواهر وفعاليات النشاط السياسي بصورة جمعية في منطقة باكملها لا يسمح وضعها الراهن بتعيين محاور مشتركة ومتضامنة؟ وهل من الجائز، ايضاً، ان نتحدث عن سياق سياسي في مجال جغرافي لا توجد صيغة المغرب العربي فيه الا كتصور نظري وتطلع محلوم به عبر اجيال؟ وإن لهذين التساؤلين جدارتهما واوليتهما سيما وان الحديث والالحاح على الصيغة ذاتها لا تمل منه الاوساط الرسمية، في هذه العاصمة وتلك، رغم اشتداد وطأة التناقضات والاصطفافات حوله، ومن ثم فالجواب الاليق بالتساؤلين الآنفين ينبغي ان ينطلق من فرضية فحواها ان فكرة المغرب العربي تعد حقاً محور اللقاء - الافتراق بين بلدانه، وبالتالي فهي اهم وابرز عملية سياسية تستانف بها بلدان شمال افريقيا نشاطها الرسمي عقب نهايات اشهر الصيف، ولنا ان نضيف فرضية اخرى محتواها ان الفكرة نفسها،



الحبيب بورقيبه: جاهر بالاعتراض

بخطواتها المتضاربة ستكون ابرز ما ستتفاعل به المنطقة الى شهور الصيف القادمة. وما لنا لا نذهب الى ان الاهمية التي نوليها الى هذا الموضوع، وكذا الاولوية، هي فرضية ثالثة في حد ذاتها. على ان هذا التقدير الاخير اذا كان مشبعاً ببعض التمني فإنه مُبنى بالاساس على قاعدة السياسة الافقية التي تشترك فيها العواصم الشمال افريقية، بل لعل هذه القاعدة هي السائدة وحدها في مجمل الوطن العربي والتي تشخصها اجتماعات الجامعة العربية ومؤتمرات القمة ايضاً. وهذا بالطبع، على حساب الارتباطات العضوية وما يتصل بقاعدة السياسات ذات الطبيعة العمودية حيث تكمن اكبر ازمات الجماهير العربية.

الطموح والمشروعية التاريخية

وعلى نهج القاعدة الاولى يحتاج المراقب، كلما تأججت فكرة المغرب العربي في افق الوحدة الذي يسندها وهي مداه، الى ان يتساءل عن مصداقية القضية ككل، او بالاحرى فإنه النظرة غير التعميمية تملي علينا الرغبة في معرفة ما إن كان هذا التطلع، رغم ما يملك من مشروعية تاريخية، هو طموح حقيقي ام مجرد مهرب وتعلة في الآن عينه. وبدءاً فلن يجادل احدٌ في الطموح ما دام شعاراً لا يكلف شيئاً كما ان الانجراف معه صالح لان يستعمل كورقة للمزايدة السياسية اذا ما تطلب الامر ذلك. غير ان الواقع اليومي لا بد ان يمتحن الشعار ويكشف مثلاً كيف انه يمكن ان يستخدم كمهرب. من ماذا؟ اساساً من عجز الدولة القطرية من بناء نفسها وحاجتها الماسة الى مخارج لتصريف عوائقها الهيكلية وازمات تسييرها البالغة التناقض بين النظرية والممارسة. انها الحاجة، كذلك، الى الافق الذي لا يتطلب ضوابط وتحديدات وجداول زمنية، دقيقة تنزع اليه هذه الدولة، وهي في خضم سعيها لتأسيس ذاتها وتراكم الفشل فوقها، فلا تجد افضل من ترديد ان وحدة المغرب العربي هي البند الاول في جدول اعمالها ودعك من انها الهدف الاسمى لجماهيرها. اما استخدام الشعار ذاته تعلة فإن الجواب عنه يكاد يكون من جنس الجواب الاول مع فارق ان جوع البعض الى الدولة عند البعض، اذا صح التعبير، هو ما يجعل السعي الى تحقيق الهدف يظهره نهماً وهو ما يترجم مفضوحاً او مضمراً في نوايا التوسع وعقد الاحلاف الظرفية وتلبيس التكتلات الجهوية المسرح الايديولوجية البراقة.

وإذن، ففي كلا الحالتين تظل الفكرة عرضة للتشكيك حتى وهي تأخذ صبغة اليقين ووهمه، وتبقى اكثر من هذا متقاذفاً بها في خضم التناحر القطري الذي لا يبيح الافضلية لاي قطر ما دام البيت «الديمقراطي» لانظمة المنطقة من زجاج، واحياناً لا شيء.

والآن، واذا ما اقتحمنا حقل السياسة العملية مباشرة فإننا سنجد الاشياء، ومن حيث مظهرها الخارجي، على الاقل، تأخذ مساراً متميزاً ومصطنعاً لبعض الحيوية، فبين الجزائر العاصمة، تونس

العـاصمـة. وطرابلس تعرف فكرة المغرب العربي اليـوم تألقـاً جديداً علماً بأن الرباط لا تغيب عن اشعاعه وخاصة من جانب الحاح الحركة الوطنية والديمقراطية المغربية. وفي الجزائر، تحديداً، تتخذ الفكرة صورة خطة سياسيـة متعـددة المحاور، موسعـة الاتجاهـات والاهـداف بمـا يشبـه الاستراتيجية التي تريد هذه الدولة تبنيها للمنطقة كلها انطلاقاً من اختياراتها وحساباتها الخصوصية هي. إننا نعرف ان الجزائر طرحت منذ سنة ١٩٨٣ معـاهـدة الاخـاء والوفـاق كإطار تشريعي وعملي لاشكال ومضامين التعاون التي ترتئي قيامها بينها وبـين «جيرانها» العرب في شمال افريقيا، واطراف المعـاهـدة منـذ تاريخ ظهورها الى الوقت الحاضر محصورة في اصحاب المبادرة اولاً، وفي تونس ثانياً واخيراً في موريتـانيا. ولم يسمح لليبيا الالتحاق بالمعاهدة لسبب رئيسي هو عدم تجاوبها مع المطلب الجـزائـري الداعي الى تصفيـة النزاع الحدودي القائم الى اليوم بين البلدين، وذلك نظير ما تم مع نواكشـوط وتـونس إذ بهذا الثمن انخرطت هاتان العـاصمتـان في المعـاهدة وقبلتا الاندماج في كتلة سيـاسيـة جهـويـة، وجرى هذا، ايضاً، بناءً على حسـابـات مدروسة. فمن الجانب الموريتاني كان نظام الرئيس الموريتاني السابق محمد ولد هيدالة، فضلاً عن هشاشته، رهيناً بنفوذ جبهة البوليزاريو واصبـح بسط الحماية الجزائرية على هذا النظام امراً بدهياً مع ما يليه ويقترن به من تقديم العون العسكري والمالي والتنموي، وهذا كله في مواجهة المغرب الذي ينشر سيادته على الاقاليم الصحراوية التي كانت خاضعـة حتى سنـة ١٩٧٥ للاحتـلال الاسبـاني؛ اما تجاه تونس فإن احداث ضرب من التـوازن مع الجـار الليبي ان لم نقـل نوعـاً من التحـذيـر لتطلعـاته واستفزازاته كان له التأثير الحـاسم في قبـول التـونسيـون للذهاب في منهج التكتل المقترح من الجزائر. وواضح بلا موارية ان مبدأ التكتل بين شركاء المعاهدة او بين كل من يرغب في الالتحـاق بهـا يقـوم على اعتبـار «الجمهـوريـة العربية الصحراوية» عضواً شريكاً بلا منازع.

على ان ما غاب عن بال اصحاب هذا التكتل، او ما حاولوا التغـطية عليه هو استحالة قيام هيكل تنـظيمي وتعـاوني متكامل عنوانه ومادته المغرب العربي بدون وجود المملكة المغربية عضواً شريكاً وفاعلاً. ذلك ان هذا الغياب في حد ذاته شكل اول احباط لمقدرة المعاهدة على ان تتحول الى اطار عمل شمـولي واستـراتيجي في شمـال افـريقيـا، وجعل المسؤولين التونسيين يتنبهون في مرحلة تالية، الى ان اسقاط المغرب الاقصى من الحساب، وهو الممتلك لكل مقومات الدولة، والقدرة على المناورة على خارج الحـدود الاقليمية، انما يضر الشركاء العزّل. هذا الانتبـاه التونسي هو ما يفسر، في تقديرنا، الفتور والتضـارب في وجهـات النـظر داخـل العـاصمـة التونسية، في تأويل مفهوم التعاون في اطار المعاهدة.

لكن لا يمكن القـول بأن المغـرب ارتكب الخطأ الجزائري ذاته حين اقدم على ابرام معاهدة الاتحاد العربي الافريقي (اتفاقية وجدة في آب / اغسطس ١٩٨٤) مع ليبيا وذلك في ما يشبه تناقضاً علينا مع قوانـين الجغـرافيـا وابجـديـة السيـاسـة؟ في هذه المعاهدة نفسها طرحت صيغة بناء المغرب العربي انـطلاقـاً من ان اتفاقية وجدة، مفتوحة لكل ابناء المنطقة، بل ان هؤلاء استشيروا في الامر وعرض على الجـزائر الالتحاق الفوري، وكان من الطبيعي ان ترفض بل وان تعتبر هذه المعاهدة الثنائية بمثابة تكتل جهوي مناهض لاستراتيجيتها. وان تندد بها متناسية انها هي البادئة في سلوك هذا الطريق. بيد انه من الضروري التنبيه الى ان الاتحاد المغربي ـ الليبي، في عرف غـالبيـة المراقبين، لم يأخذ حجماً مبـالغـاً فيـه، ويـنظر اليه كاتفاقية املتها ظرفية معينة قابلة للزوال بزوال اسبابها الى حد انه وصف بالزواج غير الشرعي نظراً للتضـارب المطلق بين النـظامين المتشاركين فيه واختياراتهما واحلافهما، ولقد كان إختفاء الاتحاد، في النهاية، ولو من طرف واحد، جزءاً من خطة البدء فيه.

غايتنـا الوصول الى القول بأنه لا يصح وضع معاهدة الاخاء والوفاق، وعملية الاتحاد المغربي ـ الليبي في كفة متعادلة، من جهة، والقول كذلك بأن كلتـا الصفقتـين فشلتـا في طرح التصور المناسب والصيغ الممكنة لبناء جدي وخال من اللبس لهيكل المغرب العربي، من جهة ثانية. وفيما امسى الاتحاد اليوم في خبر كان الا ما نعلمه من تشبث طرابلس باستمـراره فإن معـاهدة الوفاق باقية ونعتقد ان الجزائر مصممة على الحفاظ على وجودها باعتبارها افضـل اطار لتنظيم علاقات الشراكة والتعاون في المنـطقة وهذا رغم شعار الوحدة الذي يتردد منذ شهـور بين الجـزائريين والليبيين.

فالمسألة تتدرج في البداية في مسلسل التقارب بين البلدين وخـاصـة بعـد اللقاء الذي جمع العقيد القذافي والرئيس الشاذلي بن جديد في عين امناس (٢٨/١/٨٦) وما اعقب ذلك من اتصالات ثنائية بين عاصمتي البلدين، ونخصص منهـا حلول الوزيـر الاول الجـزائري السيد عبد الحميد ابراهيمي في العـاصمـة الليبية (آذار/مارس ١٩٨٦). ثم زيارة الرائـد جلود للجـزائـر على رأس وفـد هام (حـزيـران/يـونيـو ١٩٨٧) واخيراً حلول القذافي بنفسه في ضيافة الرئيس بن جديد حيث تردد عالياً صدى كلمة الوحدة واثير افقها بكيفية علنية اعتبر تاريخ الفاتح من تشرين الثاني (نوفمبر) القادم هو المـوعـد الاقصى لابرامها. وقد اشترط لانجاز هذه الخطوة طرح وثيقة الوحدة على مواطني البلدين للتصويت شأن ما جرى تماماً قبيل ابرام معاهدة الاتحاد العربي الافريقي. واذا لم يبق على التاريخ الموعود سوى اسبوعين فإن المراقبين يلاحظون ان المسـؤولين الجـزائريين لا يشيرون الى الموضوع بتـاتـاً ولا يوجـد، ما يوحي بأنهم سيفعلون عما قريب، وإذا كان البعض يميـل الى الاعتقـاد بأن الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة قد ابدى تحفظاً شديـداً تجاه الوحدة الليبية ـ الجزائرية المرتقبة وصـارح ضيفه الجزائري جهاراً بالاعتراض لدى حلول الرئـيس بن جديـد قصر المـونـاسـتـير (٧/٧/٨٧) فإن هنـاك آخرين يرجحون ان تكون الجـزائر، وهي حريصـة على اخـذ وجهـة النظر التونسية بعين الاعتبار، ميالة بل مصممة اكثر من اي شيء آخـرى على الاحتفاظ بمعاهدتها كصيغة فريدة للتعاون، اي احتفاظها بالتكتل الجهوي في شمال افريقيا وزعامتها عليه بعيداً عن اي بدائل محورية او وحدوية ظرفية كما قد يؤول اليه الامر مع ليبيا ولن تلبث الايام ان تعبث به على غرار ما عبثت بمحـاور ووحدات ليبية سابقة. في حين ان هنالك من يذهب الى ان العلاقة الجزائرية ـ الليبية ما زالت تتلكأ تجاه قضية الوحدة، لعدم استعداد النـظام الليبي الاستئنـاف الجـدي للدعم المـالي والتسليحي لجبهـة البـوليساريو، ورفضه ايضاً، اتخـاذ صيغـة الوحـدة بمنـازلة المغـرب وعزله في المنـطقـة، ولقد طلبت طرابلس مؤخراً من الرباط، اجـراء اتصال عاجل بواسطة السيد عبد الواحد الراضي الذي كان يشغـل منصب الامـين العـام للاتحـاد العربي الافريقي، وحسب مصادر سياسية مغربية فإن العقيد القذافي ابلغ هذا الاخير رسالة شفوية الى الملك الحسن الثاني تشير بعض مقاطعها الى ان ليبيا متمسكة، من جديد باتفاقية وجدة، وان مسعاها للوحدة مع الجزائر، ليس بديلاً او نقضاً لها، بالاضافة الى ان ليبيا لا توافق على عزل المغرب وتـرى ان لا امكـانيـة لقيام مغرب عربي حقيقي، بدون ان تكون المملكة الغربية في قاعدته. في هذه الفتـرة نفسهـا اعلن محمـد الزوي الممثل الليبي للاتحـاد المقيم في الربـاط رفض بلاده لقيـام دولة صحراوية جنوبي المغرب.

لنعـد، من جديد، الى المنطلق، المنطلق الأمنية، فكرة المغرب العربي الكائنة بالحلم والمتململة على سبـاق الايـديـولوجيـا لكن التي تتعرض للنهش بأدوات السياسة البراغماتية كل يوم... ان العرض السابق توخى تقديم ملامح وقسمات صورة واسعة متشـابكـة ومتداخلة، وان كان من الصعب الوفاء لكافة مكوناتها، واذا كنا قد تجنبنا الحكم علناً على العواصم او الافراد فإننا ما استطعنا تجنب تحديد النوايا والمسؤوليات من ورائها اعتقاداً منا بأن كل قراءة صحافية تشهر براءتها او تزعمها، انما تفضح زيفها وضعفها.

واذا كانت الصورة على ما رأينا من التشابك فإن فكرة المغرب العربي والانتظامات الهيكلية والكتلية والمحـوريـة واشكـال القطائع داخل وخارج وعلى هامش هذه الفكرة وفي سبيل الوصول الى تحقيقها عملياً ستكون مرة اخرى، الشاغل الاول للسياسة الافقيـة لانـظمـة شمال افريقيا على امتداد العام الجـاري. ونزاع الصحراء شوكة في حلقها، ستظل بالتـالي، عاجـزة عن الاقتراب من التعاون والتآزر الحقيقيين، ولعل من المفارقة والمؤسي حقاً ان يصبح التعاون والتنسيق لمناهضة التيار الديني المتطرف، واعلان الطاعة لمقررات وتوجيهات صندوق النقد الدولي هو الجامع المشترك الوحيد لبلدان المنطقة. وربمـا تبلورت الخـطوات العملية لبناء المغرب العربي اذا ما اقره ذلك صندوق النقد الدولي يوماً، وكـذا المحـور الاستـراتيجي الدولي من ورائـه، وعنـدئـذ سندخل في عد جديد لن يكون بالضرورة عكسيـاً بل مثـيراً فقـط. خاصة في اعـين الابنـاء الشرعيين للحركة الوطنية والديمقراطية المغاربية.

مئتا مفكر وسياسي شاركوا في مؤتمر الخرطوم الشعبي

المؤتمر تعبير عن ضمير الأمة العربية

النضال من أجل استنهاض حركة شعبية لايقاف الحرب العراقية الايرانية

«يعتبر المشاركون ان المؤتمر بداية تحرك يعبر عن ضمير الأمة العربية، في واحدة من أهم قضاياها المصيرية، ويشعرون ان من اكبر دواعي الامل في تحركهم ما يلمسونه من تطلع الانسان العربي الى دور ايجابي لمواجهة التحديات الضخمة التي تحيط بالعرب والمسلمين كافة».

وردت هذه الفقرة في نهاية البيان الختامي الذي صدر عن مؤتمر الخرطوم الشعبي الذي دعت اليه «الجماعة الاهلية لتعزيز جهود ايقاف الحرب العراقية ـ الايرانية» وقد انعقد بين العاشر والثاني عشر من تشرين الاول الحالي، وشارك فيه قرابة مائتي شخصية تمثل كافةالاتجاهات السياسية والفكرية في ستة عشر قطراً عربياً.

حرب الخليج شاغل الجميع

موضوع المؤتمر «الحرب العراقية ـ الايرانية في اطارها العربي والاسلامي والدولي، وانعكاساتها على الامن القومي العربي، وخاصة القضية الفلسطينية، وعلى روابط الاخوة الاسلامية.

كان الحوار في اجتماعات المؤتمر العامة، او في اللجان الثلاث المنبثقة عنه، موضوعياً وايجابياً. إذا كان الهدف البحث عن وسائل ايقاف الحرب، وتحديد دور الاعلام والجماهير في تعزيز الجهود الرامية الى ايقافها.

وقد اتضح للمشاركين ان الحرب تهدد امن اقطارهم. ووحدة كيانها وسيادتها. وان العراق استجاب لكل نداءات السلام، وخاصة قرار مجلس الامن ٥٩٨، فاوقف اكثر من مرة قصف المدن من جانب واحد، وانسحب الى حدوده الدولية استجابة لدعوة المؤتمر الاسلامي، وامتنع عن ضرب الناقلات ليفسح المجال امام تنفيذ القرار المذكور. فيما اصرت ايران على استمرار القتال رافضة تحكيم العقل والمبادىء الانسانية والروابط الاسلامية.

وثبت للمجتمعين ان الحرب تشغل العرب عن «صراعهم المركزي مع العدو الصهيوني وتنال من امنهم القومي، وتعرض روابط الاخوة الاسلامية الى التمزق. والمنطقة كلها لمخاطر تواجد الاساطيل الاجنبية في المياه الاقليمية».

لذلك ايد المشاركون تضامنهم مع الشعب في العراق «في دفاعه المشروع عن ارضه وسيادته، دون ان يعني ذلك عداء لايران». وشددوا على اهمية الصداقة العربية الايرانية «باعتبارها قضية ستراتيجية تفرضها وشائج الاخوة الاسلامية السمحاء، وبتطلبها حسن الجوار القائم على المبادىء والاعراف الدولية».



سوار الذهب... اجماع عربي على البيان الختامي

ونبه المؤتمرون الى خطر تحول الصراع الى حرب عنصرية طائفية. لذلك دعوا جميع محبي السلام وذوي القدرة والغيرة من العرب والمسلمين، الى التصدي للحرب وشرورها.

ولم يتجاهل المشاركون في المؤتمر اثر انفراط عقد التضامن العربي، وتآكل ارادة الحكومات العربية، على استمرار الحرب. «فلقد انصرفت الدول العربية الى نزاعات وخلافات تهدد الانتماء العربي في الصميم. الامر الذي ادى الى تعذر قيام الحد الادنى من التضامن في وقت يتعرض فيه امن كل دولة عربية الى مخاطر جسيمة. وتتعرض فيه الساحة العربية على امتدادها الى انهيارات اقتصادية، ونزاعات مسلحة، وحروب اهلية».

وقد ربط المجتمعون بين هذا التردي العام وبين طمس حقوق الانسان العربي، والاستهانة بكرامة المواطن. والاصرار على تغييب دور الجماهير، وعدم اشراكها في اتخاذ القرار، وصرفها بوسائل الترغيب والترهيب عن التفاعل الايجابي مع قضاياها المصيرية. حتى باتت لا تشعر بالاخطار المحدقة، ولا تدرك ابعاد الوضع الراهن وما ينذر به من تمزيق الهوية العربية، ويهدد حقها في الحياة الحرة الكريمة.

وطالب المؤتمرون الدول العربية بأن تتحمل مسؤولياتها، وان تنظر الى الأمن القومي العربي باعتباره قضية واحدة، وان تحقق الحد الادنى من التضامن العربي «المتمثل في الالتزام بقرارات الجامعة العربية ومواثيقها من اجل صيانة امن البلدان العربية، وحماية الهوية العربية والاسلامية في المجتمعات العربية».

ودعا المشاركون كافة الدول العربية الى حضور مؤتمر القمة الذي سينعقد في عمان. في الثامن من تشرين الثاني القادم، وحذروها من الاستهانة بدور الجماهير العربية، والتماس الاعذار الواهية للتهرب من المسؤوليات القومية. واكدوا ان المخرج الوحيد من المأزق الراهنة، لا يتحقق الا «بالتزام هذه الدول باتفاقات ومواثيق واستراتيجيات العمل العربي المشترك. الجدير وحده بمواجهة الهجمة الامبريالية الشرسة، والصهيونية العالمية».

هذا، وقد طالب المؤتمر في بيانه الختامي «حكومة الجمهورية الاسلامية في ايران... بالاستجابة فوراً الى قرار مجلس الامن رقم ٥٩٨، وتنفيذه بحسن نية، بكل فقراته المدرجة فيه، اسوة بقبول حكومة الجمهورية العراقية له».

ودعا المؤتمر اخيراً المجتمع الدولي الى ان يتحمل مسؤولياته تجاه الامن والسلام في المنطقة والعالم. وطالب الدول دائمة العضوية في مجلس الامن ان تتخذ الخطوات العملية الفعالة لوضع قرار المجلس، نصاً وروحاً، بكل فقراته، وحسب تسلسلها، موضع التطبيق.

وقرر المشاركون في المؤتمر استمرار تحركهم من اجل ايقاف الحرب، واتفقوا على النضال من اجل استنهاض حركة شعبية قادرة على ابراز معارضة الجماهير العربية لاستمرار الحرب.

هذا وقد اعلن رئيس المؤتمر سوار الذهب ان الموافقة على البيان الختامي كانت اجماعية.

لبنان يواجه استحقاق رئاسة المجلس النيابي

هل بإمكان دمشق إنقاذ الحسيني من الهزيمة؟

وصول الجميع الى الحائط المسدود يحدد الخيارات بين التفجير والتعطيل

رئيس الجمهورية محاصر في قصر بعبدا. ورئيس الحكومة يحكم بالوكالة والتكليف. ومجلس الوزراء ممنوع عليه ان يحتج. اما مجلس النواب فيجتمع مرة او مرتين في السنة، للتصديق على مشروع برفع الدعم عن البنزين، مثلاً، والمؤسسات الحكومية خاضعة للميليشيات وللجيوش التي تحولت الى ما يشبه الميليشيات. فالقوات الصهيونية تحتل جزءاً غير قليل من الجنوب اللبناني، فضلاً عن طائراتها الحربية التي تحتل الاجواء اللبنانية من الجنوب الى الشمال. والقوات السورية تمسك بثلثي الاراضي اللبنانية، فضلاً عن سيطرتها على رئيس المجلس والحكومة، وهما ثلثا الشرعية ايضاً، املاً باحكام سيطرتها على الثلث المتبقي خارج إرادتها: رئاسة الجمهورية.

وفي ظل هذا الواقع، تستمر الحروب المتنوعة. حروب التجويع، والحروب السياسية والاعلامية والاغتيالات والتصفيات التي لا توفر احداً، اياً كان مستواه. واللبنانيون يسألون: لبنان الى اين؟ ويكاد جواب واحد يجمع بين المحاربين والمسالمين، وبين المسيطرين والمسيطر عليهم: لبنان الى الانهيار الشامل. فقصة اثينا التي حاصرها الاسبارطيون تتكرر في بيروت.

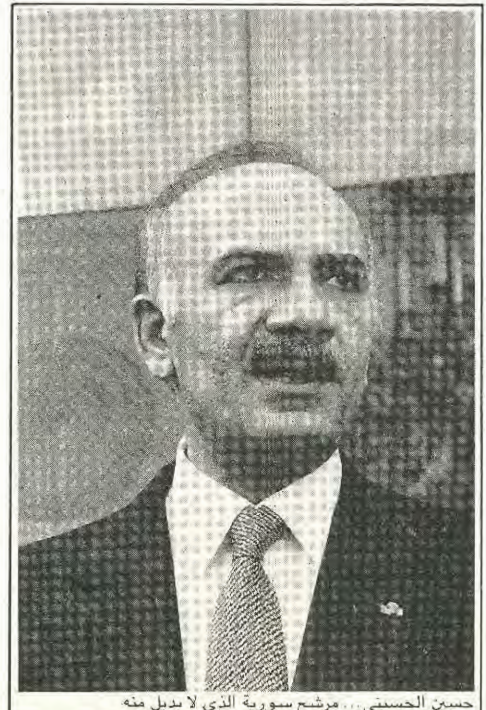
ولدى القوى العسكرية والسياسية اللبنانية، منها، والاقليمية، وربما الدولية، مادة جديدة



للسقوط في الجدل البيزنطي، وللعودة الى الاقتتال والتقاتل. ومادة الصراع الجديد، في هذا الاسبوع، هو انتخاب رئيس المجلس النيابي في العشرين من الشهر الجاري. ويندهش الذين يراقبون لبنان، ان يكتشفوا ان النواب اللبنانيين، ما زالوا ينتخبون رئيسهم. اي انه لا يزال لدى اللبنانيين حنين الى الدستور والقوانين وروائح الاقتراع. فالمؤسسة الوحيدة التي لم تسقط، ولم تُلغ، ولم تُدمَّر، وظل العمل سارياً فيها، هي الدستور اللبناني، وربما العلاقات الدستورية برمتها، بالرغم من المحاولات العسكرية والسياسية التي استهدفت الدستور اللبناني، والمؤسسات الدستورية، اكثر مما استهدفت الاوضاع السياسية. وكانت النتائج سلبية، فتمزق اللبنانيون، وتوزعوا في الداخل والخارج، وسقطت اراضيهم تحت الاحتلال، وبقيت الحياة الدستورية وانتخاب رئيس المجلس النيابي، ينظر اليه، على انه احدى القوى الشرعية الفاعلة. وتتعامل القوى المحلية والاقليمية والدولية، مع هذا الاستحقاق الدستوري، وفقاً لحساباتها ومصالحها. ولم يعد سراً ان رئيس المجلس النيابي الحالي حسين الحسيني، محسوب على سورية، وإن يكن، ثمة منْ يشير الى علاقات سرية يعقدها الحسيني من وراء ظهر سورية. ويذهب اولئك المطلعون على علاقات الحسيني السرية، الى حد القول ان الحسيني مرشح سورية لانها لم تجد مرشحاً آخر.

العلاقة الواهية

المهم ان لانتخاب رئيس المجلس النيابي اهمية غير عادية. وتعود هذه الاهمية، الى كون البعض يعتبرها صورة مصغرة لانتخاب رئيس الجمهورية في عام ١٩٨٨. اي ان الانتخاب الذي يجري في العشرين من الشهر الحالي هو «بروفة» للاستحقاق الدستوري المفترض ان يكون في شهر آب / اغسطس من العام المقبل. وقد يكون ذلك صحيحاً من الناحية النظرية، غير ان الاستثناءات التي حدثت في تاريخ انتخابات رئاسة الجمهورية، تبطل الاستنتاج النظري، وتفتح الابواب امام احتمالات ومتغيرات عديدة. فرئيس المجلس النيابي السابق كامل الاسعد، كان من اقوى المعارضين لترشيح قائد «القوات اللبنانية» بشير الجميل، ولانتخابه رئيساً للجمهورية. لكن المتغيرات التي طرأت منذ عام ١٩٨١، حتى الثاني والعشرين من شهر آب / اغسطس عام ١٩٨٢ تاريخ انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية، دفعت الاسعد الى ان يلعب دوراً أساسياً في تأييد الجميل وانتخابه. فمعركة انتخاب رئيس الجمهورية تختلف كلياً عن معركة انتخاب رئيس المجلس النيابي، وعن معركة تكليف رئيس لتشكيل الحكومة. وقد يكون العام ١٩٧٠ الذي انتخب فيه سليمان فرنجية رئيساً للجمهورية، شاهداً على ما يمكن ان يحدث في عام ١٩٨٨. وقد كان صبري حمادة عامذاك رئيساً للمجلس النيابي، واحد رموز الشهابية الكبار، فلم يستطع ان يرجّح كفة الياس سركيس المرشح الشهابي، على حساب كفة سليمان فرنجية مرشح تكتل الوسط الذي كان



حسين الحسيني... مرشح سورية الذي لا بديل منه

يضم الى فرنجية الاسعد ورئيس الحكومة الاسبق صائب سلام. ويضيف العارفون بانتخاب رئيس المجلس النيابي، وبالضغوط التي تصاحب انتخابه، والمناورات وسواها، ان ذلك الانتخاب يكشف اوراق النواب وانتماءاتهم وميولهم، وهو ما لا يحدث اطلاقاً في انتخاب رئيس الجمهورية، فضلاً عن التدخلات الاقليمية والدولية التي تصاحب انتخاب رئيس الجمهورية، بصورة لا تماثل ما يحدث في انتخاب رئيس المجلس النيابي. فانتخاب رئيس المجلس النيابي معركة مكشوفة بكل اسبابها ونتائجها، في حين أن انتخاب رئيس الجمهورية معركة مستورة الاسباب والنتائج. ولكن ذلك لا يمنع بعض القوى الاقليمية واللبنانية من الربط بين الاستحقاقين الدستوريين. فدمشق تعتبر اعادة انتخاب الحسيني رئيساً للمجلس النيابي مدخلاً الى انتخاب رئيس الجمهورية. ولذلك اتخذ النظام السوري موقفاً مؤيداً الى جانب الحسيني، املاً ان يستطيع تكرار انتخابات عام ١٩٧٦ التي انتهت بفوز الياس سركيس مرشح التسوية الاميركية ـ السورية عامذاك.

السيطرة على القرار

واذا كانت رئاسة المجلس النيابي تمثل ثلث الشرعية اللبنانية، فان النظام السوري الساعي الى السيطرة على الشرعية كلها يجعل من الانتخاب محطة رئيسية، خصوصاً انه يسيطر سيطرة شبه كاملة على الحكومة، في الوقت الذي بدأ فيه رئيس الجمهورية يجنح نحو معارضة الدور السوري في لبنان، ودعوة القوى الدولية والعربية الى تحمل مسؤولياتها، واخراج جميع الجيوش الاجنبية من اراضيه. فرئيس المجلس النيابي حسين الحسيني الذي وقف الى جانب رئيس الحكومة الراحل رشيد كرامي في تسهيل عودة القوات السورية الى بيروت الغربية في ٢٢ شباط / فبراير الماضي، من دون العودة الى المجلس النيابي، يرتاح النظام السوري الى استمراره في سدة رئاسة المجلس الذي بقي طوال سنوات الحرب خارج المعارك العسكرية، او على الاقل سعى الى لعب دور سياسي متميز، الى ان انتهى الامر به طرفاً من اطراف الصراعات والتدخلات. بل الى خرق الدستور في موافقة رئيس المجلس النيابي على سياسة مقاطعة رئيس الجمهورية. لذلك فان معركة الانتخاب الحالية، هي معركة عرض عضلات سياسية، ومعركة هيمنة وسيطرة، اكثر منها معركة اعادة انتخاب الحسيني رئيساً للمجلس للمرة الثالثة. ففوز الحسيني يعني بصورة او باخرى، سيطرة سورية على قرار المجلس النيابي، الى ان تحدث متغيرات تلغي تلك السيطرة.

معركة الهزيمة

على كل تحول انتخاب رئيس المجلس النيابي الى عنوان جديد من عناوين الخلافات بين القوى اللبنانية، وبين القوى الاقليمية نفسها. فبعض المراقبين يعقدون اكثر من صلة بين الحرب التي اندلعت في بلدات وقرى شرق صيدا، بين ميليشيا



كاظم الخليل... التعطيل لمصلحته

«امل» وجيش التنظيم الشعبي الناصري الذي يدعمه المقاتلون الفلسطينيون. ومن بين تلك الاسباب انتخاب رئاسة المجلس النيابي. وقد رمت سورية بكل ثقلها في تلك المعركة، للحؤول دون حدوث متغيرات عسكرية تؤثر على موازين القوى السياسية، في الوقت الذي اعتبرت فيه قوى سياسية اخرى، مؤشراً ايجابياً يضعف من دور ميليشيا «امل» حليفة النظام السوري. خصوصاً ان رئيسها نبيه بري اعلن تأييده لترشيح الحسيني، بالرغم من الخلافات القائمة بينهما، باعتبار ان الحسيني كان رئيساً سابقاً لـ «امل». علماً ان التناقضات والخلافات بين الحسيني وبري اقوى بكثير من تلك التي تربط بينهما. والمواقف بين الحسيني وبري، شبيهة بالمواقف بين الحسيني وجنبلاط، وبين «اللقاء الاسلامي»، وبين دمشق وقوى سياسية اخرى، مثل «القوات اللبنانية» او غيرها من القوى التي تخفي نياتها واهدافها. فالمرحلة دقيقة وحسابات الحقل قد لا تنطبق على البيدر. ويبدو ان المجلس النيابي بدأ يغرق في الرمال المتحركة، بعد الحكومة. وهو يتحول، يوماً بعد يوم، الى سبب للخلافات السياسية العميقة، بدل ان يكون سبباً وعاملاً من عوامل التوحيد.

وفي انتظار حصول الانتخاب في العشرين من الشهر الحالي، ما هي الاحتمالات المتوقعة؟

مصادر سياسية لبنانية اكدت على عدد من الاحتمالات، في حديثها عن الانتخاب، وهي:

ـ ان انتخابات رئيس المجلس النيابي ستكون ساخنة اكثر من اي مرة سابقة. وقد سبقتها مؤشرات عدة، من بينها محاولة اغتيال بعض النواب. ومن المحتمل ان تستمر محاولات الاغتيال، التي تستهدف تعديل موازين القوى.

ـ تفجير الوضع العسكري بشكل شامل، لتأجيل جلسة الانتخاب، سعياً الى ترئيس رئيس السن كاظم الخليل الذي تسعى بعض القوى السياسية الى ترشيحه في مواجهة الحسيني، بعد ان رفض الرئيس السابق كامل الاسعد ترشيح نفسه.

ـ إسقاط مقولة «ان الحسيني مرشح تسوية»، وتكريس المقولة البديل، التي تتهمه بانه مرشح سورية في المجلس النيابي اللبناني.

ـ تجميع اكبر عدد ممكن من النواب اللبنانيين في صف معارضة انتخاب الحسيني، بهدف اضعافه، وإظهار قوة المعارضين. ويعتقد بعض المصادر انه في حال فوز الحسيني، فانه سيكون فوزاً هشاً لا يتجاوز حدود عدد النواب الذين يشكلون النصاب القانوني، حالياً اي ٤١ نائباً، الامر الذي سيظهر في الآن نفسه، هشاشة السيطرة السورية.

ـ يبقى لرئيس الجمهورية، دور اساسي وفاعل في انتخاب رئيس المجلس النيابي، اياً يكن الحصار المضروب حوله. ويبدو ان الاتجاه الغالب لدى رئيس الجمهورية، هو دفع النواب الموالين له، الى مقاطعة جلسة الانتخاب، رداً على المقاطعة التي ينفذها الحسيني ضده. ويبدو ان احتمال المقاطعة، الى حد تأجيل جلسة الانتخاب هو الارجح، بدليل تعليق رئيس الحكومة بالوكالة الدكتور سليم الحص عليه بقوله: «إن الحملة على رئاسة المجلس قبيل الانتخابات تنطوي على محاولة لاضعاف الرئيس الحسيني بحيث يعاد باكثرية خفيفة، وإن نجحت تنجح في تأجيل جلسة الانتخاب اسبوعاً فقط». ويبدو ان الرئيس الحص يميل الى احتمال ترجيح تعطيل الانتخاب، في ظل الاهداف المتباعدة بين جميع القوى المتصارعة. وذلك لا يلغي ان المعارضين ما يزالون يبحثون عن مرشح معارض، في محاولة للاستفادة من ثغرة البرود القائم بين الحسيني ودمشق، في اعقاب اغتيال رئيس الحكومة رشيد كرامي، إذ سارع الحسيني الى الاتفاق مع الرئيس الجميل و«اللقاء الاسلامي» الى تكليف الحص برئاسة الحكومة من دون الوقوف على رأي دمشق. فوقعت المواجهة بين نائب الرئيس السوري عبد الحليم خدام والحسيني الذي استقال بعد تلك المواجهة، ثم لم يلبث ان عاد عن الاستقالة بطلب من سورية. وربما تكون الثغرة الثانية متمثلة في رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط الذي استمر يصف الحسيني بـ «الغراب الجديد» متهماً إياه بعلاقات سرية يعقدها مع الرئيس الجميل ومع بعض القوى العربية والدولية، في محاولة منه لتجاوز دور سورية.

إن الصورة الحالية تؤكد ان الجميع في مازق، وامام جدار مسدود. والمازق ليس دستورياً ونيابياً وحكومياً. بل هو مازق سياسي، وانتخاب رئاسة المجلس النيابي تعبر عن ذلك المازق. فمَنْ هو الذي سيخرج من تلك المعركة مهزوماً باعتبارها معركة الهزيمة، وليست معركة الانتصار.

ف. ك

واشنطن استقبلت وسطاء ايرانيين ودعت رافسنجاني الى اللعب علنا

كشفت مجلة «تايم» الاميركية في عددها الاخير الصادر بتاريخ ١٩ الشهر الجاري، عن استقبال الادارة الاميركية في الاسابيع الثلاثة الماضية، وسطاء ابلغوها انهم يمثلون مسؤولين ايرانيين كباراً بمن فيهم هاشمي رافسنجاني. وقالت المجلة الاميركية، ان القنوات الخلفية التي اقنعت الادارة الاميركية، في عامي ٨٥ و ٨٦ ببيع الاسلحة الى ايران، هي نفسها التي تجري الاتصالات، في هذه المرحلة الجديدة.

والوسطاء الذين استقبلتهم واشنطن، قدموا انفسهم كممثلين لما يسمى بتيار «الاعتدال الايراني» الذي يطالب الولايات المتحدة بضبط النفس في الخليج، ليتمكن من اقناع خميني بعدم المواجهة مع الولايات المتحدة. واشارت «تايم» الى ان الايرانيين يحاولون، مرة اخرى، اللعبة المزدوجة مع واشنطن، بتأكيدهم سراً لادارة الرئيس ريغان، اعتدالهم، بينما يدعون، علناً، الى معاداة الولايات المتحدة والغرب.

وفي الوقت نفسه فان الولايات المتحدة تؤكد ان سياستها في الخليج، هي على قدر كبير من ضبط النفس، وانها «لا تقضي بمواجهة ايران، وتصرفاتنا نتيجة مباشرة للسياسة الايرانية الاستفزازية والهجمات ضد السفن التجارية» كما اعلن السفير الاميركي في البحرين.

لكن اللغز ليس هنا؟ فواشنطن التي تقول المجلة الاميركية انها لم تقتنع بالعروض الايرانية نتيجة تجربتها الكافية مع آيات الله، يبدو أنها تريد اجراء الاتصالات علناً والتوقف عن اللعبة المزدوجة. فهل يجرؤ رافسنجاني، مثلاً والآخرون، في الافصاح عن رغباتهم الاميركية؟

الحيرة الاقتصادية

افادت المعلومات الواردة من دمشق ان ارتفاعاً غير عادي قد طرأ على اسعار السلع والمواد الغذائية بلغ نسبة ٨٠٪، مما ادى الى ابتلاع الزيادة على الرواتب التي بلغت حوالي ٣٠٪. وتبحث الحكومة السورية حالياً الحلول التي يمكن اللجوء اليها من دون رفع الدعم عن السكر والخبز وغيرهما من السلع الرئيسية. ويتوقع بعض المراقبين ان تجد الحكومة السورية نفسها مضطرة الى رفع الدعم والى اتخاذ اجراءات متشددة، في ظل الازمة الاقتصادية الخانقة، الامر الذي سيؤدي الى حدوث اضطرابات اجتماعية.

الرهائن الفرنسية

من بين الالغام التي سيسعى النظام السوري الى نزعها قريباً، الافراج عن بعض الرهائن الغربية. ومن المتوقع ان يخرج من الابواب التي ستنفتح، هذه المرة، رهينة او رهينتان فرنسيتان، لأن دمشق تعول على دور فرنسي فاعل في حلحلة الازمة الاقتصادية الخانقة في سورية.

التواطؤ الايراني

افادت نشرة «التقرير» في عددها الاخير «ان عمليات الهجرة اليهودية من ايران شهدت، خلال الاشهر القليلة الماضية، تصاعداً ملحوظاً، وان نسبة الايرانيين اليهود المهاجرين الذين يقررون الاستقرار في «اسرائيل» عقب هجرتهم تبلغ عموما ما يتراوح بين ٣٥ و ٤٠٪». وقالت نشرة «التقرير» ان المساومة مع ايران بالسماح لليهود بالهجرة الى «اسرائيل» بدأت «من جانب الولايات المتحدة في اواسط عام ١٩٨٦، وذلك في غمرة الاتصالات التي كانت دائرة آنذاك بين الجانبين في شأن الرهائن الاميركية وعروض الاسلحة الى ايران».

سياسة الحوار والتشدد

تفيد المعلومات الواردة من تونس ان رئيس الحكومة التونسية زين العابدين بن علي الذي يعتبر رجل المهمات الصعبة، سيمارس سياسة العصا والجزرة في مواجهة حركة «الاتجاه الاسلامي»، التي تقود التيار المتشنج في البلاد. وقالت المعلومات نفسها ان رئيس الحكومة حرك بعض المقربين منه لمحاورة بعض قيادي «الاتجاه الاسلامي» في الوقت الذي ينفذ فيه الاجراءات المتشددة. ومن المتوقع ان يستمر تراجع التيار السلفي المتشنج في تونس، بعد ان انكشفت علاقات بعض قياداته بايران.

حكومة مغربية جديدة ؟

احتمالات تشكيل حكومة جديدة في المغرب، واردة اكثر من اي مرة سابقة. فبعد تردد طال حول هذا الموضوع، تتوقع اوساط سياسية مغربية مطلعة ان يعمد الملك الحسن الثاني الى تعيين وزير اول جديد يشرف على تطبيق عدد من البرامج والخطط التي اعلن عنها الملك في خطابه في افتتاح الدورة التشريعية الاولى. وتستند الاوساط ذاتها لتأكيد الاحتمال على رغبة ملحة لدى الملك الحسن الثاني لانعاش الحياة السياسية في البلاد، بعد الفتور الذي عاشته منذ فترة طويلة. وفي هذا الصدد، فان الباب يبقى مفتوحا امام احتمالات عودة المعارضة الحالية او قسم من وجوهها على الاقل...

المقاومة الايرانية

افادت منظمة «مجاهدي خلق» الايرانية المعارضة ان وحدات من جيش التحرير الوطني الايراني شنت هجوماً واسعاً ضد قواعد عسكرية تابعة للنظام الايراني في منطقة «عيلام»، وانها نجحت في قتل وجرح ٩٣ واسر ١٧ عنصراً. وقالت المنظمة في بيانها، ان ٣٧٥٠ من قوات الخميني قتلوا وجرحوا منذ بداية العام الحالي، وان ٢٥٤ قد تم اسرهم في ٢٥٤ عملية عسكرية نفذتها وحدات من جيش التحرير الوطني الايراني.

البطريرك الماروني في موسكو

زيارة البطريرك الماروني مار نصر الله بطرس صفير المقررة الى موسكو، ستكون زيارة سياسية، خصوصاً ان وزير الخارجية السوفياتي ادوار شيفارد نادزة سيستقبله ويبحث معه في الوضع اللبناني. ومن المتوقع ان تحدث مفاجأة سياسية، فيستقبل زعيم الكرملين ميخائيل غورباتشوف البطريرك الماروني للاستماع الى وجهة نظره في الموضوع اللبناني بعد ان استمعت موسكو مطولاً الى وجهة نظر سورية وبعض حلفائها في لبنان.

سورية تستقبل وولترز وتنتقد شولتز

الانفصام والازدواجية في السياسة السورية

وزير الخارجية الاميركي جورج شولتز يزور بعض العواصم في الشرق الاوسط. والعواصم المقرر ان يزورها شولتز هي: القاهرة وعمان... وتل ابيب.

رئيس حكومة الكيان الصهيوني اسحق شامير قال إنه فوجىء، عند الاعلان، عن زيارة شولتز، واضاف أن الوزير الاميركي لن يستطيع ان يغير من رأيه المعارض لفكرة عقد المؤتمر الدولي.

وأجهزة الاعلام السورية وجهت انتقادات عنيفة لزيارة شولتز، معتبرة إياها تندرج في الترتيب «لعدوان جديد على الأمة العربية». والخبيرون بالمزاج السياسي السوري، يردون الإنتقادات الاعلامية الى استثناء شولتز دمشق من جولته في الشرق الاوسط. علماً ان استثناء دمشق من جولة شولتز لا يعني اطلاقاً ان واشنطن تستثنيها من سياستها. لكن يبدو أن مسؤولين اميركيين آخرين مثل وولترز، يهتمون بمزاج النظام السوري المصاب بالازدواجية والانفصام.

المهم أن الرئيس السوري يلتقي، مرة ثانية، مع رئيس الحكومة الصهيونية على سكة واحدة وأهداف واحدة. وقد سبق ان التقيا في لبنان في عام ١٩٨٣. عندما أعلن وزير الدفاع الصهيوني اريل شارون أنه لن يدع «الرئيس اللبناني يحكم سوى قصر بعبدا». وها هو الرئيس اللبناني لا يحكم سوى قصر بعبدا بفضل السياسة السورية التي نفذت أهداف الكيان الصهيوني.

وقد يقول قائل، إن في ذلك الكلام مبالغة، لكن النتائج هي التي تجيب على المندهشين الذين ينبغي ان يتأملوا الواقع اللبناني ملياً، ليدركوا مدى التوافق بين السياسة السورية الحالية وبين السياسة الصهيونية.

وبعض المراقبين يعتقدون أن سبب الهجوم على زيارة شولتز، هو تحول فكرة المؤتمر الدولي الى واقع يكاد يكون ملموساً سيتبلور في نهاية زيارة شولتز لموسكو، ذلك ان المسؤول الاميركي سيتوجه مباشرة من الشرق الأوسط الى الاتحاد السوفياتي... وسيكون الهم الاساسي الى جانب الاتفاق على نزع الصواريخ المتوسطة والقريبة المدى، حرب الخليج. وتحول تلك الحرب الى هم اميركي - سوفياتي، لا يقل عن هم المباحثات النووية، يزعج سورية ويؤرقها... والى غد قريب.

نداء لوقف حرب الخليج

اصدر عدد من المثقفين العرب في باريس نداء لوقف الحرب العراقية ـ الايرانية، جاء فيه انهم يتطلعون «بكثير من القلق الى رفض ايران المتواصل لقرارات مجلس الامن والهيئات الدولية، واصرارها على استمرار الحرب وتصعيدها وتوسيع رقعتها».

وقد دان الموقعون على هذا البيان «الانظمة التي خرجت عن الاجماع العربي وعقدت لنفسها تحالفات خارج سرب الأمة العربية وصفها الواحد ومصلحتها القومية». ولهذا فان المثقفين العرب يناشدون ملوك ورؤساء الدول العربية الذين سيلتقون في قمة عمان المرتقبة ان يتخذوا اجراءات عملية لردع المعتدي والذين يقفون في صفه، والانتصار لشعب العراق تطبيقاً لميثاق الدفاع العربي المشترك.

تكتل لبناني جديد

توقعت مصادر مطلعة نشوء تكتل سياسي لبناني في الخارج يضم الرئيسين كامل الاسعد وصائب سلام وعميد الكتلة الوطنية النائب ريمون اده. وفي حال قيام هذا التكتل، فان عدداً من النواب اللبنانيين سينضمون، وسيكون له تاثيره في انتخابات رئاسة الجمهورية في صيف العام المقبل، في لبنان.

فتش عن النظام السوري

تتزايد الهوة السياسية بين عمر كرامي شقيق رئيس الحكومة رشيد كرامي الذي اغتيل في لبنان، وبين دمشق التي يجري التساؤل عن اسباب توقفها عن ملاحقة قضية اغتيال كرامي ومنفذيها. ويفيد قادمون من بيروت ان دمشق تدعم احمد كرامي الذي يسيطر على مرفأ طرابلس ويعقد صفقات مالية واقتصادية مع بعض المسؤولين في النظام السوري، ضد ابن عمه عمر كرامي الذي يسعى الى زعامة طرابلس.

موجة جديدة من اعتقالات الشيوعيين في سورية

اصدر الحزب الشيوعي السوري (المكتب السياسي) بلاغاً اعلن فيه ان سلطات الامن السورية قد استانفت حملة الاعتقالات ضد عناصره في سورية وانها اعتلقت احد قيادييه في الحملة الجديدة.

وجاء في البلاغ ان «اجهزة مخابرات النظام تقوم بإيقاع اشد انواع التعذيب الجسدي الوحشي برفيقنا منير مسوتي عضو اللجنة المركزية بحزبنا، وذلك منذ ان اعتقلته في الخامس من ايلول (سبتمبر) ١٩٨٧ في دمشق مع الرفيق جورج صبرا ورفاق آخرين».

وذكر بلاغ الحزب باستشهاد احد عناصره هيثم خوجه بتاريخ ١٧/٦/١٩٨٧ من اثر التعذيب الوحشي وتدهور صحته في سجون النظام.

كما كشف البلاغ النقاب عن ان جماعة يوسف فيصل قد ارسلت اثنين من قادتها لمقابلة الأمين الاول للحزب رياض الترك في زنزانته، عارضين عليه اعطاء شهادة حسن سلوك للنظام، مقابل اطلاق سراحه وباقي معتقلي الحزب الصامدين في سجون النظام منذ اكثر من ثمانية اعوام. وكان جواب الأمين الاول ان طردهما دون ان يسمح لهما باي حوار.

وقد دعا البلاغ الذي يحمل تاريخ (اواسط تشرين اول ١٩٨٧) منظمات العفو وحقوق الانسان العربية والدولية للتدخل السريع من اجل رفع التعذيب الوحشي عن منير مسوتي الذي اصبحت حياته في خطر.. وللمطالبة باطلاق سراح رياض الترك ورفاقه او احالتهم الى محاكم قانونية عادلة.

مقدمات الفصل والضم

انقطعت الاتصالات الهاتفية بصورة شبه كاملة بين بلدتي زحلة وشتورة في سهل البقاع، وبين بيروت. وتمركزت عناصر من القوات السورية في مركزي الاتصالات، وتولت ادارتها. وتشكو مراكز الهاتف في بعلبك وبعض البلدات البقاعية من التصرفات نفسها، علماً ان معظم الادارات الرسمية في سهل البقاع، تسلمتها عناصر من المخابرات والقوات السورية. ويخشى اللبنانيون الذين يقطنون منطقة البقاع ان تكون السياسة السورية التي تمارس في تلك المنطقة، تمهد لفصل البقاع عن لبنان وضمه الى سورية.

الكل ضد الكل

توقعت مصادر امنية وسياسية انفجاراً عسكرياً وسياسياً شاملاً في لبنان. ووصفت المصادر نفسها ذلك الانفجار بـ «حرب الكل ضد الكل»، مشيرة الى انهيار جميع التحالفات السياسية والخطط الامنية والاقتصادية. وستلعب لقمة الخبز دوراً اساسياً في اشعال تلك الحرب التي سترسم مصير لبنان المستقبل.

هذا الوطن

خذوها من كيسنجر

«لم يقم الايرانيون حتى الآن بجهد لاغلاق الخليج، وان اعتداءاتهم في الواقع، اقل بكثير من الاعتداءات العراقية».

هذا الكلام لهنري كيسنجر، وزير خارجية الولايات المتحدة السابق، والداعية الصهيونية المعروف.

وهو كلام اريد منه اظهار التحيز الواضح الى ايران، لاهداف ثلاثة:

١ ـ ان الصهيونية العالمية ـ وبالتالي «اسرائيل» ـ تدعم طهران حتى النهاية، في عدوانها وغطرستها وسلوكها الاستفزازي.

٢ ـ تنبيه واشنطن الى ان اي تدبير تتخذه ضد ايران، سيزعج تل ابيب، بل قد يقود الى خلاف بينهما لا يعرف مداه.

٣ ـ انذار الى القادة العرب عشية انعقاد مؤتمرهم في عمان، وتحذير من اتخاذ اي موقف جذري، لان «اسرائيل» بالمرصاد، وقد تعاقب المتشددين.

ولعل قول كيسنجر «ان خطاب رئيس الجمهورية الايراني علي خامنئي في الامم المتحدة كان معتدلاً»، توكيد لتلك الاهداف، ودعم لموقف طهران الرامي الى تفسير قرار مجلس الامن ٥٩٨ تفسيراً لا يتفق مع ما نص عليه، واجمعت عليه الارادة الدولية.

لم يأت كلام كيسنجر بجديد على صعيد العلاقة الايرانية الصهيونية. فقبل يوم واحد اعلن الناطق الرسمي باسم البيت الابيض ان «اسرائيل» هي التي زودت ايران بصواريخ ستينغر وهوك وتاو.

وكانت تلك آخر صفقة ـ وقد لا تكون الاخيرة ـ في مبسلسل الصفقات الصهيونية ـ الايرانية، بدءاً من عام ١٩٨٢، ومروراً بإيران ـ غيت والسماح للايرانيين اليهود بالسفر الى الارض المحتلة، وانتهاء بالصواريخ.

هذا الحلف الستراتيجي بين طهران وايران لا دامة العدوان على العراق، خلافاً للاجماع الدولي، إنما يهدف في النهاية الى تحطيم ما يمثله العراق من تطلع قومي، وارادة عربية حرة، وتصميم على مواجهة كل التحديات التي تعترض مستقبل العرب القومي.

العراق يعرف هذه الحقيقة منذ البدء، ولقد نبه اليها مراراً. والدول العربية لا تجهل ذلك، ولكن بعضها يتجاهل، وبعضها الآخر يتآمر، بل هو في حلف مع الصهيونية والخمينية.

والنار التي بدأت تتسع لتشمل منطقة الخليج، ـ وقد تمتد الى ما بعده ـ اذا كان الهدف منها تحذير دول المنطقة، وعزلها عن دعم العراق وتبني موقفه، فإنها قد تتحول الى اجتياح، إن لم تسارع تلك الدول الى المجابهة والتصدي، لا الى ايران والصهيونية فحسب، وانما الى حليفهما حافظ أسد كذلك، لان مراعاته وتدليله اطمعاه في المراهنة على ضعف قرارها السياسي والمصيري، لابتزازها وجرها الى المواقع الصهيونية ـ الايرانية.

ماجد حلواني

أول الغيث...

اكدت مصادر لبنانية ان ١٣ جثة قد نقلت من ليبيا الى احدى المناطق الواقعة في الجنوب اللبناني. وقالت المصادر نفسها ان الجثث الـ ١٣ هي المقاتلين لبنانيين وغير لبنانيين سقطوا في احدى مناطق القتال في تشاد.

وكانت انباء صحافية قد اشارت الى وصول ١١ جثة الى لبنان، من دون الاشارة الى المكان الذي دفنت فيه، علماً ان عملية الدفن تمت بصمت ومن دون اي ضجيج سياسي واعلامي.

الجدير ذكره ان الحزبين التقدمي الاشتراكي والشيوعي اللبناني ارسلوا حوالي الف مقاتل لمشاركة القوات الليبية في الحرب ضد القوات التشادية.

السياسة السوفياتية بين الذاتية والموضوعية

وأين تقع بالنسبة لنضال شعبنا في سورية في سبيل حريته؟

بقلم: محمد الجراح
الأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي في سورية

ان الاتحاد السوفياتي دولة عظمى. بل هي احدى القوتين العظميين في العالم. والمتتبع لسياستها ليضعها في الميزان لا بد له ان يراعي هذا المركز الذي تشغله في العالم ليكون اقرب الى الموضوعية في حكمه عليها او لها. والاتحاد السوفياتي دولة قامت في، الاصل. كما اعلنت هي نفسها - لتقف الى جانب الشعوب المضطهدة وليس الى جانب مضطهديها. وهذا في اعتقادنا هو المقياس الذي يجب ان تقاس عليه سياستها من خلال مواقفها. وباتباع هذا المنهج ينتفي عن المحلل السياسي مظنة اتباع الهوى واصدار الاحكام الذاتية المتسمة بالجنوح عن الحق سواء كانت هذه الاحكام صادرة لمصلحة الاتحاد السوفياتي او ضده. ومن دواعي الخطأ الذي يرتكبه الباحث والمحلل السياسي في تقويمه للسياسة السوفياتية هو الخلط بين موقفه من الشيوعية والماركسية بوجه عام وبين موقفه من الدولة السوفياتية. فللباحث حرية اتخاذ الموقف من الماركسية كعقيدة ومنهج بالقبول او الرفض ولكن الدولة السوفياتية بالاضافة الى ذلك هي احدى القوتين العظميين. ولها دورها الفعال والمؤثر في السياسة العالمية. وهو ليس مؤثرا وفعالاً فقط ولكنه ضروري في عالم كعالمنا، تقوم فيه القوة الاخرى العظمى بدور فعال ومؤثر في العالم ايضا، ولكنه بالطبيعة ليس تأثيرا سعيدا. وهو في العالم الثالث خاصة دور تعيس وتخريبي فرض التخلف والفقر والعجز عليه. حتى ليصح القول فيه ان العالم الثالث بكامله - الا ما رحم ربك - اصبح مرهونا لسطوة وديون الامبريالية الاميركية واصبحت شعوبه كلها تعمل لا في سبيل التنمية والتطور، ولكن من اجل الوفاء بالربا المستحق عليها للدول الدائنة وللشركات المتعددة الجنسيات. هذا فضلا عن الفتن الداخلية التي تثيرها اجهزة وعملاء تلك القوة العظمى، او الحروب المحلية التي تعمل هذه القوة على اثارتها، او تعمل على استمرارها. ولا يستطيع باحث وهو يحلل طبيعة السياسة الامبريالية الاميركية ان يغفل العلاقة والحلف الاستراتيجي - كما اسماه المسؤولون الاميركيون - بينها وبين الصهيونية العالمية. هذه الصهيونية التي ادينت بقرار من الهيئة العامة للامم المتحدة ووصفت بانها منظمة عنصرية في افكارها وافعالها. ومع ذلك فإن الولايات المتحدة الاميركية ما تزال تجري مسعورة لترغم الامم المتحدة للرجوع عن قرارها. استهانة منها بهذه المنظمة العالمية واستجابة واستكانة امام الصهيونية العدوانية. ان مراقبة الخط السياسي الاميركي الصهيوني وحركته ورصد اتجاهه على المدى الطويل بما يحمل من عدوانية على الشعوب تهدف الى استلابها ثرواتها وحرياتها ينتهي بالمراقب الى اليقين بان هذه السياسة تعرض السلام العالمي للخطر وتدفع به الى التردي في حرب عالمية ثالثة. ما تزال الامبريالية الاميركية متحالفة مع الصهيونية العالمية تغذ السير نحوها بما تمارسه من سباق التسلح العادي والنووي والفضائي خدمة لاهدافها في جعل العالم كله ملكا خالصا لها.

وتنفيذا للاستراتيجية الاميركية فان وطننا العربي، بما يشغله من موقع هام وما يتضمنه من ثروات كان مصبا لكل الاطماع والنشاطات الاميركية المشبوهة. وقد جعلت من العدو الصهيوني سوط عذاب ونقمة وتمزيق ونزف ضد الامة العربية. وقد خانت الحكومة الاميركية شعبها كما خانت شعبنا العربي وشعوب العالم عندما جعل قادة السياسة الاميركية من انفسهم سماسرة وتجارا للسلاح في السوق السوداء السرية بعد انكشاف صفقاتهم مع النظام الايراني في الوقت الذي يزعمون فيه وقوفهم على الحياد.

فإذا وقفنا امام الصورة المقابلة. وجدنا عندما نستعرض مواقف السوفيات تجاه قضايانا العربية، الكثير مما يبعث على الرضا ويستحق الثناء. فلقد كانوا الى جانب الحق معنا في الصراع ضد الوجود الصهيوني في فلسطين. وعندما فرض الغرب علينا حصار السلاح كسره السوفيات، واحس الاستعمار الغربي ان رقبته قد كسرت. وعندما وقع العدوان الثلاثي على مصر بعد تأميم قناة السويس كان السوفيات الى جانبنا. وعندما سحب الغرب تعهده لعبد الناصر بالمساهمة في تمويل السد العالي قام السوفيات بالمعونة المالية والفنية.

نحن هنا لسنا بصدد احصاء المواقف والمبادرات

المؤيدة لقضايانا العربية من الجانب السوفياتي، ولكنها اشارة اقتضاها الحديث تساعد على تحديد طبيعة القوتين ومع ذلك فإن الاتحاد السوفياتي في مجمل سياساته الدولية العربية وغير العربية ليس محصنا ضد النقد ولا مستعصيا عليه. ولقد يروق للبعض ان يحتج للاتحاد السوفياتي عن اخطائه او يعتذر عنها بزعم ان هذا يقع منه عندما تتعارض سياسة الدولة مع سياسة الثورة. فيغيب الموقف الثوري -وترجمته الاخلاقي- لصالح موقف الدولة -وترجمته الانتهازي.

واذا كان مثل هذا التحليل يفسر مثل هذه المواقف الخاطئة فإنه لا يبررها. ويبقى الذين يقدرون الاتحاد السوفياتي يتمنون له الا يقع في مثل هذه الاخطاء والا يحتاج لمن يعتذر عنها او يبررها.

من خروتشوف الى غورباتشوف

إن فريقا من المؤرخين للسياسة السوفياتية يعتبرون خروتشوف منعطفا حقيقيا في هذه السياسة: لانه اخرج سياسة التعايش السلمي في العالم الى حيز الوجود. فيسر للتفاعل بين الانظمة والعقائد في العالم، وقد ساهم في خدمة السلام في العالم بهذه البادرة. وقد خلعت شخصيته على هذه السياسة جاذبية قربته الى قلوب جماهير غفيرة في العالم. وكان تقديره لدور عبد الناصر في الامة العربية وفي العالم الثالث مما قرب بين الرجلين كانسانين وساعد على تعبئة للجماهير اسقطت الاحلاف الاستعمارية في المنطقة.

حتى اذا جاء غورباتشوف ظهر وكان نظره اكثر سعة وحركة اكثر انطلاقا وانفتاحا في الداخل والخارج بدأت تاخذ مكانها في الاتحاد السوفياتي وقد استرعت هذه السياسة اهتمام المراقبين ليتساءلوا فيما اذا كان هناك مراجعة في الاتحاد السوفياتي تتجه الى توفير مزيد من الحرية، والى التخلص من مزيد من اغلال كهنوت النظرية. ويكاد يكون من المبادىء المطردة ان اي انفتاح في السياسة الداخلية، ينعكس انفتاحا في السياسة الخارجية. ولقد توبعت مبادرات السيد غورباتشوف في الداخل والخارج بغبطة تعطي املا بفتح الابواب المسدودة للخروج من الازمات التي قد تعرض السلام العالمي للخطر، وفي ذلك مكسب للانسانية عظيم.

استدراك لا بد منه

إنه مع اعتراف شعبنا العربي عامة وفي سورية خاصة وتقديره لدور الاتحاد السوفياتي في دعم قضايانا، وبصورة خاصة قضية فلسطين وقضية لبنان وحرص السيد غورباتشوف على تحقيق تضامن عربي تستطيع الدول العربية من خلاله ان توفر قوة مؤثرة في المعركة السياسية الدائرة حول الوصول الى مؤتمر دولي لحل القضية. إنه مع اعترافنا للسوفيات بما يبذلونه من جهد في هذا السبيل، فإنه لا يعفينا من توجيه العتب له على دعمه لبعض الانظمة العربية التي كرست نفسها ومنذ امد بعيد لتعطيل كل تحرك او لقاء عربي يمكن ان يؤدي الى توفير قوة ما سياسية او غير سياسية. حتى لقد اصبح اجتماع قمة عربية - مجرد الاجتماع. انجازا تاريخيا كبيرا ولو لم ينجز هؤلاء القمم في داخله الا شرب القهوة العربية.

وكل هذا التخريب والتعطيل يباشره بعض الانظمة العربية التي تدعي ان لها قربا خاصا وصداقة متميزة مع الاتحاد السوفياتي. إنها تعطل مقترحاته ومبادراته هو نفسه واننا لنستميح الاتحاد السوفياتي عذرا إذا قلنا له باننا لا نعتقد بانه يغيب عنه الدور المخرب الذي سلكه ولا يزال يسلكه حافظ اسد في سورية وفي لبنان. وتجاه الشعب الفلسطيني. لقد كانت ضحاياه في سورية وفي لبنان وفي تل الزعتر. وفي طرابلس عشرات الالوف. وإنه ليتعذر على شعبنا ان يقتنع بان الاتحاد السوفياتي وهو الدولة العظمى بما يملك من وسائل الكشف غاب عنه ان حافظ اسد سلم الجولان تسليما عام ١٩٦٧ بدون قتال. وانه عرض السلاح السوفياتي للاهانة عام ١٩٨٢ في لبنان وانسحب امام العدو بخسارة خمسمائة دبابة ومائة طائرة بدون ان يكبد العدو خسارة دبابة واحدة او طائرة واحدة. ونسب في احاديثه الخاصة عدم الفاعلية للسلاح السوفياتي وزاد فقال ان السوفيات لا يسلحوننا ونحن لا نقدر على الحرب واولى لنا ان نتدبر امرنا مع الاميركان. لا نعتقد ان السوفيات لا يعلمون كل ذلك عن حافظ اسد. ولذلك فإن شعبنا تدركه الحيرة في تفسير الدعم السوفياتي سياسيا لحافظ اسد في الوقت الذي يعتقد فيه شعبنا ان حافظ يتحرك في اطار المصلحة الامريكية والصهيونية وضد المصلحة العربية. اي ان حركته ضد السياسة السوفياتية وضد المصالح العربية في آن واحد. إن سعي حافظ اسد في تمزيق الثورة الفلسطينية سياسيا بعد ان خاض معها معارك دموية في تل الزعتر وطرابلس كانت تحت سمع العالم كله وتحت بصره. وإن كل هذه الافعال لا تنسجم مع دعوى الصمود والتحرير وان الاتحاد السوفياتي في دعمه لحافظ اسد سياسيا واعلاميا يمنحه غطاء عرضه عرض الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية والاحزاب التي تاتم به وتتعاطف معه. انه غطاء لا يستحقه لجرائم وطنية وقومية. قد يحلو لمحلل سياسي ان يقول. إن الاتحاد السوفياتي يعلم كل ذلك عن حافظ اسد ولكنه لا يملك الخيار تجاهه. وإنه يخشى لو تجاوز الخط الاحمر مع حافظ اسد ان يواجه منه سادات آخر.

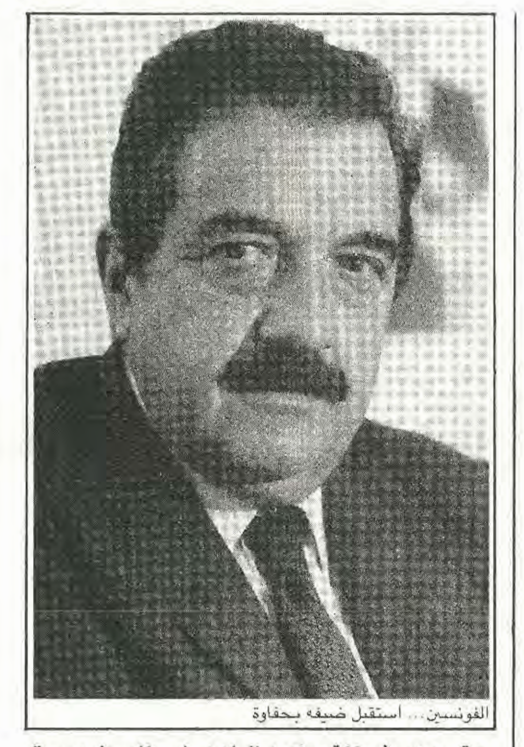
وتعقيبنا على ذلك ان حافظ اسد لا يملك اولا ان يعقد كامب ديفيد علنا مع العدو الصهيوني، لانه رغم ما انزله بشعبنا وجيشنا من السحق والقمع يعلم ان نهايته المحتومة تنتظره هناك. وهو ثانيا لا يريد ذلك ولا يحتاجه. لانه وصل مع العدو الصهيوني وفي خدمته لاكثر من كمب ديفيد وهو يقف تحت مظلة الصمود. فقد فتك بالثورة الفلسطينية عسكريا وسياسيا ومزق لبنان واغرقه في الحرب الاهلية ولجم الجيش السوري وابطله كقوة اساسية في مواجهة العدو الصهيوني وحالف النظام الايراني علنا ضد العراق ليبقيه مغلولا خارج معركة فلسطين. وهو في كل واحدة منها يقدم للعدو الصهيوني اكبر من كمب ديفيد.

ولعل تحليلا آخر لقراءة افكار الاتحاد السوفياتي يضيف بان السوفيات يتوجسون من اي تغيير في سورية قد ياتي بنظام غير ودي مع الاتحاد السوفياتي. او لعلهم يعتقدون ذلك. ومع تقديرنا لبعد نظر السوفيات كدولة كبرى ذات تجربة. فإننا نود ترطيب ذاكرته بان شعبنا في سورية هو الذي خاض وهو الذي قاد معاركه ضد الاحلاف الاجنبية واسقطها كلها. والشعب نفسه بعماله هو الذي قطع خط البترول عبر سورية عام ١٩٥٦ واغرق اوروبا في الظلام والبرد. وهو الذي قاد معركة الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨. وهو الذي افشل بصموده الحشود التركية عام ١٩٥٧ لحساب الحلف المركزي. لقد حقق تلك الانتصارات كلها ولم يكن عنده حافظ اسد. ولما استولى عليه حافظ اسد اوقعه في سلسلة الهزائم حتى اليوم. ان صداقة الشعب السوري مع شعب آخر لا يفرضها حاكم ولا يذهب بها آخر وإن الوطني والقومي حزبا كان او رجلا او هيئة يعلم ان صداقته مع الشعوب السوفياتية امر تفرضه المصلحة الوطنية بصرف النظر عن العقيدة الاجتماعية التي يعتقدها. وليس من الضروري ان تكون هيئة ما او دولة شيوعية لتكون صديقة للاتحاد السوفياتي. فلم يكن نهرو ولم يكن عبد الناصر شيوعيين عندما كانا صديقين للشعب السوفياتي. وانما املت هذه الصداقة عليهما مصلحة شعبيهما ومصلحة السلام في العالم. وإن الحكم الذي لم يستطع ان يكون صديقا لشعبه لا يستطيع ان يكون صديقا حقيقيا لاي شعب. قد يكون اي شيء الا ان يكون صديقا.

ولهذا السبب نجد انفسنا مضطرين ان نصارح الاتحاد السوفياتي الصديق ان صداقته لشعبنا السوري لا تمر عبر حافظ اسد. لان حافظ اسد افراز مرضي ظهر على جسد شعبنا كما يظهر الدمل. انه فيه ولكنه ليس منه. ان أصح ما توصف به علاقة حافظ اسد بالاتحاد السوفياتي في ظل التوازن الدولي انها علاقة قائمة على الانتهاز والابتزاز. مستغلا موقع سورية ومكانتها بالنسبة للصراع العربي الصهيوني. ولكنه اولا واخيرا يدور في فلك السياسة الاميركية الصهيونية. والطباخ الذي اوكلت اليه اميركا والصهيونية انضاج الطبخة على نار وقودها الشعب السوري واللبناني والثورة الفلسطينية وكل قوة عربية يمكن ان تساهم في التحرير، وتلك الطبخة هي الحلول التصفوية والاستسلامية.

وبعد

فإننا لسنا في موقف الذي يرسم سياسة ما للاتحاد السوفياتي. ولكننا مع شعبنا العربي السوري شهود على هذه السياسة عدول. ونملك ان نشهد ان هذه السياسة تقع في مصلحته ام خارجها. ولو كان الشهود له او عليه هو الاتحاد السوفياتي الصديق.



الفونسين... استقبل ضيفه بحفاوة

زيارة ميتران الى الارجنتين

تقاليد النضال الديمقراطي وحقوق الانسان تجمع بين رئيسي التساكن

خاب ظن وتقدير الذين راهنوا على ان انخراط الرئيس فرانسوا ميتران في تجربة التساكن مع اغلبية يمينية سيحيله الى التقاعد السياسي المبكر. على النقيض من هذا فإن رجل الاليزيه الاول، ومنذ آذار (مارس) ١٩٨٦ صمم على ان تتجدد الثقة في مسؤولية رئيس الجمهورية بشأن مسألتي الدفاع والسياسة الخارجية. واذا كان هذا الالتزام مخولاً بالاساس من مقتضيات دستور الجمهورية الخامسة فإن الشخصية الرئاسية هي التي مكنته من الثبات. وهكذا فإن جميع المراقبين لاحظوا كيف ان الرئيس ميتران قد جعل من الاشراف المباشر والتوجيه الذاتي لسياسة بلاده في الخارج مهمة لا يسمح للجهاز الحكومي المختلف معه على التطاول عليها، كما ان برنامج عمله في الاتصالات والزيارات الى البلدان المقررة في منهاجه الرئاسي استمرت على حالها. بل ان روح هذه الزيارات لم يمسها اي تغيير، خلالها يبدو نزيل الاليزيه في مظهر القادر على تقديم الوعود وترتيب برامج التعاون للمستقبل رغم انه لا يملك السلطة التنفيذية التي تسمح له بذلك.



وفي الزيارة الرسمية الاخيرة التي قام بها ميتران الى الارجنتين في الاسبوع الاول من الشهر الجاري كان مستقبلوه وعلى رأسهم الرئيس الارجنتيني راؤول الفونسين على يقين تام بانهم امام رئيس دولة بكل معنى الكلمة، بصرف النظر عن فقدانه لاغلبيته البرلمانية، وان بروتوكول الاستقبال وبرنامج عمل الزيارة وجدول المحادثات يليق حقاً بمن يملك كل اطراف السلطة والقرار بلا منازع. وعند الفونسين بالذات فإن حلول ميتران ببونيس ايرس يكتسي اهمية كبرى وعلى اكثر من مستوى. فالارجنتينيون، او قسم من النخبة الارجنتينية، التي عانت من ظروف النفي على عهد حكم الطغمة العسكرية، يحملون تقديراً خاصاً للحزب الاشتراكي وهياكل اليسار في فرنسا عامة التي وقفت الى جانبهم طويلاً، وساندت النضال الارجنتيني من اجل اقرار الديمقراطية، ومجيء ميتران ثانياً، في هذه الفترة هو بمثابة تأكيد للدعم التاريخي لليسار الفرنسي وتأجيج مجدد لقضية حقوق الانسان المطروحة بحدة في مجموع امريكا اللاتينية، في هذه الفترة التي عاد شبح العسكري يطيل ويثير في النفوس مخاوف العودة الى عهد يتذكره الجميع بذعر وتقزز. يحضر ميتران الى الارجنتين وقد تهيأ للبيرونية ان تستعيد مجدها السياسي التليد، تنجح في النيل من مصداقية ورسوخ رئاسة الفونسين الذي يبدو ان ابناء بلده لم يمهلوه طويلاً للذهاب بعيداً في برنامجه الاقتصادي والاجتماعي وتوفير اسباب النجاح لحظة اقتصادية كبرى تخرج الارجنتين من مأزق الديون الخارجية الخانق، وتؤهلها لاستئناف حيويتها المالية القديمة.



دلالات الزيارة

على ان ما هو طريف حقاً يبدو في التجانس القائم، اليوم، بين شخصيتي ميتران والفونسين، فهذا الاخير، كما نعلم بات يحكم مع اغلبية بيرونية هزمته في التشريعيات الاخيرة. اي انه يقع سواء بسواء، مع ضيفه في وضعية تساكن اجباري مع غرماء سياسيين لن يمهلوه طويلاً للوصول الى منصب رئاسة الجمهورية. وهكذا فإن الصدفة او التطور الحتمي لوضع اجتماعي سياسي بعينه تشاء بأن يلتقي رجلان مشبعان بحب الممارسة الديمقراطية والايمان بحقوق الانسان في ميقات يتعرض فيه بلدهما ونهجهما الايديولوجي الى حالة من النكوص لا يعرف بعد مدى تراجعها، وهو ما يعطي لزيارة ميتران الى الارجنتين دلالة التضامن التاريخي الحيّ، والذي تعتبر الممارسة مصداقاً له.

ومن المؤكد، بعد هذا وذاك ان الرئيس الفونسين، حتى وهو في مأزق حكمه الراهن، لم يظهر في صورة الحاكم المحبط، اي انه مثل ميتران، بالضبط، مصمم على الوصول الى آخر نقطة في السباق. ولذا فإن المحادثات المشتركة تناولت قضايا عملية محددة وعلى رأسها المجهود الفرنسي الضروري لمساندة الارجنتين لدى المؤسسات المالية الدولية وعلى رأسها صندوق النقد الدولي في مشكل الدين الخارجي الذي يبلغ قرابة مائة مليار دولار، وضغط القرار الفرنسي لتقليص الفوائد على الديون والمزيد من جدولتها زمنياً. وبعبارة اخرى فإن الرئيس الارجنتيني عول كثيراً على ان يظهر ضيفه بمثابة المسؤول الاول عن السياسة الفرنسية وقرارها الاقتصادي. وسواء كان حالماً او مغامراً، فان الرئيس ميتران عبر عن استعداده لدعم كثير من المشاريع الاقتصادية والثقافية لدى مضيفه، ولعله فعل ذلك ايضاً في افق عودة محتملة للحكم تمكنه عملياً من تنفيذ نواياه.

آخر الدلالات في الزيارة الرسمية لرئيس الجمهورية الفرنسية الى الارجنتين تكمن في الاهمية التي باتت توليها باريس للقارة الامريكية اللاتينية التي لن تترك للنفوذ الامريكي وحده، وحيث تستطيع الفرانكوفونية وتأثيراتها الثقافية ان تجد لها موقع قدم ثابتاً واشد رسوخاً من ذي قبل، كما ان الجمهوريات الديمقراطية في هذه القارة تعتبر انها في مسيس الحاجة لمتنفسات اضافية لدى الديمقراطيات الاوروبية الغربية، وميتران، اكثر من اي شخصية اوروبية اخرى، بدا ويبدو اقدر على تشخيص هذا المسعى وترتيب افق علاقات تسير اليوم من حسن الى احسن.

سليمان الزواوي

تحول في موقف بون من مسؤولية بدء الحرب

عرض القضية على محكمة العدل الدولية

... وبلورة حل يرضي إيران ولا يؤذي العراق

برلين ـ د. سعيد السعدي

في اجتماع اللجنة الخارجية للبرلمان الالماني يوم الاثنين الثاني عشر من تشرين الاول الجاري، اعلن رئيسها هانز شتيركن، من الحزب المسيحي الديمقراطي الحاكم، ان حكومته تؤيد احالة موضوع المسؤولية في بدء الحرب بين العراق وايران الى المحكمة الدولية في لاهاي، باعتباره موضوعاً قانونياً، والكف عن معالجته والاهتمام به كموضوع سياسي في هيئة الامم المتحدة ومجلس الامن الدولي.

وعندما يصبح راي شتيركن اساس عمل حكومة كول وهدف وزارة غينشر الليبرالية، يجوز القول ان هناك بداية تحول عن موقف وزير الخارجية الاتحادي المتسرع، الذي اعلنه خلال زيارة ولايتي وزير خارجية طهران لبون. ولاهمية تحول موقف واحدة من اهم الدول العشر غير الدائمة العضوية في مجلس الامن الدولي، ينبغي التعامل معه كمظهر من مظاهر نضوج موقف دولي اكثر صرامة وحزماً ازاء الرفض الايراني لقرار مجلس الامن الدولي ٥٩٨، وتصعيد حكام طهران حربهم العدوانية ضد العراق وعموم بلدان المنطقة.

عجز ايراني كامل

يسود المؤسسات السياسية والدبلوماسية هنا رأي متنام بسرعة ملفتة، مفاده ان ايران قد عجزت رغم هجومات الموجات البشرية على العراق من عام ٨٢ عن تحقيق تقدم عسكري ذي طبيعة ستراتيجية لصالحها. واذا كان الموقف الدولي ينطلق من قاعدة لا غالب ولا مغلوب في الصراع العسكري بين العراق وايران، فانه غير قادر على تمكين نظام طهران من احداث تفوق سياسي يعوض الهزيمة العسكرية. ولذلك تستطيع «الطليعة العربية» في برلين تاكيد تنامي وجهة النظر القائلة بتحويل قضية مسؤولية الحرب الى الهيئات القضائية المهتمة بتطبيق القانون الدولي، ومنها محكمة لاهاي الدولية. وانقاذ مجلس الامن الدولي وهيئة الامم المتحدة من الحلقة الايرانية المفرغة الرامية لفرض هذا الموضوع على الفعاليات السياسية الدولية واستثماره كغطاء عملي لمواصلة الحرب، واستمرار نزيف الدم، وتوسيع لهيب النيران فوق منطقة الخليج العربي.

هناك مؤشرات اخرى على هذا التوجه الجديد في الموقف الدولي من بينها، ان لم يكن في مقدمتها، اهتمام العديد من مؤسسات البحث ومعاهد الدراسات الستراتيجية في برلين الغربية حالياً، في اعداد الدراسات القانونية والسياسية بطلب من مراكز صنع القرار السياسي في الحكومة الاتحادية، حول موضوع مسؤولية حرب الخليج. وخلال محاورات «الطليعة العربية» ومتابعتها الميدانية، تكشف لنا ان القاعدة التي يرتكز عليها هذا النشاط تتجسد في محاولة بلورة صيغة او حل «يرضي ايران ولا يؤذي العراق». كما تؤكد ايضاً زودوتيشه سايتونغ كبرى الصحف الالمانية واكثرها انتشاراً.

اما كيف يمكن التوصل الى صيغة كهذه، وكم هي حظوظها في مفكرة سياسة الرفض والغطرسة الايرانية، فتلك اسئلة تصعب الاجابة عليها.

اعلان شتيركن والكلام الذي يدور هذه الايام في معاهد الشرق الاوسط في برلين الغربية، يكشف ان المجتمع الدولي قد ضاق ذرعاً بسياسة الحرب والعدوان الايرانية. وفي هذا الاطار اكدت لنا مصادر الدبلوماسية السوفياتية في برلين الشرقية ان شهر العسل في العلاقات السوفياتية الايرانية الذي فرضته مصالح آنية وستراتيجية، قد يكون قصيراً للغاية بسبب القدر المتزايد من الاحراج الدولي الذي تخلقه السياسة الايرانية لموسكو.

العودة الى الارادة الدولية

الانطباع الذي يتبلور لدى المراقب الصحافي هنا يشير اولا الى العودة التدريجية الى قرار الارادة الدولية في العشرين من تموز المنصرم، كما صدر دون تعديل او التباس مفتعل في الفهم. وثانياً الى تنامي قوة القناعة بقرار العقوبات وحظر توريد السلاح للطرف الايراني الممتنع عن قبول الموقف الدولي. وثالثاً الى فرض حل لقضية المسؤولية في بدء الحرب، يقوم على اساس اعتبارها قضية قانونية محضة لا قضية سياسية كما تريد طهران.

وليست الاوراق العراقية في هذا الميدان اقل قوة من زخم الطائرات التي دكت معاقل العدوان الايراني القصية. فالى جانب الوثائق الدامغة التي تملكها بغداد حول الاعمال العدوانية ذات الطابع الحربي النظامي، وجبل الاستفزازات والتحرشات وممارسات التدخل، تبدو معاهد البحث الستراتيجي والقانوني الدولي على قناعة ثابتة هنا من ان طهران ستضطر الى دفع ثمن اكبر من غيرها لمطلبها حول مسؤولية الحرب وقضية التعويضات. اذ ان العاصمة العراقية اعلنت على الاقل من ٢٨ ايلول ١٩٨٠، اي بعد اسبوع واحد من العملية العسكرية الوقائية المحدودة، في ٢٢ منه استعدادها لوقف اطلاق النار وحل مشكلات الخلاف بالتفاوض والطرق السياسية. واستمرت منذ ذلك الحين، في اتخاذ هذا الموقف السلمي البناء رغم تفوقها العسكري الذي لا جدال فيه.



غينشر: صيغة حل لا غالب ولا مغلوب

THE GUARDIAN

الغارديان

الانظار موجهة نحو الأرض المحتلة

بعد مروره في لندن لرؤية الملك حسين هذا الاسبوع، وزيارته المقررة «لاسرائيل»، سيصل جورج شولتز قريباً الى موسكو ليتحدث مع وزير الخارجية السوفياتي شيفارد نادزة حول الخليج ومعاهدة نزع الاسلحة، بالاضافة الى العلاقة «الاسرائيلية» ـ الفلسطينية التي عادت الى دائرة الضوء من جديد بعد ان غيبتها احداث كارثية اخرى في المنطقة خلال الاشهر الماضية...

وهذا هو كلود شيسون يزور تل ابيب بالنيابة عن دول المجموعة الاوروبية من اجل التفاوض على الشروط التي يستطيع الفلسطينيون بموجبها تصدير انتاجهم الزراعي مباشرة الى اوروبا.

لقد وافقت «اسرائيل» من حيث المبدأ علماً ان الفكرة لا تلقى تشجيعاً على المستوى الشعبي، على اساس انها قد تكون مبادرة سياية اوروبية تتجاوز الاتفاقية الاقتصادية (إذا كانت هذه الشكوك صحيحة، فلا داعي لاوروبا ان تعتذر).

من ناحية اخرى، استأنف وزير الخارجية «الاسرائيلي» شمعون بيريز حملته يوم السبت الماضي من اجل مؤتمر دولي تحضره «اسرائيل» وجيرانها العرب بالاضافة الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

في اليوم نفسه، السبت ١٠/١٠، «كانت انظار القوى العظمى تتسمر على غزة ومتظاهريها الذين يتلقون الرصاص». امّا يوم الاحد «فقد كان مخصصاً للقدس والصراع غير المقدس بين المسلمين واليهود عبر كثافة قنابل الغاز المسيّل للدموع».

امّا الليكود، فما زال يقف ضد فكرة تسوية سليمة يُتفق عليها دولياً، مع ان رئيس الحكومة اسحق شامير، اضطر مؤخراً الى بعض التنازلات اللفظية التي وصلت الى حد تبني مشروع شمعون بيريز المتعلق بالحكم الاردني ـ «الاسرائيلي» المشترك للضفة الغربية.

قليلون بالطبع هم الذين يعتقدون أن هذا هو فعلاً ما يفكر فيه رئيس الوزراء «الاسرائيلي» الذي لم يستطع المحافظة على عناده المطلق في وجه الدعوة التي وجهها المؤتمر اليهودي الاميركي الى الحكومة «الاسرائيلية» من أجل احترام حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

موقف الملك حسين:

يُتوقع ان يقوم الملك حسين بحضّ السيد شولتز على ممارسة ضغط اميركي اكبر قبل انعقاد القمة العربية في عمّان خلال الشهر القادم حيث يتوقع ان يكون نشاط الملك باسم الفلسطينيين محط امعان نظر، على الرغم من ان مؤتمر القمة سيركز على حرب الخليج بالدرجة الاولى.

موقف الدول العظمى:

قد لا تتحقق مخاوف اسحق شامير الأسوأ (تسوية سلمية يتفق عليها دولياً)، إلاّ إذا استطاعت القوى العظمى ان تستعيد وحدتها وتنسيقها في موضوع الحرب بين العراق وايران من اجل أن تكون صانعة سلام بين «اسرائيل» وخصومها.

على أية حال، لقد بدأت موسكو تشق طريقها من اجل وضع تفاوضي مع «اسرائيل»، فسمحت لمهاجرين جدد بالمغادرة فيما يجري التمهيد لاعادة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

في النهاية، هل ستتفق القوى العظمى على التعجيل بتسوية عربية «اسرائيلية»، بعد اتفاقها على نزع الصواريخ والتفاوض على انهاء حرب الخليج؟

نادراً ما تتطور الاحداث بمثل هذه السلاسة، خاصة وأن المؤشرات على مثل تلك التطورات ليست كثيرة... الآن.

١٢/١٠/١٩٨٧

LE MONDE diplomatique

لوموند دبلوماتيك

السياسة السوفياتية ذات الحدين

بقلم: ألن غريش

من وجهة نظر موسكو، تأخذ حرب الخليج ابعاداً تدعو الى القلق بسبب تأثيرها على منطقة قريبة جداً من حدودها، وتعيش اضطرابات النزاع الافغاني والمشكلة العربية ـ «الاسرائيلية» المستعصية على الحل. فضمان امن الحدود مسألة حيوية تأتي في الدرجة الاولى بالنسبة الى السوفيات. ولعل في ذلك تفسيراً لموقفهم من ايران.

«لقد حافظنا دوماً على موقف متوازن من الطرفين المتحاربين. وسنستمر في ذلك. لكن وجود ٤٠ سفينة اميركية و ٢٥ الف جندي اميركي في الخليج قد زاد في اشعال الموقف، كما ضاعف الضغوط على الدول العربية من اجل منح قواعد عسكرية للولايات المتحدة.

إن هدفنا الرئيسي هو انسحاب كل الاساطيل الغربية من المنطقة»، كان هذا ما قاله السيد كارين بروتنس المدير المساعد في دائرة السياسة الدولية للحزب الشيوعي السوفياتي، من دون ان يُغفل تأكيد التزام بلاده بالدفاع عن حرية الملاحة في الخليج.

بالنسبة لموضوع رفض المقاطعة الفورية لنظام طهران، اكدّ كل المسؤولين الذين قابلناهم في موسكو رغبة السوفيات في اعطاء فرصة لوساطة الامم المتحدة من اجل تشجيع معسكر السلام في ايران.

امّا في حالة فشل تطبيق القرار ٥٩٨ فإن «موسكو لن تكون ضد تبني قرار لمقاطعة نظام طهران».

هل يمكن اعتبار هذا الموقف مؤشراً اضافياً على الحياد؟ ام انه تعبير عن الحرص على التوازن؟ وهل يمكن الحديث عن نصف استدارة سوفياتية جديدة؟

من اجل فهم اكبر، لا بدّ من تسليط الضوء على «مصادفة» الحدود المشتركة مع ايران (٢٠٠٠ كم) تجعل من هذا البلد، ومن تركيا وافغانستان، مناطق حيوية بالنسبة لدفاعات الاتحاد السوفياتي. لذلك لا بد من الحرص على عدم قيام انظمة معادية في تلك البلدان ومقاومة المحاولات الامبريالية لزرع قواعد عسكرية فيها.

وهكذا، بعيداً عن اي اعتبار ايديولوجي، كان التدخل السوفياتي في افغانستان، علماً ان المسؤولين في الكرملين يعترفون اليوم انهم اخطأوا في تقييمهم للاوضاع في ذلك البلد عام ١٩٧٩، ناهيك عن خطأ تقييم «الثورة» الاسلامية في حينه: مثلهم مثل الغربيين، اندهش السوفيات من سقوط الشاه الذي كانت تربطهم به علاقات جيدة. وراقبوا باهتمام تلك الثورة التي لم تأت نظرياتهم على ذكرها. فاندفعوا في محاولة التقرب الى خميني بسبب عدائه لاميركا؛ واوقفوا تزويد بغداد بالاسلحة في الوقت الذي كانوا يعرضون فيه تحالفاً مع الجمهورية الاسلامية الهشة.

لكن هذا الانفتاح على الملالي أُجهض، وعادت الاسلحة السوفياتية للتدفق من جديد على بغداد منذ عام ١٩٨٢ حين قرّر الرئيس العراقي صدام حسين اعادة قواته الى الحدود الدولية.

في عام ١٩٨٣، تم القضاء على حزب «تودة»، وطرد عدد من الدبلوماسيين السوفيات من طهران بناءً على توجيهات وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية (CIA). ثم توقفت بعد ذلك المبادلات التجارية بين البلدين تمهيداً لمغادرة الخبراء الاقتصاديين.

وهكذا تبدد وهم التحالف بين الاسلام والشيوعية، فكان على السوفيات ان ينتظروا حتى عام ١٩٨٦ من اجل العودة الى حوارٍ محدود بين

موسكو وطهران.

غير ان التحول الحقيقي يعود الى شباط / فبراير ١٩٨٧ - في اوج فضيحة ايران غيت - عندما زار علي اكبر ولايتي موسكو شخصياً، في اول زيارة من نوعها يقوم بها وزير خارجية ايراني منذ ٥٠ عاماً. فاستقبله السوفيات بشكل ودي، واستجاب الكرملين الى «رغبة ايران في التعاون بين البلدين» من خلال دراسة مشاريع مهمة تعزز علاقات حسن الجوار وتوقف التقارب الاميركي - الايراني الذي كشفت عنه فضيحة ايران - غيت.

مفاتيح الصراع الأفغاني.

لم يذهب كل الافغان الذين هربوا من نظام كابول الى باكستان. فقد استقبلت ايران ١ الى ٢ مليون منهم وما رافق ذلك من التزام الى جانب المتمردين، الامر الذي شغل بال موسكو، خاصة بعد ما تناقلته وسائل الاعلام السوفياتي مؤخراً من احداث على طول الحدود (٨٥٠ كم) التي تفصل ايران عن افغانستان. فطهران - في نظر موسكو - لا تختلف عن اسلام آباد من حيث امساكها ببعض مفاتيح الصراع الافغاني، لكن عودة الولايات المتحدة الى ايران هو الهم الاقليمي رقم واحد بالنسبة الى السوفيات الذين يعتبرون المصالحة مع طهران ضرورية من اجل تجنب تصعيد عسكري على الاقل.

اما العامل الآخر الذي يثير القلق، فهو عودة الاسلام الى صفوف ٥٠ مليون مسلم سوفياتي. وقد اعترف السيد فيتالي نومكين مسؤول الدائرة العربية في معهد الشرق ان «بعض البلدان تشجع على هذه العودة من خلال الكاسيتات ودروس الوعظ التي تعبر الحدود من ايران».

ومع ذلك، لا يعتقد السيد نومكين بخطورة العدوى فيقول «إنها ظاهرة بسيطة، وليس لها أي تأثير على سياسة موسكو تجاه ايران».

على اية حال، خيارات الكرملين في الابقاء على العلاقات مع العراق وايران ليست سهلة، خاصة بعد الانتقادات التي يوجهها العرب الى موسكو بانها «تلعب لعبة مزدوجة في الخليج». ففي ١٩٨٧/٨/٢٢، حذرت صحيفتا «الرأي العام» و«السياسة» الكويتيتان الكرملين من سياسة مهادنة آيات الله.

اما صحيفة «الجمهورية» العراقية الصادرة بتاريخ ٩/٥ فقد انتقدت علناً ولأول مرة تصريحاً في وكالة تاس. يضاف الى ذلك الحملة المعادية للاتصالات السوفياتية - «الاسرائيلية» في الاوساط نفسها.

ان الجهود المتصلة التي قام بها السوفيات على مدى ٥ سنوات في الساحة العربية مهددة بالانهيار. العلاقات الدبلوماسية مع عُمان والامارات، والحوار مع السعودية.

لقد حصلت موسكو على قرض قيمته ١٥٠ مليون دولار بضمانة بنوك كويتية، واعادت صلاتها مع مصر مبارك الذي اصبح من جديد احد اهم شركائها التجاريين.

باختصار، يشمل البرنامج السوفياتي في المنطقة ٦٠٠ مشروع تطوير و ٥ مليار روبل من المساعدات للسنوات القادمة. اي ان الشرق الاوسط قد عاد الى مكانه الحيوي في السياسة الخارجية السوفياتية. فهل تضحي موسكو بكل هذا من اجل تحالف مشكوك فيه مع طهران؟

في السابق، كان تحالفها مع طرف يجرها الى القطيعة مع الطرف الآخر، لكن موسكو تراجعت حالياً عن هذه السياسة. فالعالم الثالث لم يعد يحتل المكانة نفسها في اولويات السياسة الخارجية التي يتصدرها نزع السلاح والحوار مع الولايات المتحدة.

لم تعد موسكو تعيش ساعة «التفاؤل التاريخي» الذي غمرها بعد هزيمة اميركا في اندونيسيا، وانهيار الاستعمار في افريقيا، والتجربة الأثيوبية واليمنية الجنوبية، وانتصار نيكاراغوا.

قال احد الخبراء السوفيات في شؤون الدول النامية «اعتقدنا في حينه أن الاشتراكية ستزحف على العالم الثالث. لكننا نعترف الآن بأن غالبية الدول النامية قد اختارت الطريق الرأسمالي. امّا الذين التزموا بالطريق الاشتراكي، فلم يحرزوا دائماً نتائج مشجعة».

... لذلك أبلغت موسكو ماناغوا أنها يجب ان لا تتحول الى كوبا ثانية التي تشكل عبئاً مالياً على كاهل السوفيات يقدر بعدة مليارات من الدولارات سنوياً.

عدد تشرين الأول/اكتوبر ١٩٨٧

TIME

التايم

عندما تلتقي المصالح

إن فكرة وجود مناطق في العالم تتجمع مصالح الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي المشتركة فيها، لتكون فائدة الاولى منها مفيدة للثانية ايضاً، قد تكون الامتحان الاكثر دقة للتفكير الجديد للزعيم السوفياتي ميخائيل غورباتشوف، خاصة، تجاه ازدياد كثافة الحضور الاميركي في الخليج الذي يبعد ٦٠٠ ميل فقط عن الحدود السوفياتية.

الواقع انه لا يوجد بقعة اخرى في العالم تشتد المنافسة فيها، بين الدولتين على هذاالنحو، كما لا يوجد مكان اكثر قابلية للتعاون بين الطرفين اللذين يريدان الابقاء على طرق الملاحة مفتوحة، وانهاء القتال، ومنع الملالي من الانتصار، مثل منطقة الخليج.

فإذا استطاعت موسكو وواشنطن العمل معاً للتوصل الى هذه الاهداف، سيمتد تأثير ذلك ليس الى قمة ريغان - غورباتشوف فقط، وإنما ايضاً الى افراز حقبة جديدة في العلاقات السوفياتية - الاميركية.

عندما يصل جورج شولتز وزير الخارجية الاميركي الى موسكو قادماً من الشرق الاوسط، سيطرح كل الاشكالات الاميركية - السوفياتية القديمة محاولاً اكتشاف ما اذا كان كلام غورباتشوف عن «التفكير الجديد» حقيقياً ام انه مجرد خطاب؟

الجدير ذكره ان شولتز هو الذي قاد جهود ادارة ريغان للبحث عن مجالات يمكن التعاون فيها كطريقة لاختبار النوايا السوفياتية.

وهل هناك موضوع اكثر اهمية من سلة الاضطرابات في الشرق الاوسط، حيث يُسمع صدى العيارات النارية في العام الثامن لحرب العراق - إيران في كل مكان من العالم الآن؟

لا شك في ان هناك مؤشرات تدعو للتفاؤل:

● فقد وقف الاميركان والسوفيات معاً بحزم خلف قرار وقف اطلاق النار الذي تبناه مجلس الامن في تموز / يوليو الماضي، الذي وافقت العراق على الالتزام به بينما قاومته ايران.

● ارتأت موسكو ان الوقت ليس مناسباً لفرض حظر دولي على بيع الاسلحة لايران، الامر الذي لقي موافقة جورج شولتز بعد محادثاته مع وزير الخارجية السوفياتي، ادوار شيفارد نادزة، من منطلق دعم جهود التوصل الى وقف اطلاق النار.

للسوفيات، بالطبع، اسبابهم القوية لانهاء حرب الخليج، مع انهم يتحدثون عن بناء انابيب نفط وسكة حديد لايران، بينما يدعمون العراق في الحرب بتزويده بما لا يقل عن ٧٠٪ من اسلحته التي تستخدم للتصدي لاجتياح ايراني. لأن هزيمة العراق ستدمر مقولة وقوف موسكو الى جانب الدول العربية.

غير ان الاسوأ من ذلك هو خطر انتصار الملالي على ٥٠ مليون سوفياتي مسلم يسكنون الاراضي المحاذية لايران. لذلك من مصلحة الاتحاد السوفياتي ان يكون صانع سلام، فيكسب بذلك على كل الاصعدة وتتعزز مواقعه في الخليج.

ولعلّ دعوة غورباتشوف الى توسيع دور الامم المتحدة في الفصل في النزاعات الاقليمية لا يخرج عن هذا الاطار. فهل ينجح؟

من اجل النجاح لا بد من تعاون موسكو وواشنطن. لقد حدث هذا من قبل في عام ١٩٧٣ عندما تبنت القوتان العظميان قراراً أجبر الطرفين المتحاربين بالموافقة على وقف اطلاق النار بين مصر وسورية من جهة و«اسرائيل» من جهة ثانية.

هذا بالضبط ما يدعم اعتقاد دول الخليج العربي، أن الحرب في الخليج يمكن ان تنتهي اذا قررت واشنطن وموسكو ذلك.

١٩٨٧/١٠/١٩

الاوضاع الاقتصادية في السودان

الاتفاق مع الصندوق الدولي اخر البدائل المتاحة

السياسة الجديدة لا تنبىء عن اي أمل، وعصر نميري يعود اقتصاديا وتجار عهده وحدهم الرابحون

بينما يتوقع المراقبون السياسيون، قرب نجاح الصادق المهدي في اعادة الائتلاف بين الحزبين الكبيرين (الامة والاتحاد)، وهو ما يمهد لتشكيل حكومة ائتلافية جديدة، يبدو ان مسلسل العلاقات بين السودان وصندوق النقد الدولي، اوشك على الانتهاء. فقد اعلن مؤخراً وزير المالية والاقتصاد السوداني د. بشير عمر عن نجاح بلاده في التوصل الى اتفاق مع «الصندوق» يتعهد فيه السودان بتنفيذ سياسة اقتصادية معينة بغية اصلاح الاوضاع الاقتصادية المتدهورة، مقابل الحصول على تسهيلات نقدية من الصندوق، وبالتالي ضمان اجراء المفاوضات الخاصة بجدولة ديونه المستحقة للعالم الخارجي، ودفع السودان للمتأخرات المستحقة للصندوق ايضاً. وقد اتفق على ان تبدأ المفاوضات في الشهر القادم.

ويلاحظ من العرض الذي قدمه وزير المالية في لقائه مع الصحافيين ان هذا الاتفاق ينصب على ثلاثة محاور اساسية: اولها يرتكز حول توحيد صرف الجنيه السوداني، وثانيها يتعلق بالضرائب والجمارك، وثالثها يختص بتعديل اسعار بيع بعض السلع للجمهور المحلي. وقبل الدخول في تفاصيل كل من هذه البنود تجدر الاشارة الى ان الاوضاع الاقتصادية خلال العام الماضي، لم تكن احسن من سابقيه: فقد استمر الاقتصاد السوداني على ما هو عليه، بل ازداد تدهور ميزانه التجاري، فقد ارتفع العجز فيه من ٧٩٨ مليونا و ٤٠٠ الف جنيه سوداني عام ١٩٨٥، الى ٨٩٢ مليوناً و ٢٠٠ الف في نهاية عام ١٩٨٦. ويتوقع ان يرتفع الى مليار جنيه مع نهاية العام الحالي: ويعزو تقرير البنك السوداني تزايد هذا العجز الى هبوط حصيلة الصادرات السودانية الاساسية وبصفة خاصة القطن، وكذلك تناقص معدلات تحويلات السودانيين العاملين بالخارج، هذا فضلا عن ضعف انسياب العون الخارجي (مما ادى الى تدهور حصيلة العملات الاجنبية). ومن جهة اخرى - يشير التقرير - الى ارتفاع قيمة العجز الكلي للعام الحالي ليصل الى مليارين و ٢٦ مليون و ٥٠٠ الف جنيه عام ١٩٨٦/٨٥، ويتوقع ان يرتفع الى مليارين و ٨٥٩ مليون جنيه عام ١٩٨٧/٨٦ هذا كما يتوقع ان ترتفع نسبة القروض والمنح الخارجية لتمويل هذا العجز من ٦٠٪ الى ٩٢٪ خلال الفترة المشار اليها.

الاتفاق مع الصندوق اولا

وقد حاولت الحكومة السودانية الجديدة الاستعانة ببعض المصادر المحلية او العربية، ولكن استجابة هذه المصادر لم تكن على المستوى المطلوب الذي تسمح للحكومة باعادة هيكلة الاقتصاد من جديد وازاء تفاقم هذه الاوضاع، لم تجد الحكومة من بديل سوى اللجوء الى صندوق النقد الدولي من جديد، وذلك في محاولة لاعادة الجسور بينهما مرة اخرى. خاصة وان الصندوق كان قد اعلن منذ ما يقرب من عامين ان «السودان» بلد غير مؤهل للحصول على قروض جديدة، وهو الاعلان الذي ادى الى تناقص القروض الكبيرة من المصادر الغربية تناقصاً كبيراً خلال هذه الفترة. ومن هنا فالصندوق، لا يمثل للسودان، احد مصادر الاقتراض فحسب، بل - وهو الاهم - يمثل له معبراً لاسواق التمويل الدولية. بحيث يتيح الاتفاق مع الصندوق، الحصول على قروض جديدة من الهيئات الدولية والحكومات الغربية. هذا فضلاً عن الدور الرئيسي الذي يلعبه في عملية اعادة جدولة الديون وتأجيل المستحق عليها مرة اخرى «عبر نادي باريس». وبالتالي كان لا بد من الاتفاق مع الصندوق اولاً. وكما هو معروف، تتطلب موافقة الصندوق اولاً اجراء مناقشات مكثفة بين سلطات البلد المعنية وبين موظفي الصندوق حول السياسات الاقتصادية التي ينبغي ان تتبعها لتصحيح الاختلال في ميزان المدفوعات. فاذا ما تم الاتفاق حول هذه السياسة يقوم وزير مالية الدولة - نيابة عن حكومته - بتوجيه خطاب «اعلان عن النوايا» الى مدير الصندوق يعلن فيه وصفاً كاملاً ومفصلاً للاجراءات التي سيتم اتخاذها لتحسين الاداء اقتصادي والمالي، والسياسات التي يتوقع اتباعها خلال مدة البرنامج. وفي النهاية يتم التوصل الى برنامج يسمى «برنامج الاستقرار الاقتصادي» الذي تتعهد الدولة باتباعه.

عودة الى عصر نميري

وبما ان الحكومة السودانية تعلم ذلك تماماً فقد عبّدت الطريق، لتسهيل سير المفاوضات، ولذلك اتخذت العديد من الاجراءات الاقتصادية التي يشجعها خبراء الصندوق، ومنها بصفة خاصة سياسة الاستيراد الجديدة، او ما يسمى «الاستيراد بالتمويل الذاتي» وتهدف هذه السياسة الى فتح باب الاستيراد، الذي ظل مغلقاً اكثر من عام ونصف، امام المستوردين والتجار والسماح لهم باستيراد مجموعة من السلع (حوالي ٣٨ سلعة) على ان تمولها موارد هؤلاء الذاتية وحساباتهم الحرة (بالداخل والخارج). وتشمل قائمة السلع المعلنة على بعض المداخيل الصناعية والزراعية كالاسمدة والمبيدات والتقاوي والمعدات الزراعية، بالاضافة الى قطع الغيار وبعض السلع الغذائية كالحليب المجفف والعدس والشاي والبن. وتأتي هذه القررات لتؤكد نجاح الضغوط التي قام بها التجار والمستوردون السودانيون خلال الفترة السابقة بغية افشال سياسة الاستيراد التي اتخذتها حكومة «المهدي» خلال حكمها. وبالتالي اطلاق يد القطاع الخاص وسيطرته على عملية التجارة الخارجية استيراداً وتصديراً، لتعيد من جديد العجلة الى الوراء الى عصر نميري (وهو العصر الذي كون فيه هؤلاء ثرواتهم الاساسية).

ولا يخفى ما لذلك من اثار سلبية ستنعكس على الاوضاع الاقتصادية داخل البلاد وبصفة خاصة ارتفاع اسعار السلع المستوردة عبر هذا النظام ارتفاعاً كبيراً، هذا ناهيك عن تأثيره على سعر صرف العملة المحلية، حيث سيؤدي ذلك الى زيادة الطلب على العملات الاجنبية، وبالتالي المزيد من تدهور قيمة العملة المحلية.

اما ما يتعلق بالصندوق فإن مهمته، كما يذكر خبراؤه، تكمن في الاساس في التأكد من ان التمويل الخارجي يبلغ مستوى يتمشى مع قدرة البلاد الحالية والمستقبلية على التعامل مع الديون. وبالتالي وضع حدود معينة للتأكد من ان تدفق رأس مال الدولة الخارجي هو لملء الفجوة في التمويل. ومن هنا يفرض جزاؤه اعادة تنظيم مالية الدولة مرة

اخرى، بما يتمشى مع هذه الاهداف. ويلاحظ المتتبع للعلاقات الاقتصادية الدولية، مدى ازدياد الدور الذي يلعبه الصندوق في شؤون البلدان المعنية الاقتصادية (اي تلك البلدان التي تلجأ اليه لاعادة جدولة ديونها مرة اخرى) فلم يعد دوره قاصراً على علاج الخلل الطارىء في موازين مدفوعات الدول (كما نصت على ذلك اتفاقية انشائه وفقاً لنظام بريتون وودز) بل تعداه ليشمل كافة المشكلات الاقتصادية والسياسية التي تسير عليها الدولة. وكما اعلن وزير المالية والاقتصاد السوداني، يتضمن برنامج حكومته توحيد سعر صرف الدولار بالنسبة للجنيه السوداني، ليكون اربعة جنيهات ونصف الجنيه، وذلك للسعرين الرسمي والتشجيعي، مع الغاء لجنة الموارد واعطاء صلاحياتها للبنوك تحت رقابة بنك السودان المركزي. ولا يخفى ان هذا الاجراء يعني خفضاً آخر في قيمة العملة السودانية إذ كان سعر الدولار الرسمي ٢,٥ جنيه فاصبح ٤,٥).

سياسة تؤدي الى عكسها

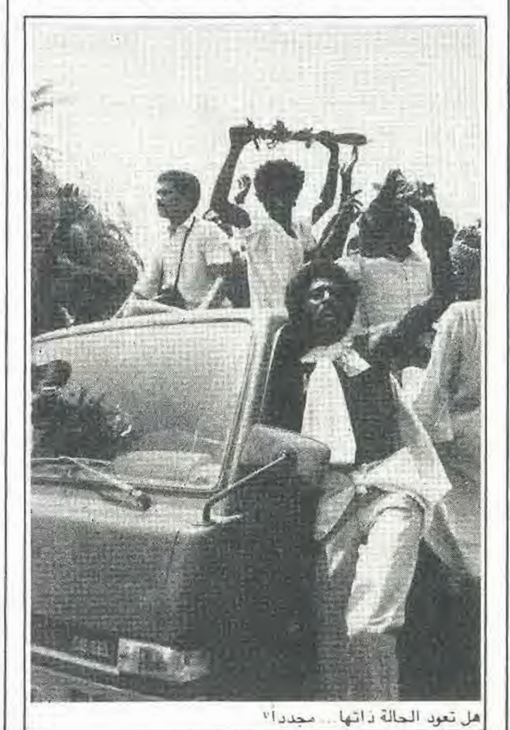
يرى خبراء الصندوق ان ذلك الاجراء سوف يؤدي الى ازدياد حصيلة النقد الاجنبي، وذلك عن طريق تشجيع الصادرات، وبالتالي زيادة عائداتها، وثانياً سيؤدي الى جذب مدخرات العاملين بالخارج عبر جهاز السودان المصرفي. وعند محاولة الوقوف على كل من هذين الهدفين تجدر الاشارة الى ان تحقيق سياسة تخفيض العملة لاهدافها المعلنة يتطلب بالضرورة توافر عدة شروط معينة، يصعب توفرها في بلدان العالم الثالث عموماً والسودان من ضمنها، سواء تعلق ذلك بمرونة الصادرات او الواردات، او اصلاح الاختلالات الموجودة في هذه البلدان، والناشئة عن عوامل مختلفة لا تتعلق بنقص الطلب على منتجاتها، بل يمتد ليشمل اختلال الهيكل الانتاجي السائد في المجتمع كله. ومن هنا فإن عدم توافر هذه الشروط يمكن ان يؤدي الى نتائج عكسية تماماً على ميزان المدفوعات إذ سترتفع اسعار الواردات (سواء كانت استهلاكية او مستلزمات انتاج مستوردة) وستنخفض قيمة الصادرات وبالتالي يتزايد العجز في الميزان لا العكس.

اما الهدف الثاني من سياسة التخفيض هذه، وهو الخاص بتشجيع مدخرات السودانيين العاملين في الخارج فإنه يتوقف على عوامل كثيرة، في اغلبها خارج سيطرة متخذي القرار، وبصفة خاصة مستقبل اسعار النفط في السوق الدولية، وتاثيره على اوضاع هذه العمالة، هذا فضلاً عن العلاقة بين العمالة الوافدة العربية و الآسيوية. وبالتالي هناك احتمالات كبيرة لهبوط الطلب على هذه العمالة، ومن ثم الاستغناء عن عدد كبير منها، وهو ما يلاحظ من تطور الاوضاع في هذه السوق في الفترة الاخيرة. هذا ناهيك عن التخفيضات في المرتبات والاجور التي يحصل عليها هؤلاء في الآونة الاخيرة، الامر الذي سينعكس بلا شك على دخول هؤلاء ومن ثم مدخراتهم. وثالث العوامل التي تضعف من قدرة هذا النظام يتركز حول تاثير نظام الاستيراد الجديد على هذه المدخرات، إذ يتوقع ان يقوم المستوردون المحليون بشراء العملات المتوافرة لدى العاملين بالخارج (باسعار اعلى مما هو سائد في السوق المحلية) وذلك لتمويل شراء السلع المستوردة وفقاً لهذا النظام، ولا يخفى ما لذلك من تاثير على اجمالي الحصيلة الداخلة الى البلاد.

مكمن الخطورة

وهنا قد يرى البعض ان ذلك سيحقق الهدف منه ايضاً، لان هذه المدخرات وفي كل الاحوال، كانت ستستخدم لتمويل الاستيراد، وبالتالي فلا فرق بين ان تتم هذه العملية عبر هذا النظام او ذاك. وقد يصدق هذا القول اذا ما كانت هذه المدخرات تتوجه اساساً لتمويل السلع الاساسية والغذائية التي تحتاجها البلاد، ولكن الخطورة تكمن في ان تتجه هذه الاموال لتمويل السلع الاستهلاكية الترفية التي تشبع استهلاك فئات معينة في المجتمع، على حساب الغالبية العظمى منه. وذلك انطلاقاً من حرص التجار الاساسي على تحقيق اقصى ربح ممكن من تجارتهم، وهنا تجدر الاشارة الى ما اعلنه الصادق المهدي، اكثر من مرة، عن مصادرة بضائع وسلع مخزنة تقدر بنحو ٣٠٠ مليون جنيه، خلال فترة الطوارىء فقط، كانت مجهزة ومعدة للاتجار بها في السوق السوداء، وهو ما يؤكد ان هؤلاء ليس لديهم من هدف سوى تحقيق الارباح وتراكم الثروات، ولو تم ذلك على حساب الطبقات الشعبية الفقيرة.

وثاني المحاور التي يرتكز عليها البرنامج الاقتصادي الذي اعلنه وزير المالية السوداني، يتركز اساساً حول تعديل اسعار بعض السلع الرئيسية، والغاء الدعم المقرر عليها، وهذه السلع هي البنزين ؟رفع سعر الغالون منه من سبعة جنيهات ونصف الى تسعة جنيهات ونصف للعادي، ومن ثمانية الى عشرة جنيهات ونصف للسوبر) كذلك السكر فقد ارتفع سعر الرطل من ثلاثين قرشاً الى خمسين، مع اخراجه من التموين (اي الغاء الدعم) ويرى وزير المالية ان الاجراء الاول سيحقق دخلا اضافياً للحكومة يصل الى ١٠٣ ملايين جنيه و ١٩٠ مليوناً من الاجراء الثاني.



هل تعود الحالة ذاتها... مجدداً؟

الأمل المفقود

وينطلق هذا الاجراء من طبيعة رؤية خبراء الصندوق للانفاق الحكومي على دعم السلع والمنتجات، إذ يرى هؤلاء ان تدخل الدولة في نظام الاسعار يؤدي الى «تشويه» قوى السوق، وبالتالي اختلال النظام من جهة، كما يؤدي الى سوء استخدام هذه السلع وتزايد معدلات استهلاكها تزايداً اكبر من المعدلات الطبيعية، مما يعني اهدار عشرات الملايين بسبب هذه السياسة. ومما لا شك فيه ان خبراء الصندوق قد استفادوا من خبرتهم السابقة، سواء في البلدان العربية كمصر وتونس او السودان سابقاً عند توقيع هذه الاتفاقية فقد تم التغاضي جزئياً عن بعض المسلمات التي كانوا يطالبون بها، مثل ضرورة الغاء الدعم الموجه للسلع الغذائية، في الحال ودون تردد، وقد الغي تماماً مؤخراً. ومن هنا جاء الاتفاق المذكور ليشمل السكر والبنزين، وان كنا نرى ان الخطوة الثانية صحيحة الا ان الغاء الدعم على السكر سوف يؤدي الى موجات متتالية من الارتفاعات في الاسعار، فهذه السلعة تعد احدى السلع الاستهلاكية الاساسية والتي تدخل في نمط استهلاك المواطن العادي اليومي، كما انها احد مستلزمات الانتاج في العديد من الصناعات الغذائية، وبالتالي يزداد الطلب عليها ولن تفلح معها زيادة الكمية المستوردة منه التي يشير اليها وزير المالية، والتي تصل الى ٢٠٠ الف طن في هذا الشهر.

مما سبق يتضح لنا ان السياسة الاقتصادية الجديدة لا تنبىء بامل ما، وبالتالي لا نتوقع ان تؤدي الى حل المشكلة الاقتصادية السودانية، بل يمكن ان تؤدي الى المزيد من التدهور وبالتالي تحكم مؤسسات التمويل الدولية في مقاليد البلاد. ولا يرجع السبب في ذلك الى عدم قدرة، او جدية الدولة في تنفيذ هذا البرنامج من عدمه، كما يدعي المدافعون عن برنامج الصندوق، بقدر ما يرجع السبب في ذلك الى طبيعة المشكلة الاقتصادية السودانية، التي لم تكن في الحسبان عند وضع برنامج الاصلاح الاقتصادي مع الصندوق. وبالتالي يجب البحث عن مخرج آخر من الازمة على ان يرتكز اساساً على الجهود الذاتية ومحاولة استخدام الموارد المحلية المتاحة الامثل، ومن ثم محاولة وضع الحلول الجذرية للمشكلات المزمنة في الاقتصاد السوداني.

عبد الفتاح الجبالي

اخبار الاقتصاد

الصندوق العربي للانماء ومشاريع التنمية العربية

في اطار الجهود التي يبذلها الصندوق العربي للانماء الاقتصادي الاجتماعي لتدعيم مشاريع التنمية العربية، اعلن مؤخراً عن تقديم اربعة قروض لثلاث دول عربية تبلغ قيمتها ٢٥,٦ مليون دينار كويتي (٩٠,٦ مليون دولار اميركي).

توزع هذه القروض على النحو التالي: قرضان لسورية تبلغ قيمتهما ١٧,٥ مليون دينار كويتي (٦١,٩ مليون دولار اميركي)، وقرض للجمهورية العربية اليمنية قيمته ٦,٣ ملايين دينار (٢٢,٣ مليون دولار)، والقرض الاخير للحكومة التونسية بمبلغ ١,٣ مليون دينار (٤,٦ مليون دولار).

زيادة الصادرات السعودية

حققت الصادرات السعودية زيادة كبيرة خلال النصف الاول من العام الحالي، وذلك مقارنة بالفترة ذاتها من العام السابق، فقد بلغ اجمالي الصادرات من السلع المنتجة محلياً خلال النصف الاول من العام الحالي ٢٧ مليارا و ٧٦٦ مليون ريال، بزيادة قدرها ثلاثة مليارات و ٢٨٥ مليون ريال. وجدير بالذكر ان حجم التبادل التجاري بين المملكة ودول مجلس التعاون الخليجي قد ارتفع ايضاً خلال الفترة نفسها، فقد بلغت قيمة الصادرات الى بلدان المجلس (عدا النفط) حوالي ٧٥٩ مليون ريال بزيادة حوالي ٥٠٪ عن النصف الاول من عام ١٩٨٦، كما بلغت واردات المملكة من هذه البلدان حوالي ١٤٤٤ مليون ريال، وبزيادة قدرها ١٪.

زيادة اسعار المحروقات في لبنان

للمرة الثانية خلال واحد فقط، تتخذ الحكومة اللبنانية قراراً بزيادة اسعار البنزين والمحروقات الاخرى، وذلك بعد التدهور المستمر في قمة الليرة اللبنانية. فقد قرر وزير النفط والاقتصاد اللبناني رفع سعر صفيحة البنزين الى ٨٠٠ ليرة (اي بنسبة حوالي ١٥٪) ورفع سعر صفيحة المازوت الى ٩٠٠ ليرة.

وجدير بالذكر ان اسعار هذه السلع في الاسواق السوداء تتجاوز بكثير القيمة المعلنة.

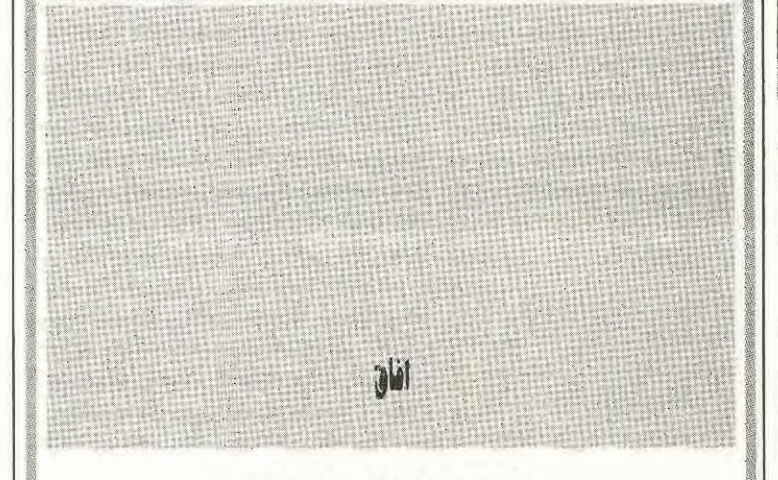
ارتفاع معدلات التضخم في العالم الثالث

اعلن صندوق النقد في تقريره الشهري الاخير، والخاص بالتطورات الاقتصادية والنقدية الدولية، عن ارتفاع معدلات التضخم ارتفاعاً سريعاً في بلدان العالم الثالث، خلال الربع الثاني من العام الحالي. فقد زادت الاسعار بنسبة ٤٢,٧٪ خلال هذه الفترة، مقارنة بمثيلتها من العام الماضي. واحتلت البرازيل المرتبة الاولى اذ وصل هذا المعدل فيها الى ١٦٢,٢٪، وجاءت المكسيك في المرتبة الثانية وبنسبة ١٢٤,٣٪، ثم الارجنتين بنسبة ١٠٥,٥٪ وبيرو بنسبة ٧٥٪ خلال الفترة المشار اليها سابقاً.

ارتفاع العجز في الحساب الجاري الاميركي

تشير الاحصاءات الاميركية الى ازدياد العجز في الحساب الجاري الاميركي خلال النصف الاول من العام الحالي، بمقدار ١١ بليون دولار، هذا في حين بلغ العجز خلال العام الماضي كله ١٤,١ بليون دولار. هذا مع ملاحظة ان العجز في هذا الحساب قد ارتفع من ٢٦,٨ بليون دولار في الربع الاول من العام الحالي الى ٤١,١ بليون خلال الربع الثاني من هذا العام.

هذا كما ارتفع العجز في الميزان التجاري في الولايات المتحدة الاميركية الى ٣٩,٥ بليون دولار خلال الربع الثاني من العام الحالي، مقابل ٣٨,٧ بليون دولار خلال الربع الاول من هذا العام.



مقاطعة النظام الايراني

في الاسبوع الماضي قامت ايران بعمل اجرامي جديد، راح ضحيته هذه المرة اكثر من ثلاثين طفلاً من شهداء مدرسة «بلاط الشهداء» العراقية، فضلاً عن جرح المئات من الاطفال والسكان المدنيين.

ومن المفارقات ان ياتي هذا القصف الايراني، قبل اسبوعين من عقد القمة العربية الطارئة في عمان، في الثامن من الشهر القادم، والتي تقرر انعقادها، في الاساس، لبحث موضوع الحرب الايرانية ضد العراق، ولتضع القادة والحكام العرب امام مسؤوليتهم التاريخية لاتخاذ اجراءات عملية وفعلية في مواجهة المخاطر على «الامن القومي العربي». ولتؤكد من جديد على ضرورة تنفيذ استراتيجية العمل الاقتصادي العربي المشترك التي وقعها الملوك والرؤساء العرب في مؤتمر القمة العربي الحادي عشر المنعقد في تشرين الثاني ١٩٨٠.

وجدير بالذكر ان هذه الوثيقة اجملت التحديات التي يواجهها وطننا العربي في محاور اربعة هي «التجزئة والتخلف الاقتصادي والاجتماعي والغزو الاستعماري واخيراً الغزو الفكري الهادف الى طمس الشخصية الحضارية العربية».

ومن هنا، فان الاحتلال الصهيوني للاراضي العربية إذا كان يكرس الغزو الاستيطاني والتجزئة، فان العدو الايراني على الاراضي العراقية يكرس الغزو الاستعماري، ناهيك عن الغزو الفكري المعلن على لسان القادة الايرانيين في كل بياناتهم. لا شك ان شهداء «بلاط الشهداء» خير جواب على اولئك الذين يقفون ضد أي قرار عربي، يهدف الى قطع العلاقات العربية مع ايران. فلعل هذه الجريمة تدفع هذه الاطراف الى مراجعة مواقفهم تجاه التحدي الايراني، والتغاضي عن بعض المكاسب الضيقة، بغية تحقيق اجماع عربي حول قضية اصبحت محط استنكار عربي عام.

ومن هنا اصبح من الضروري الانتقال من مرحلة «الاستنكار» الى مرحلة التنفيذ «العمل» من اجل خدمة المصلحة العربية العليا ولتحقيق الامن القومي العربي، انطلاقاً من رؤية عربية واحدة شاملة لقضايانا المصيرية.

ولتكن المقاطعة العربية الشاملة للنظام الايراني، اقل ما يقدم الى روح شهداء تلاميذ «بلاط الشهداء» وكل الشهداء العراقيين.

عبد الفتاح

حتى لا يسخّر الموتى لخدمة الاحياء ولا يزوّر الماضي والحاضر في كتب المستقبل


جانب من الحضور ويظهر هدى عبد الناصر، محمود عبد الفضيل، طارق البشري

الالتزام والموضوعية في كتابة التاريخ

الخلاف الكبير حول تقييم زعماء وتاريخ مصر يعكس ضرورة تأسيس مدرسة عربية متميزة في كتابة التاريخ في السبعينات ظهرت تجارة مذكرات السياسيين التي تتاجر بسير الموتى وتحولت الجامعات الى دكاكين...

القاهرة - خاص

لتاريخ مصر المعاصر اهمية فريدة من نوعها في واقع الحياة السياسية المصرية اليوم. فاحزاب اليسار واليمين وقياداتها تكاد تكون هي احزاب الاربعينات. ومعارك السياسة والحكم في مصر اليوم امتداد لمعارك الامس.

التاريخ يوظف في الصراع الفكري والمعارك الحزبية، وكل فصل سياسي يقلب في اوراق التاريخ بحثاً عن مشروعية مفقودة او محاولة للتقليل من مصداقية تيار آخر...

هكذا التاريخ في مصر صراع وخلاف، بين الفرقاء حول مسار تاريخ مصر المعاصر او حتى زعماء الثورات والاحزاب المصرية.

لماذا هذا الصراع؟ وما الاسباب التي تجعل الموتى وقضاياهم تتحكم في الواقع المصري؟

الاجابة استدعت تنظيم ندوة للبحث في مشروعية التوظيف السياسي للتاريخ، والكشف عن الموضوعية والالتزام في التاريخ. وكيف يكونان؟ وما هي شروطهما؟ وكيف يمكن الاستفادة منهما في حسم الجدل والخلاف وازالة الخلط المريب في الاوراق على الساحة المصرية؟

شارك في تنظيم الندوة كلية الآداب - جامعة القاهرة، والمركز القومي للبحوث الاجتماعية، وجامعة امستردام، والمركز الثقافي الهولندي، وناقشت خمساً وعشرين ورقة عمل على مدار احدى عشرة جلسة صباحية ومسائية.

ورغم الجهود المبذولة في الندوة ومحاولة المنظمين تبرير التمويل الاجنبي بان الاوراق والاعمال معلنة، حفلت الندوة بايجابيات وسلبيات تداخلت على نحو معقد.

ولعل اخطر هذه السلبيات ان الندوة تحولت الى مجال جديد للاقتتال باسم التاريخ، ودار صراع وخلاف بين ممثلي الاحزاب والاتجاهات. كما لم تعالج اغلب الاوراق موضوع الندوة، بل جاءت عبارة عن دراسات متفرقة في التاريخ المصري، من دون بحث حقيقي في قضايا المنهج والموضوعية في كتابة التاريخ، ومشكلة تاسيس مدرسة عربية متميزة لهذه الغاية.

الاتفاق على التاريخ

البداية كانت مع ورقة منسق الندوة ومتحدثها الاول د. احمد عبد الله حول ظاهرة الصراع السياسي وتاثيره في الكتابات التاريخية. يقول ان التاريخ علم وفن وان تفسيره يخضع لتحيزات المؤرخ، اما اشد انواع التزوير التاريخي فهي اقلها كذباً بالمعنى الضيق. ويتعرض الكاتب بالنقد لاعمال د. عبد العظيم رمضان لان انتماءه الوفدي دفعه الى التبسيط والتجني على التجربة الناصرية، اما د. رفعت السعيد مؤرخ الحركة الشيوعية فهو يكتب تاريخ منظمته دون بقية المنظمات، فرسم صورة وردية غير واقعية للمنظمات الشيوعية قبل الثورة.

وينتهي د. احمد عبد الله الى ضرورة تحقيق اتفاق بين عناصر المجتمع المصري، في شكل وحدة وطنية في مواجهة التهديدات الخارجية، ووحدة سياسية بمعنى الاتفاق على اساليب الصراع السياسي والالتزام بها، ووحدة اجتماعية تتفق على حد ادنى من مستوى المعيشة لافقر الطبقات...

هذه الدعوة رغم ضرورتها حملت بعض المعقبين على اتهام د. عبد الله بالمثالية والبعد عن الواقع والتحليق في الخيال.

العرب عاطفيون

وتحت عنوان نقد المدخل الاخلاقي في تقويم وقائع التاريخ مع التطبيق على ثورة ١٩١٩، قدم د. عاصم الدسوقي استاذ التاريخ بجامعة اسيوط ورقة بحث خلص فيها الى انه لا مجال للتقويم الاخلاقي في التاريخ. فالاخلاق نسبية وتعبر عن ذاتية، على حين ان التاريخ حركة مطردة تدفعها الظروف الموضوعية. ومن الضروري ان يستقل عن السياسة، كما ان من الضروري ان يستقل فكر المؤرخ وحكمه عن ارادة الحاكم وعمله، والا تدهورت مكانة التاريخ كعلم. واذا كنا نقول ان التاريخ علم فمن خصائص العلم التجرد من الاهواء الذاتية والانتماءات المذهبية والسياسية والدينية... لكن كيف؟ هذا هو سؤال الندوة او موضوعها الذي لم يحاول د. عاصم الدسوقي الاجابة عليه، وان كان قد اكد في تناوله التطبيقي على صعوبة الكتابة التاريخية واستحالة ان تتجرد من

ذاتية الباحث واهوائه.

ورقة اخرى عن ثورة ١٩١٩ وتقويم زعامات مصر في ما بين ثورتي ١٩١٩ و ١٩٥٢ قدمها الى الندوة المؤرخ د. احمد عبد الرحيم مصطفى وحاول فيها التفكير بصوت عال، ومراجعة بعض الاحكام السائدة حول دور بعض زعماء مصر السياسيين. فاشار الى ان سعد زغلول والنحاس حصلا على اكثر مما يستحقان من تقدير، بينما ظلم اسماعيل صدقي كثيراً بوصفه عدو الشعب، وعدو التعددية الحزبية، واضاف ان كتابة التاريخ عرضة للاهواء. ثم اشار في عجالة الى ان مشكلة الموضوعية في كتابة التاريخ هي مشكلة اخلاقية، فالالتزام يجب الا يكون احترافاً وانتهازية والموضوعية ثوباً فضفاضاً. ولكن ثمة حداً ادنى من الالتزام تكون الكتابة دونه نوعاً من الاسفاف. فعلى الكتاب تحرّي الصدق والشجاعة الادبية، وعلى الحكام الا يجعلوا من التاريخ مطية للدعاية لهم.

هكذا جاءت ورقة د. عبد الرحيم مصطفى على النقيض من ورقة د. عاصم الدسوقي، فالاول يدعو للاخلاق كاطار مرجعي يحفظ الالتزام والموضوعية في كتابة التاريخ، بينما الثاني يرفض الاخلاقية كمدخل في كتابة التاريخ. خلاف الرجلين بهذا الشكل الحاد يعكس عمق الازمة التي يعاني منها المؤرخون المصريون، وعدم اتفاقهم على الحد الادنى من قواعد العمل العلمي، ومن الغريب ان هذه الازمة لا تحظى باعتراف اساتذة التاريخ المصري، فهم لا يشعرون بان ثمة ازمة تحتاج الى تأمل والوقوف على اسبابها بغية تجاوزها.

ربما كان صوت د. عبد الخالق لاشين هو الصوت الوحيد من داخل جماعة المؤرخين او اساتذة التاريخ في الجامعات المصرية الذي توقف عند هذه الازمة وتحدث عنها ولكن من دون ان يطرح حلاً.

الازمة بنظر د. لاشين هي ازمة منهج، فاول كتاب علمي عن منهج كتابة التاريخ ظهر عام ١٩٣٨، ورغم ذلك لا تهتم اقسام الدراسات التاريخية بتدريسه، كذلك فان اكثر المؤرخين العرب متأثرون بالمنهج الديني، كما ظهر مثلاً عند السخاوي، وهو منهج يعتبر امتداداً لعلم الحديث رغم اختلاف الحقلين، الامر الذي دفعنا لتقديس الوثائق، ونقد الناقل لا المنقول، بمعنى عدم اخضاع المادة التاريخية للتحليل والنقد وقبولها ما دامت تمثل وثيقة تاريخية مقبولة.

ويتابع د. لاشين استاذ التاريخ بجامعة عين شمس ان رياح التغيير التي شملت المجتمع المصري في الاربعينات اثرت على المنهج في العلوم الاجتماعية بما فيها التاريخ، الا ان رياح التغيير جاءت في معظمها من خارج الجامعة. وفي الخمسينات ظهرت اعمال رائدة بمنهج ورؤية اجتماعية ـ اقتصادية الا انها لم تخلُ من سلبيات.

وعندما تبنت الدولة في الستينات الاشتراكية جاءت كتابات بعض المؤرخين ناقصة نقصاً كبيراً مع محاولة مماًلاة الحكم، رغم ان الدولة لم تتدخل، والملاحظ ان اغلب هؤلاء تراجعوا بعد غياب عبد الناصر عن كل ما قالوه، وبدأوا في الاتجار بالتاريخ



على منصة الندوة: د. عبد العظيم رمضان وعلي فهمي

وفتح دكاكين، لاصدار المذكرات والدراسات التاريخية ذات الصبغة السياسية. وواكب ذلك انتشار ظاهرة صدور المذكرات من قبل بعض المسؤولين بشكل واسع، وهي تحمل معلومات متضاربة، وتعتبر نوعاً من الاتجار بالموتى!.

ويخلص د. عبد الخالق لاشين الى ان الدعوة التوفيقية بين زعماء مصر ومراحلها التاريخية المختلفة هي دعوة سلطوية ترعاها الحكومة، وتؤدي عملياً الى نفي العقل وتجميد الواقع وضرب الابداع والتطور. ويدعو د. لاشين الى ضرورة تأسيس مدرسة عربية علمية تأخذ على عاتقها اعادة كتابة التاريخ، مدرسة ملتزمة بالواقع العربي وهموم الانسان العربي وطموحاته، ومتأثرة في الوقت ذاته بالمناهج العلمية العالمية.

مداخلة د. لاشين كانت بمناسبة ما اثير من خلاف بينه والمؤرخ اليميني عبد العظيم رمضان حول تقييم شخصية سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ ودوره. هذا الخلاف بدأت فصوله وتتابعت على صفحات المجلات والصحف المصرية، فالدكتور لاشين يرى ان سعد زغلول كان متهادناً ومتناقضاً في العديد من مواقفه، بينما د. رمضان يشيد بشخصه ومواقفه الى درجة التقديس.

ويبدو ان هذا الخلاف الذي تحول الى معركة لن ينتهي قريباً، خصوصاً بعد ان القى السيد فتحي رضوان بمفاجأة في افتتاح هذه الندوة حين اكد ان مذكرات سعد «لم تنشر كاملة وان سعد كتب فيها شهادة بخيانته»!!.

الايديولوجية والتاريخ

الخلاف حول تقييم دور الزعامات السياسية قابله اتفاق على ان تاريخ مصر المعاصر لم يكتب بطريقة موضوعية، هكذا اشار غير معقب، ابرزهم طارق البشري ومحمود عبد الفضيل وصلاح عبد المتعال. اكثر من ذلك جاءت دراسة الهولندي «راؤول ماير» عن الدراسات التاريخية المصرية المعاصرة لتؤكد ذلك. فهو يرصد مدارس الكتابة التاريخية ويرى ان المضمون الايديولوجي بارز في اغلبها، وهو ما يعكس ازمة التوجه السياسي التي يمر بها المجتمع المصري حالياً بين ثلاثة خيارات هي الرأسمالية والاشتراكية والنظام الاسلامي.

رؤية «ماير» تفسر الى حد كبير لماذا تحول التاريخ الى اداة للصراع السياسي، ولماذا تحولت الندوة ذاتها الى ساحة جديدة للقتال، فمصر تمر بمرحلة انتقال وفرز وجدل اجتماعي وسياسي لم يستقر بعد ولم تتحدد ملامحه الرئيسية.

لكن ثمة زاوية هامة للنظر في التاريخ المصري، فهو تاريخ لم يكتب بعد كما قال احد اساتذة الاجتماع، اذ لا توجد خريطة طبقية للمجتمع المصري، كما ان كتابات التاريخ القانوني والاقتصادي محدودة، وتعتمد في اغلبها منهجاً تقليدياً مدرسياً. هذه الملاحظات اكدها نبيل عبد الفتاح الذي قدم ورقة على نحو ملاحظات حول الكتابة التاريخية عن القانون والفقه والقضاء المصري. اما د. طه عبد العليم فقد ساهم بورقة هامة عن تاريخ مصر الاقتصادي بين المنهجية والايديولوجية، رصد فيها مدارس واتجاهات كتابة هذا التاريخ. وفي هذا الاطار حاول تفسير بعض الاحداث والمواقف التاريخية التي رأى فيها د. عبد العظيم رمضان اموراً صعبة على الفهم والتحليل.

اوراق ضالة

والملاحظ ان الندوة كغيرها من الندوات العربية اشتملت على نواحي ضعف وقصور فاضح، فعدة اوراق كانت دون المستوى، واوراق اخرى لم

تتناول الفترة من ١٩١٩ الى ١٩٥٢ بالرغم من ان عنوان الندوة يحدد ذلك. كما ان اغلب الاوراق لم تعالج قضية الالتزام والموضوعية في كتابة التاريخ.

ومن ابرز هذه الاوراق الضالة عن موضوع الندوة وعنوانها ورقة د. زكريا سليمان بيومي التي احدثت جدلاً ونقاشاً حادين حول احقية قبولها في ندوة علمية، ووصل النقاش لدرجة ان د. حسام عيسى عقب على الورقة بانها نموذج لعدم الالتزام والموضوعية في كتابة التاريخ، في ندوة عقدت لمناقشة هذه المسألة. لكن ما هو موضوع ورقة د. بيومي؟

جاءت الاجابة على لسان علي فهمي الباحث بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية، فقد وصفها بانها ورقة بلا موضوع، وبعنوان غامض غير مفهوم، فقد اخذت عنوان «الاتجاهات الدينية بين عهدي عبد الناصر والسادات واثر حركتها المعاصرة على تناول دورهما قبل عام ١٩٥٢».

في هذه الورقة يوزع الباحث الاتهامات على كل القوى والتيارات ويصدر احكاماً غاية في الخطورة حول سلوك جماعة الاخوان، ومواقف عبد الناصر والسادات من التيار الاسلامي، ويتحدث عن الجماعات الدينية والاسلام كشيء واحد، ولا يفرق بين الاخوان وبقية الجماعات، كما لا يفرق بين نهج عبد الناصر في التعامل مع الاخوان واساليب السادات.

شباب... وفلاحون

في مقابل السلبيات السابقة التي اشتملت عليها الندوة برزت مبادرة طيبة اقدم عليها د. احمد عبد الله، المنسق العام للندوة، إذ رفض قراءة او مناقشة الاوراق التي لم يحضر اصحابها، كما دعا اسماء شابة شاركت في الندوة، بالاضافة الى تكليف



رفعت السعيد: رؤية التاريخ من زاوية فقط

شخصيتين من ابرز قيادات الحركة العمالية المصرية لتقديم ورقتين عن تاريخ العمال في الحركة الوطنية المصرية.

وقد طالب سعد عثمان فيها بتوفير المادة التاريخية الخاصة باوراق النقابات ومحاضر البوليس في القضايا العمالية، كما طرح مفهوما للالتزام في كتابة التاريخ يربط بين الالتزام والنظرية الماركسية.

اما الورقة الثانية فكانت من نصيب عطية الصيرفي الذي يرى ان الطبقة العاملة المصرية كانت مكتملة الوجود ومنظمة منذ العشرينات، وهو افتراض انطلق منه الصيرفي بينما تكذبه اغلب الدراسات التاريخية المصرية، اذ عانى العمال المصريون من سيطرة «الوفد» على نقاباتهم ومنظماتهم المختلفة.

الى جانب تاريخ العمال كان للفلاحين حضور نقدي في ساحة الندوة، فقدم د. سيد عشماوي ورقة حول كتابة تاريخ الحركات الفلاحية اتهم فيها المؤرخين في مصر بالانحياز ضد الحركات الفلاحية وعدم الاهتمام بدراستها، او التعرض لها بشكل منفصل عن الحركة الوطنية، ودعا د. عشماوي الى الاهتمام بتاريخ هذه الحركات. اما المؤرخ احمد صادق سعد فقد تعرض بالنقد والتحليل لموضع حركة الجماهير التلقائية في المنهج المصري لكتابة التاريخ المعاصر، مع التركيز على فكر طارق البشري. وقد خلص صادق سعد الى ان الحركة الجماهيرية او الشعبية ليست غائبة عن المدارس التاريخية المعاصرة في مصر، لكنها تظهر في صورة الحركات التابعة للنخب في المدرسة الليبرالية، بينما الاتجاه العام في حالة المدرسة يؤكد ان التطورات الاقتصادية تنعكس في الميدان الاجتماعي على هيئة التحرك الجماهيري. ويستشهد الباحث بعديد من نماذج التناول التاريخي للحركات العفوية الجماهيرية التي ظهرت في اعمال د. محمد انيس، وعبد العظيم رمضان وجمال الشرقاوي. ويؤكد ان المؤرخ المصري طارق البشري كان استثناءً لهذا الاتجاه العام في المدرستين الليبرالية والماركسية في كتابة تاريخ مصر، الا انه ينتقد، وبدرجة الاشادة نفسها، اعمال البشري لانه يركز على فكرة مقاومة الاستعمار والوقوف ضد الوافد والتمسك بالموروث الذي يجسده في حركة الاخوان ومصر الفتاة.

ملاحظات احمد صادق سعد النقدية لاعمال البشري دفعت الاخير للتعقيب - وكان يتابع في حرص جلسات الندوة - فاتهم صادق سعد بتشخيص افكاره حتى يصعب الدفاع عنها، وهذا اسلوب معروف في الحوار السياسي لا الحوار العلمي او الفكري، واكد ان تركيزه على فكرة الوطنية المصرية لا تعني مجرد الحصول على الاستقلال اذ انها فكرة تحتوي ابعاداً اقتصادية واجتماعية واضحة. واضاف طارق البشري اعتقد ان ربط الباحث بين الرأسمالية وبين الوطنية المصرية هو ربط مصطنع تماماً كالربط بين الاسلامية وما قبل الرأسمالية او الاشتراكية والتقدم.

نافذة

الثقافة والهواء الطلق

يتهيأ للثقافة العربية المعاصرة، الآن في الاقل، ان تخرج من نظام الصالونات والغرف المغلقة الى الفضاء الارحب والهواء الطلق.

هذه الحقيقة تتأكد مراراً، ومنذ سنوات. خاصة واننا نشهد بشكل مستمر قيام مهرجانات ثقافية عربية، تتنوع مادتها وموضوعها، من الشعر الى المسرح، ومن الندوة الادبية الى الموسيقى، في اطار ملحمي يخضع لطبيعة المكان الذي تنعقد فيه، فمن مهرجان بعلبك (المتوقف حالياً بحكم ظروف لبنان) الى مهرجان جرش وقرطاج وبابل واصيلة ومهرجانات مصر (مهرجان اوبرا عايدة)، كل هذه المهرجانات تقام في الهواء الطلق، في ظلال الاعمدة التاريخية، وفي زخم إرث حضاري واسع.

مهرجان بابل... يقام في مدينة بابل الاثرية التاريخية ليستعاد من خلاله مجد هذه المدينة، في ظلال الآثار نفسها، حيث شارع الموكب والمسرح الدائري، وحيث شرائع الحق الاولى... وفي مصر تقام اوبرا عايدة في الاهرامات نفسها، في المكان ذاته التي تدور فيه احداث القصة الشهيرة التي تحولت الى اعظم اوبرا في التاريخ، والكلام ذاته عن مهرجانات عربية مماثلة، والمحصلة ان الثقافة العربية، باتت تخرج من ظلام المكان المغلق الى حيث الضياء والنور واشعة الشمس.

انها حالة جديدة للراهن من ثقافتنا العربية المعاصرة، التي تشهد الآن تحولات جذرية، ليس على صعيد الكتابة فحسب، وانما على اصعدة اخرى في القنوات الابداعية المختلفة، وليس على صعيد التقنية الفنية بكامل خصوصيتها الادائية والذوقية والنقدية فحسب، وانما على صعيد المواجهة مع الذات والآخر وفي الاحتكام الى طبيعة المرحلة الراهنة من حياة امتنا العربية، التي تتطلب ثقافة اخرى تصب في خدمة اهدافها وتطلعاتها.

هي، اذن، ثقافة تهل من حاجة متلقيها. بل هي تخرج به، ومعه، الى شعاع شمس دافئة، لكي تمنحه لقاح الخصب مع حياته.

لم يكن يتهيأ للثقافة العربية ان تتقدم باتجاه الناس، وباتجاه الشارع، لولا ان ما يسمى بأدب الصالونات قد استوفى اغراضه، ولولا ان الحياة الجديدة اصبحت اكثر تطلباً لوعي آخر بهمومها وبآمالها وبالامهابايضاً، وذلك هو امتحانها الجديد، الذي تثبت من خلاله اهليتها للصمود وللبقاء.

فيصل جاسم

اوراق ثقافية

سيرة جبرا ابراهيم جبرا... البئر الاولى

من لندن، وعن دار رياض الريس للكتب والنشر صدر مؤخراً كتاب «البئر الاولى - فصول من سيرة ذاتية» للكاتب والروائي والمترجم الفلسطيني الاصل جبرا ابراهيم جبرا الذي يعيش في العراق منذ سنوات طويلة.

جبرا يسرد لنا في كتابه هذا اجزاء من طفولته وصباه وولعه الثقافي بالآداب والفنون، وكأنه لا ينسى انه روائي له عدة روايات معروفة، ولذلك فانه كثيراً ما يعمد في «البئر الاولى» الى اسلوب الكتابة الروائية في سرد الاحداث والوقائع، رغم ان البطل هنا هو «جبرا» ذاته، وليس شخصية اخرى.

حياة غنية خلال نصف قرن من الزمان: شعر ونثر وترجمة ورسم ونقد ورواية، هي قوام حياة جبرا، وقوام هذه «البئر الاولى» التي تقع احداثها في ١٩٣ صفحة.

وامعتصماه... مسلسل في التلفزيون

انهى المخرج العراقي محمد يوسف الجنابي العمل في مسلسل تلفزيوني جديد من ١٣ حلقة يحمل اسم «وامعتصماه» كتب قصته معاذ يوسف، وشارك في التمثيل فيه مائة فنان وفنانة بالاضافة الى ثلثمائة في ادوار الكومبارس.

تعود قصة المسلسل الى المرأة التي استنجدت بالخليفة المعتصم واطلقت صرختها الشهيرة «وامعتصماه»، فأنجدها الخليفة على رأس جيش عربي كبير. ويذكّر المسلسل بعظمة الرجال الخالدين في تاريخنا العربي.

خوذة ايلول

مجموعة شعرية جديدة للشاعر العراقي علي الطائي صدرت مؤخراً عن دار الشؤون الثقافية ببغداد تحت عنوان «خوذة ايلول».

تتضمن هذه المجموعة تسعة وعشرين قصيدة عن الوطن والمقاتلين. وقد سبق للشاعر ان اصدر من قبل عدة مجموعات شعرية، اما قصائد هذه المجموعة فهي مما سبق نشرها في الصحافة المحلية والعربية.

تقاسيم على وتر البطولة

«عندما يبدأ الوطن... ينتهي كل ما عداه» بهذه العبارة يفتتح الشاعر السوري خليل الخوري ديوانه الجديد الذي يحمل عنوان «تقاسيم على وتر البطولة» والذي اصدرته له دار الشؤون الثقافية ببغداد.

جمع الشاعر في ديوانه الجديد هذا قصائده التي كتبها في السنوات الاخيرة والتي يوظف فيها رموز الماضي لخدمة رؤيا الحاضر... يقول في احدى قصائد المجموعة:

وطن انت للحلم العربي
استفاق على راحتيك



المخرج الى اليسار مع اثنين من الممثلين

فارضعته عنفواناً
والبسته بعد عربي
ضياء البروق

ويقدم الشاعر خليل الخوري في قصيدة اخرى وصية تنطلق من رؤيا الحاضر ايضاً:

وصيتي:
لا تأمني البرامكهْ
فهم ذئاب فاتكهْ
وإن بدوا في دعة الملائكهْ.

العالم بعد ألف سنة

كيف يمكن ان يكون شكل حياتنا سنة ٢٩٨٧ اي بعد الف سنة من الآن؟ جواب هذا السؤال يقدمه الفنان الفرنسي هوجيس كابي في معرض له على مساحة مائتي متر طولاً، في ضفة محطة القطارات الشرقية بباريس.

تصاميم مختلفة لنماذج البيوت ووسائط النقل والازياء والارصفة والقطارات الكهربائية، وكل ما له علاقة بحياتنا اليومية وسبل عيشنا، وهي تصورات تنطلق عن الفنان من الخيال، والخيال وحده.

اليونسكو...
ضوء في آخر النفق

آخر ما اصدره الدكتور عزيز الحاج ممثل العراق الدائم لدى اليونسكو ورئيس المجموعة العربية خلال دورتها الحالية كتاب جديد يحمل عنوان



غلاف الكتاب

«اليونسكو... ضوء في آخر النفق».

الكتاب اصدرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت ويقع في أربعين فصلاً موزعة على ٤٢٤ صفحة، عن هذه المنظمة التي صارت تشغل بال الكثيرين منذ تأسيسها وحتى الآن، مع عروض كاملة لمؤتمراتها واتجاهات الرأي داخلها ومشاكلها ودور مجلسها التنفيذي... ولا ينسى المؤلف في ختام كتابه هذا، والذي سنستعرضه لاحقاً بشكل موسع، من الاشارة الى ضرورة ايجاد استراتيجية عربية - عالمثالثية لانقاذ اليونسكو.

مجلة اسفار...
عدد جديد

مجلة «اسفار» التي تصدر دورية في بغداد عن منتدى الأدباء الشباب صدر العدد الثامن وفيه عدد من النصوص الشعرية والقصصية.

من شعراء العدد: محمد جميل شلش، سامي مهدي، فيصل جاسم، لؤي حقي، الياس الجود، فوزي السعد، عبد الرزاق الربيعي، ومن قصاصية: عبده جبير، حسن بن عثمان، عادل كامل، حسون مجيد، الكسندر خوكلوف، ايلي مارون، مانويل مارخوس.

في العدد ثلاث دراسات عن «شبح فرجينيا وولف» و«تونستو نوكوف مخرجاً ومنظراً» و«تأثير مسرح الشمس على المسرح العربي» اما فنان العدد فهو عبد الصاحب الركابي الذي قدمت له المجلة عدة لوحات تحت عنوان «القائد... نصر شموخ وجمال».



فرجينيا وولف... ملف عنها في «اسفار».

افضل كتاب عن الحرب

الكتب المرشحة في المسابقة الخاصة بافضل كتاب عن الحرب لعام ١٩٨٧ تم الاعلان عن عناوينها واسماء مؤلفيها، في بغداد، حيث تم اختيار الكتب الفائزة على الشكل التالي:

■ افكار حول الحرب لعلاء الدين حسين مكي - سلسلة الكتاب العسكري

■ خط احمر لجاسم الرصيف - رواية

■ اصابع الصفصاف لوارد بدر السالم - قصص

■ ايقاعات بصرية لكاظم الحجاج - شعر

وقد قررت اللجنة المكلفة باختيار الكتب، تقديم جائزة تقدير لقصص الشهيد كريم قاسم عبود.

انطونين ارتو
معرض وكتاب

بعد «الالبوم» المصور الذي اصدرته دار غاليمار عن «انطونين آرتو - رسوم ووجوه» مع دراسة لجاك دريدا عن المناخ التعبيري لـ ٧٥ لوحة، يقيم مركز جورج بومبيدو معرضاً شاملاً لاعماله التشكيلية ورسومه بالاسود والابيض والالوان.

انه اول معرض لهذا الفنان والكاتب منذ اكثر من اربعين سنة، لفترة عمله ما بين سنتين ١٩٣٩ - ١٩٤٧، والتي يعدها النقاد من اكثر اعماله اهمية وتأثيراً.

اضخم معجم عالمي

ربما لان الصين هي اكبر بلد في العالم يضم هذه النسبة من السكان، لذلك يجيء اصدار الصينيين لاكبر قاموس في العالم يتكون من ستة اجزاء في ٥٦ الف كلمة تطلب وضعه ان يشترك في انجازه مائة الف من المتخصصين في علوم اللغة الصينية من اكثر من خمس عشرة جامعة صينية.

لا بد من ان نعرف اولاً، ان اللغة الصينية تضم ما يقرب من ٣٦ الف حرف يستخدم منها الآن ثلاثة او اربعة آلاف في الكتابة، وهذا القاموس الذي اصدرته دار نشر سيشوان يبين سبل نطق وكتابة كل حرف صيني واصل كل كلمة فيها وتطور مدلولها عبر القرون.



جبرا ابراهيم جبرا



خليل الخوري



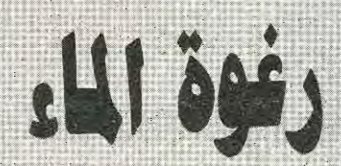
د. عزيز الحاج

علي الطائي

بريشة: ليث ساهي

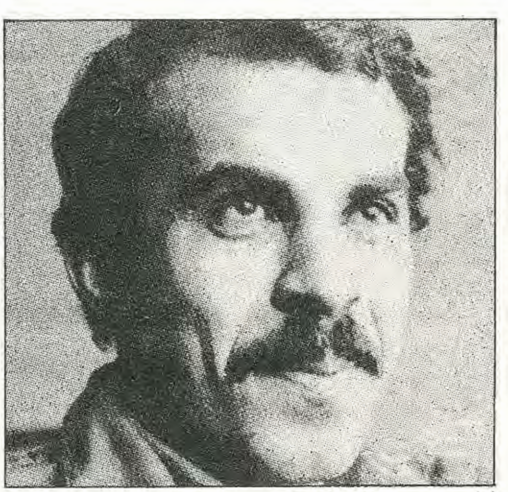


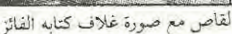
قصة قصيرة



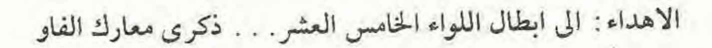
رغوة الماء

وارد بدر السالم





القاص مع صورة غلاف كتابه الفائز



الاهداء: الى ابطال اللواء الخامس العشر... ذكرى معارك الفاو

القاص العراقي الشاب وارد بدر السالم، من القصاصين الذين انجبتهم الحياة الجديدة، حياة الدفاع عن الوطن، وحياة البطولات التي تكتب هي الاخرى بالدم والورد معاً...

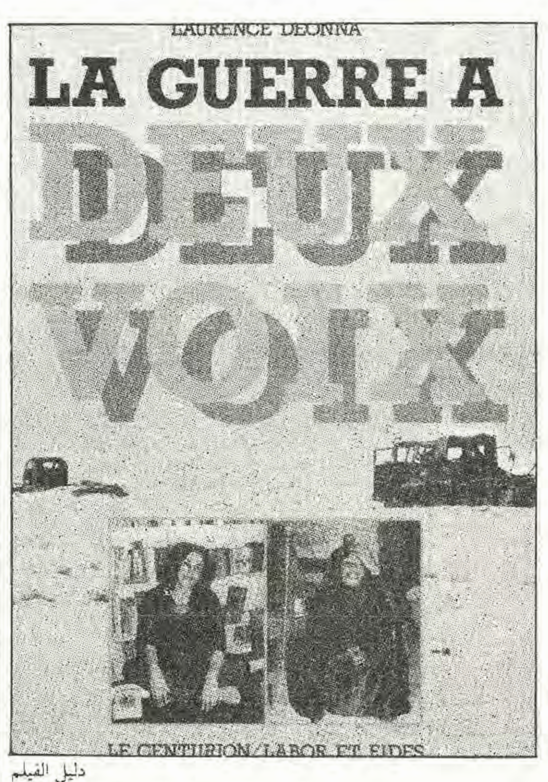
قبل ايام فاز كتابه «اصابع الصفصاف» الذي ضم ثماني قصص من آخر نتاجه القصصي بجائزة افضل مجموعة قصصية في العراق لعام ١٩٨٧، اما قصته هذه التي نقدمها للقراء فقد فازت هي الاخرى بالجائزة الاولى في المسابقة التي اعدتها وزارة الثقافة والاعلام العراقية. وسبق لهذه القصة ان نشرت في جريدة «القادسية» التي تصدرها القوات المسلحة العراقية.

يلزمنا وقت طويل كي نصدق ما جرى؛ فالوقت البطيء صار فجأة رفوفاً من الرصاص، رفاً وراء رف. ورفاً يعقب رفاً بحفيف ناري يشبه طبقات الجحيم، خارقاً شبكات الامطار النازفة منذ ثلاثة ايام وتاركاً شروخاً خاطفة في جلد الماء الذي اكتسحنا خلال ساعات من الليل... صار الوقت، بين لحظة واخرى، غابة من الدخان العفن والحرائق المشبوبة في الجثث الطافية. الضجيج الساقط من القنابل وفجأة، وعلى غير ماتوقع، استحال المكان الضيق، المنفذ الخطر، الى شطوط تغمر مساحات الملح سرعان ما اتصلت ببعضها، في ليل مطير غامض، فتحولت الى شط كبير طفت على سطحه الجثث التي غرقت بعد موتها... تشبثنا بجذوع النخل مستترين وراءها كأننا نسرق من غفلة الاعداء وقتاً صغيراً بحجم راحة اليد التي هي الاخرى رفعها الماء واخذ موج الرياح يحركها فنتحرك معها عائمين بأثقالنا من البنادق وصواريخ القذائف والشواجير وعلب الرصاص محافظين على ان لا ينقسم ساترنا من الجذوع الاربعة التي كانت متروكة على هذه الارض بكربها الذي يشبه الاكف المفتوحة فنتفرق في الماء المتدفق الذي لا نعرف من اين جاءنا. وما زالت الامطار تهطل منذ ثلاثة ايام فوق رفوف الرصاص وعصف القذائف ونحن في هذا العراء المندفع باتجاه الاعداء ناقعين بالمياه التي طوقتنا من كل جانب. وحين نقول ان وقتاً طويلاً يلزمنا كي نصدق ما جرى؛ فلكوننا ما زلنا نتوهم اننا نحيا حتى هذه اللحظة بين نسائنا واطفالنا وامهاتنا وحبيباتنا وكان الذي مر محض كذبة ثقيلة او كابوس جثم على صدورنا في حلم مضطرب طويل امتلأ بمطر الدم. ذلك ان ما حصل لنا شبيه بكذبة بيضاء نقصها على الاخرين فيضحكون من خيالاتنا المبالغ بها، ورعب طفولتنا الذي يتصورونه تحصيلاً طبيعياً لمثل تلك الاجواء التي يكتظ فيها الظلام والمطر ومستنقعات الفيضان التي عمنا على رغوة ملحها متشبثين بقناطر النخل ونقاتل خلفها بيد واحدة؛ يدفعنا جريان المياه الى الخلف وكان علينا ان نثبت في هذا الخط، نقاتل المطر وتيار الفيضان والاعداء القادمين من كل جانب، بل كان مطلوباً منا الا نترك شبراً واحداً مهما كان عنف الفيضان؛ كي تبقى المسافة ذاتها بيننا وبينهم، مليئة بالدم والعناد والصبر والتحدي والخطورة والموت وهكذا حفرنا الطين باقدامنا واسندنا صدورنا على الجذوع الاربعة التي نال منها الرصاص، بانتظار اوامر جديدة للتقدم الى ذلك المكان الذي ينطلق منه كل رصاص العالم المذنب، رفوفاً متصلة، رفاً وراء رف، ورفاً يعقب رفاً بحفيف ناري يشبه طبقات الجحيم خارقاً نزيف المطر باتجاه جذوعنا العائمة؛ لينقلب الوقت البطيء فجأة الى عذاب حقيقي، مع اللحظات المتعاقبة، وموتاً بطيئاً حاصرنا وطاف حول سريتنا وخطف منا بضعة اصدقاء ثم اغرقتهم امام اعيننا، فجرفتهم السيول بخريرها الذي يشبه خرير الخوف وهو يغلق حناجرنا على صمت مذعور تواصل مع الليل والنهار ليستحيل فيما بعد الى سوائل تحلبت في افواهنا؛ هي مزيج من المرارة وطعم العرق واللهاث. وبين الامر الجديد بالهجوم وبين واقع الحال ـ بقاؤنا عائمين في المياه يوماً ثالثاً تحت مطر غزير وتشبثنا بالجذوع كساتر نحتمي به من زخ الرصاص ونثار شظايا القذائف الثقيلة التي كلما سقطت واحدة منها دفعت الينا نثاراً من طين فاحم وشظايا ماء يحترق وصرخات مفضوحة وموجاً مفاجئاً ينطح جذوعنا الاربعة فنزداد تمسكاً بها ـ نقول ان بين الهجوم الذي ستشنه سريتنا العائمة وبين واقع الحال مسافة طويلة من الالم واللامعقول والمصائر المجهولة، قرأنا في اسرارنا ما نحفظه من آيات وطافت في مخيلتنا صور الاضرحة المحناة ابوابها بكفوف النساء وتمتمنا بادعية لأئمة مجهولين وسادة وانبياء صغار واولياء لهم كرامات من عند الله؛ ذلك ان علينا ان نجتاز امتحان الموت هذه الليلة العنيدة، وما اكثر الامتحانات العسيرة، كي يصير التصديق بها يحدث كذبة ثقيلة حتى بالنسبة الينا. وامام حيرتنا هذه احترنا بالجرحى الذين اصطادتهم الشظايا فظلوا بيننا عائمين يفتح الماء المالح جروحهم، ليزيدها ازرقاقاً ويملأها بالصديد والقيح. وظلوا بيننا عاطلين اذ لا سبيل لاخلائهم، فسريتنا جذر منقطع عن شجرة الفوج المتحصن بساتر وراءنا، الا من جهاز المخابرة الذي كان شريان الاتصال بيننا وبين الآخرين. وكان مخابرنا هو الوريد النشيط الذي ينقل الينا الاخبار والمعلومات والتوجيهات، نحن حجاب الماء الذين ألقت بنا الظروف في هذا الجب الذي لا قرار له. وما كان سهلاً علينا ان نبقى كل هذه الايام، فحياتنا ـ الآن ـ ما بات يهددها القصف وشظايا الانفلاقات الهابطة من الجحيم لكنها باتت مرهونة بالجذوع الاربعة الطافية، ساترنا العائم في بحر الملح، اننا نحتمي بخشبها الخشن وكربها الناتىء. وعيوننا ترصد ساترهم القريب وترصد منابع النار ورصاص القنص، ومهما يطلون علينا فان الله يعمي عيونهم، هكذا نعتقد، حين يشرع رصاصهم بتمشيط جذوعنا التي تمتص كل ذخيرتهم كأسفنجة طويلة فيرن في اذاننا صدى خشبي يعقبه

عطب اشبه ببذور احتراق سرعان ما يطفئها المطر النازف ويتكرر ذلك مع الدقائق حتى امست جذوعنا مثقلة بالرصاص المدبب والشظايا المسنونة وبقايا اجسام الصواريخ الصغيرة التي يطلقونها علينا؛ لتتكفىء سواترنا الاربعة بردة فعل معاكسة ويدفعها العصف مسافة امتار فنعود نعوم من جديد لاهثين ومضطربين الى مثابتنا. اذ باتت لنا نقطة مائية نعرفها تماماً وسط جزيرة الماء. وحين همت قذيفة صاعقة على جذعنا الاخير سرى بيننا فزع وتعالت استغاثات اصدقائنا. انقسم الجذع الى شظايا مفلطحة من الخشب وتفتت مثل عجينة. كان ذلك في الليل ايضاً. انفجر الجنود بعتادهم. امتصهم الليل والموت الغادر لينفرط من عقدنا جذع ثمين وبضعة اصدقاء، بما فيهم المعتمد الذي جاءنا قبل ثلاثة ايام، قبل ان يغمرنا الفيضان، حاملاً بعض التعليمات السرية بضرورة الصمود في هذا المكان لان الغزاة ينوون توسيع رقعة احتلالهم امام المدينة وسيسلكون هذا المنفذ بين الارتال. . . لكن المسكين لم يستطع العودة بسبب المياه التي غمرتنا في ليل حالك شديد المطر حاملة معها الجثث الطافية والخوذ وبقايا بدلات حائلة وصور جرائد وصحفاً قديمة وهويات وشجيرات اشواك مجذوبة وخرقاً وصفائح دهن وخوصاً وجريداً وجرذاناً وسحالي وكلباً جريحاً وآخر نافقاً واربع قطط تموء مع التيار، والبسة داخلية مجذومة وخراء يابساً تفتت بفعل الموج والمطر. وباقات قش وكرات بلاستيكية ملونة وسعفاً يابساً وكرباً مثلوماً وعرائس صغيرة من الاقمشة المنزلية الرخيصة ورائحة لاطعمة قديمة ونفايات كثيرة كشفتها لنا مشاعل التنوير، بما يوحي ان المكان كان مزبلة في طرف المدينة الغربي. . . وبصراحة كان الموقف محرجاً ومخيفاً فلا نعرف مصير الحضيرة التي فلقتها قذيفة مجنونة؛ قلنا: لقد استشهدوا جميعاً. ومن ظل فيهم حياً ستجرفه المياه الى ساتر الفوج وعند ذلك سيكون محظوظاً بلا شك. وبيننا كان انين الجرحى يفتت اعصابنا، فمياه الملح تفترس جروحهم، بما فيهم ضابط مجند كان كثير الضحك حتى ان المخابر، وريدنا النشيط، والذي كان اكثرنا عرضة للقتل، اوصل الموقف الى مقر الفوج يشير فيه الى ضرورة المساعدة العاجلة، فالجرحى يكثرون، والشهداء يغرقون وكانت الاجابة تأتي بوشيش الجهاز؛ ان هذا المنفذ الخطير ذمة برقبة الجميع وان قائد الفيلق على معرفة بتفاصيل صمودنا المائي، وان علينا ان نقاتلهم بالصبر القاتل ريثما تصل التعزيزات، وفي الصباح التالي طلعت علينا جثث منتفخة واشياء غريبة جرفتها المياه ورست على جذوعنا الثلاثة، ساترنا الذي راح جزء منه، وتكومت بشكل يثير القرف، قال احدنا، هذه هي الحرب.

لنربط الجثث على الجذوع فبطونها المنتفخة تصد عنا رصاصاً كثيراً. وقال احدنا «هذا الساتر البشري يفيدنا كثيراً» وقال احدنا: «ليقتلوا جثثهم مرة ثانية» وقال احدنا: «البطون المنتفخة تدلهم علينا». وقال احدنا: «من يتحمل الرائحة بعد ساعات» وحين كان المخابر يعطي موقفاً غامضاً ليلة البارحة في جهازه الصغير، اعقبه هدير مدفعي كاسح احرق الفضاء الماطر، وكانت الانفلاقات توشم الليل بكرات نارية بارقة تنغرز في المياه وعلى الساتر وخلفه، لتشب حرائق مروعة بينهم وتتعالى اصوات مثلوجة وتصرخ حناجر يابسة، استمر ذلك وقتاً طويلاً، حتى اطل هذا الصباح فاضحاً مطحنة بشرية غير معقولة وتناثرت الجثث في كل مكان. ومن نهار الى ليل ومن ليل الى نهار ظلت رفوف الرصاص تنهمر بشكل لا يوصف، رفاً وراء رف، ورفاً يعقب رفاً حتى غمرتنا الاحزان، وعلى حافات الموت الذي تحول الى اشكال حرشفية ومدببة من الحديد الساخن، وعادت الينا هذه الليلة حزينة وباردة وممطرة فلقد سقطت رشقة ثقيلة علينا مرة واحدة والتهمت من ساترنا جذعين انقسما الى فتات من الخشب والكرب. وحمداً لله ان جنود الحضيرتين سلموا باستثناء خمسة جرحى، سبح الجميع الى اخر جذع وانضموا الينا.

تراصفنا بحميمية دون ان ننطق بشيء. ولو اننا انشغلنا جميعاً بمسألة مخيفة تخص رصدهم الذي سيكون نشيطاً حتماً وهو يرى تلك الحيوات المتعلقة بالجذع الوحيد وبالفعل تركز علينا القصف بشكل مرعب. وكان جلد الماء يحترق وتتطاير كتل سود من الطين ويدفعنا موج هائج يرتفع بطول قامة الانسان ويهمي علينا كما لو انه موج من حديد؛ وجوهنا المبقعة وخوذنا ونصف ظهورنا الطالعة من الماء. فنغطس لحظات ثم نطلع سالمين وقبل ان نعب في اجوافنا قبضة هواء بارد تهمي رشقة اخرى: نصفها عالق في دخان الفضاء فيرتعد الهواء فوقنا حارقاً شلالات المطر ونصفها الفاتك الاخر يبحث عنا في البرية المائية راعداً ومنتفضاً وقاسياً بانفجاراته المريعة. وكل هذا يحدث قبل لحظة الصفر. آخر اختبارات اعصابنا الموتورة، نحن سرية الماء، بعددنا القليل وجرحانا الذين لا يمكن اخلاؤهم فتنفتح جروحهم بالملح كي يزداد عذابهم ساعات طويلة اخرى، وكي نصدق كل ذلك يلزمنا وقت طويل فأن ما جرى اشبه بطاحونة سريعة الدوران كنا نتعلق في طرف من اطرافها وندور عكس اتجاهها الذي يشبه الرمش، وها نحن نمسك آخر جذع مقصوص. ننام عليه ونقاتل من ورائه ونأكل ارزاقنا الجافة ونحن غاطسون في الماء ونتغوط هكذا ونبول في الماء تحت المطر وبين جسد البرد ومطحنة النار. كان الجنديان اللذان يمسكان طرفي الجذع الوحيد قد ادخلا سيقانهما في الطين وتشبثا بالكرب المحزوز كانا طرفين يمثلان الحياة والموت بالنسبة الينا. ولما وشوش الجهاز هذه المرة قبل الفجر بساعة. كان اغلبنا يسند رأسه على كربة من كرب الجذع الصامد معنا. جذع النجاة بينما تسربت اغلب الجثث من جانبيه اخذت تتدحرج مع الموج الى امكنة اخرى. كان المطر ينقر في وجوهها، تلك الجثث التي ظلت لاصقة بجذعنا، ليغسل دماءها النازفة ويتجمع في اماكن اصابتها فيصدر انين موحش يشي برغبة في البكاء وفي منتصف الليل يخيفنا هذا الانين حين يتضخم باصوات غريبة تبدو كما لو كانت تصدر من اعماق ابار مدفونة، او تبدو كصيحات مخنوقة منبثقة من حناجر جافة فجاهدت وتعذبت وكابدت من اجل ان تقول شيئاً بريئاً وعابراً او عادياً ومسالماً وساذجاً مغلفاً بمسحة من الندم والقهر والاستسلام وعلى الاغلب كنا نسمع انات خانقة فيها قدر كبير من الطفولة المغدورة التي طحنتها المطحنة بدورانها المعاكس السريع. وقبل الفجر بساعة وعندما وشوش الجهاز الصغير غمرنا شعور بفرح طارىء سرعان ما زال، من ان فوجنا على اليابسة، ما زال يتسقط اخبارنا عبر هذا الجهاز الذي حرص مخابره ان يحافظ عليه من الشظايا والرصاص والماء، ولهذا كان يرفعه دائماً الى مستوى رأسه، وهو الجزء الوحيد الطالع منه، فيكون اكثرنا عرضة للقتل وعندما تكلم مع الفوج قال كل شيء بصراحة وقال فيما قال: ان جنود السرية يعانون من العطش والفزع بسبب كثرة الجثث المعادية وان النهارات اكثر قسوة من الليالي وقال ايضاً بتوسل: نريد ماء. قطرات من الماء. نريد الا ينقطع اسناد النار. . . نريد ان تذكرونا. كان يتحدث كمن مسه شيء. اغلق الجهاز ولما يلزمنا وقت حقيقي لتصديق كل شيء فان ذلك يتطلب ان نحيي قلوبنا ونصدق اننا بشر من دم ولحم واعصاب واننا لسنا كائنات غريبة لها طاقة خرافية لتحمل الآلام والعذابات. ذلك ان الجهاز وشوش من جديد وجاءنا صوت صاف في هدأة الساعة الاخيرة من الليل، ذلك الصوت يقضي ان نهجم هجوماً اخيراً على الساتر المعادي القريب، فالاعداء منهكون ومحبطون وخسائرهم مهولة، كما قال لنا الصوت في الجهاز. سنهجم مع آخر ستار شفيف من الظلام، قبل الفجر، تحت غطاء من القصف المدفعي الكثيف وقنابل الدبابات وصواريخ الراجمات وقنابل الهاونات وكل الاسلحة التي تطال الساتر كي نكون على مشارف المدينة الجنوبية الصغيرة التي ما زالت نافورات الدخان تنبثق منها منذ اول يوم المعركة. وهكذا تحولت سريتنا الصغيرة الطافية في الماء منذ ثلاثة ايام الى سرية تفعل الاعاجيب لمجرد استلامها اوامر الجهاز الصغير. وحين حان موعد الساعة الموعودة تمتمنا بآخر ما نحفظ من ايات وازدحمت في افواهنا اليابسة ادعية هبطت الينا من السماء، وحناجرنا الجافة تختلج فيها اسئلة حائرة وعذابات حقيقية واجسادنا التي ترتعش ببرد ورطوبة الايام الثلاثة التي كنا نتصور انها لا تقوى على حمل اجسادنا الهزيلة، استشاطت فيها قوة جديدة، هي قوة الامتحان الاخير ووفاء للمسؤولية التي تحملناها. اوصينا الجرحى بالثبات، فلقد ظلوا حراساً لجذعنا العائم. بعضنا ترك لهم وصايا سريعة. لكننا جميعاً قلنا لهم: لن نعود الا شهداء، سيقذفنا الموج الى هذا الجذع الاصيل الناقع معكم. لا تفعلوا شيئاً. . . هذه هي الحرب، احتموا باجسادنا الميتة، فحين نموت نستطيع ان نتحمل كل اوجاع الرصاص وسموم الشظايا. وقلنا لهم: حين نمسك الساتر سيجلب لكم الموج افواج جثثهم. . . كانوا مضطربين. ودعونا صامتين وقبيل الفجر تركنا جذعنا العظيم وتفرقنا خائضين في المياه المالحة، متمهلين وحذرين تقودنا رغبة رهيبة للصراخ. وقبل ان تدوي اول رشقة من اسنادنا المدفعي كان المطر شديد الهطول بشكل يثير الانتباه.



دليل الفيلم

قراءة في الفيلم السويسري
«الحرب لها صوتان»

كلنا نحب السلام... ولكن

انـا «سويسرية محايدة» هذا ما تعلنـه الصحـافيـة لورانس ديـونـا، التي فازت مؤخـرا بجائزة «الاونيسكو» للثقافة من اجل السلام، عن فيمها التسجيلي الذي انجزته ما بين مصر والارض المحتلة، والذي اطلقت عليه اسم «الحرب لها صوتان».

بذلك الحياد السويسري، وبمنتهى حسن النية، اخذت لورانس ديونا فريق التصـويـر وذهبت لتسجيل شهادات مجموعة من النسوة المصريات و«الاسرائيليات»، ممن فقدن ابا او زوجاً او ولداً في الحرب الدائرة بين العرب والكيان الصهيوني.

لكن، هل يكفي حسن النية لكي يدفع صحافية اوروبية الى الادلاء بدلوها بين الدلاء (وما اكثر ما يدلى في هذه البئر التي لا تنضب)، فتكون النتيجة فيلماً هادئاً ومؤثراً، يصلح للعرض على سيدات الجمعيات الخيرية ورجال البر والاحسان، ويكاد يصلح للاغـراض السياحية، وقد يصلح لاقتطاف جائزة دولية (محايدة ايضاً)، لكنه بالتأكيد فيلم يمر على سطح البحيرة الاملس، فيحدث موجات ناعمة، دون ان يمتلك قوة حجر يقلق سكون الاعماق.

ماذا شاهدنا في الفيلم الذي دعينا لرؤيته في عرض خاص؟

ام هاشم، فلاحة مصرية فقدت ابنها في حرب اكتوبر، تقف امام الكاميرا لتقول بثقة: «هاشم ظهر لي في المنام... وقال لي انا لم امت... آه... الشهيد يعيش في الجنة».

وتسأل الصحافية الاسرة الريفية الفقيرة: «كيف تعيشون من بعده؟» فيجيب ابو هاشم: «نحن لا نملك اي مورد... سوى تقاعد الشهيد».

وتسرح الكاميرا في لقطات مشمسة جميلة في الريف المصري، قبل ان تعود الصحافية لتوجه سؤالاً غريباً الى ام الشهيد: «لـو طرقت بابك سيدة اسرائيلية فقدت ابنها في الحرب، مثلك، هل تستقبلينها»؟

وبكل طيبة الفلاحين، تجيب ام هاشم: «نحن لا نرد ضيفاً... سنفتح لها واسقيها الشاي. هل هي التي قتلت ابني؟»!

من الريف المصري تنتقل الكاميرا الى مستوطنة صهيونية، لنتعرف على يهودية من اليمن، فقدت ابنها في الحرب.

وكما تحدثت ام هاشم بلوعة الثكالى، تحدثت ام دافيد، واخذتنا الى غرفة نومها لكي نشاهد صورة ابنها القتيل معلقة فوق الفراش.

ومجدداً، تعود الكاميرا الى القاهرة، لنشاهد «ايمان»... الشابة التي تعمل مسؤولة عن العلاقات العامة في شركة للمياه الغازية، ولنسمعها تتحدث عن سامي، زوجها الطيار الذي فقدته في الحرب.

تقول ايمان: «هذه كانت آخر هدية منه لي. مركب صغير صنعه بنفسه، وجعل شراعه من قماش مظلات الهبوط من الجو. لقد اكتشفت بعد استشهاده انه يسجل يومياته في دفتر صغير. وقد عبر في تلك اليوميات عن قلقه من الحرب، وحبه للسلام».

اي سلام؟

الكل في الفيلم يحب السلام. النساء المفجوعات باحبائهن يحببن السلام. والرجال الذين عادوا من الحرب بدون ذراع او ساق يحبون السلام، وصاحبة الفيلم ومخرجه ومصوره كلهم يحبون السلام، والذين منحوا الفيلم جائزة السلام... يحبون السلام، ونحن ايضاً، الذين لبينا دعوة لورانس ديونا الى مؤتمر صحافي، نحب السلام... لكن اي سلام؟

هل هو ذلك الذي يهبط بمظلة من السماء، مثل ملاك طيب وجميل، لكي يضع حداً لصراع دام اربعين عاماً؟

هل فكرت لورانس ديونا، ولو للحظة واحدة، ان تتخلى عن حيادها السويسري، لكي تسأل سؤالاً بسيطاً واحداً: من هو المعتدي في هذه الحرب، ومن هو المعتدى عليه؟ وما مصير ضحايا العدوان؟ ومن الذي يستمر فيه؟

اسئلة بديهية، لا يمكن لصحافي ان يتجاهلها، لكي يتعامل مع القضية كلها من قشرتها الخارجية، فكيف اذا كان هذا الصحافي هو لورانس ديونا، المراسلة المتخصصة في شؤون الشرق

لورانس ديونا في سطور

■ كاتبة ومصورة ومراسلة صحافية متخصصة في شؤون الشرق الاوسط.

■ غطت حرب لبنان بالتقارير والصور للفترة من ١٩٨٢ - ١٩٨٧.

■ انجزت تحقيقات من داخل ايران، ابرزها زيارتها لقسم السجينات السياسيات في سجن «ايفين» بطهران.

■ اصدرت العديد من الكتب، ومنها «نساء القتال والارض والرمل» عن حياة النساء في عدد من الاقطار العربية، و«من قمر حقيبتي» الذي روت فيه ذكرياتها كمراسلة صحافية. و«اليمن الذي رأيت» وهو تحقيق عن اليمن الشمالي.

■ اقامت مجموعة معارض للصور الفوتوغرافية، عن البلاد العربية التي زارتها، كاليمن، مصر، الكويت، العراق، وسورية.

اختارتها مجلة «فامينا» النسائية واحدة من اهم ثلاث سويسريات، خلال العام ١٩٨٦.

الاوسط، والتي عرفناها لا تنظر الينا نظرة السائح الغربي الى شرق اسطوري يستعصي على الادراك.

بعد عرض الفيلم، وقف فرنسي عجوز، وقال: «سيدتي، انا معجب بفيلمك، واشدّ على يديك الاثنتين، لكني اتساءل ماذا يمكن للافلام ان تفعل ازاء حروب شديدة التعقيد... لا تتوقف عن الاشتعال هنا وهناك في ارجاء العالم؟».

وترد لورانس ديونا: «انا صحافية، ومهمتي هي اعلام الرأي العام لكي يكون له دوره في التصدي لاستمرار الحروب. وقد كان دور الرأي العام فعالاً في وضع حد لحرب فيتنام على سبيل المثال...».

وتقف سيدة بريئة، لتطرح سؤالاً بريئاً: «كيف تستطيع الام ان تغذي الشعور الوطني في نفوس اطفالها، وفي الوقت نفسه تعلمهم حب السلام»؟.

تجيب ديونا: «لقد وضعت اصبعك في الجرح يا سيدتي. انه لامر صعب ان نعلم الاطفال حب السلام، في اجواء المشاعر الوطنية والدعايات السياسية!

هل كانت مصادفة، ان تقع لورانس ديونا على سيدات ينظرن جميعا الى المسألة من زاويتها العاطفية، منطلقات من لوعة الفقدان، دون ان تشير واحدة منهن الى قضية الحق في الارض، التي هي اساس النزاع؟

وهكذا، حاولنا ان نكون ابرياء بدورنا، حين طرحنا السؤال التالي على صاحبة الفيلم: «كيف وقع اختيارك على النساء اللواتي تحدثن في الفيلم؟».

اجابت: «خضع اختياري لاعتبارات ثلاثة. اولاً بحثت عن النساء غير الملتزمات سياسياً، اي ليست لهن مصلحة في قول هذا الرأي او ذاك، ومن هذا المنطلق استبعدت تصوير شقيقة عبد المنعم رياض، وشقيقة السادات، رغم اني التقيت بهن في مصر.

ثانياً، اخترت النساء القادرات على التعبير ببساطة ووضوح امام الكاميرا.

ثالثاً، راعيت الناحية الشكلية التي لا بد منها في السينما، فاخترت نساء جميلات!، يعشن في اجواء جميلة صالحة للتصوير. الم تكن ام هاشم رائعة بثوبها الريفي، وسط بيتها الطيني وحقلها الاخضر!؟

هل يبقى من داع لسؤال آخر...؟.

انعام كجه جي



غلاف الرواية

رؤية

في رواية جورج برنانوس التي حولها موريس بيالا الى فيلم نال سعفة كان الذهبية

تحت شمس الشيطان

بقلم: أفنان القاسم

«تحت شمس الشيطان» رواية جورج برنانوس التي نشرتها لاول مرة سنة ١٩٢٦ دار بلون حولها موريس بيالا الى فيلم نال سعفة «كان» الذهبية لهذه السنة ١٩٨٧، كأحسن فيلم، وقد عرضته دور السينما لاول مرة في موسمها الجاري، فتضاربت الآراء من حوله، من ناحية سينمائية النص، ومن ناحية النص ذاته.

سينمائية النص

لم يبذل بيالا في فيلمه جهد السينمائي المبتكر، فاكتفى بأثر النص الحواري على المشاهد، بعد ان بنى مشاهده على حوارات كاملة انتزعها من الرواية، وجعلها تدور على السنة الابطال، وقد كان رهان بيالا بالطبع على القوة الذهنية للنص وقوة التمثيل لعملاق مثل جيرار دوبارديو ولفنانة قديرة مثل ساندرين بونير، لكن الذهنية لا تلبث ان تطغى على قوة التمثيل، فيضيع المتفرج في متابعة النص البرنانوسي الذي تحول الى قول يلهث في فلك رموزه واسرار فلسفته، الأمر الذي يتوفر للقارىء اكثر عند إعادته لقراءة فقرة او عبارة يرغب في تعميق فهمها، حتى ان الكاتب في نصه يلجأ الى الوصف الشعري المساعد لفهم الوصف الفلسفي، وهذا ما لم يفعله المخرج، وكأن عالم الابطال هو عالم الحوار، من خارجه لا نقف على اية صورة اخرى الاه.

موضوع النص

الشابة جيرمان مالورتي (ساندرين بونير) المدعوة بـ«موشيت»، لضجرها، تقيم علاقة مع الماركيز دو كاديניان، وعندما تحبل منه يردها عنه، وبدافع يأسها تقتله وتهرب دون ان يراها احد، فيُعتبر الامر حادثاً. وتلجأ موشيت الى الطبيب جاليه الذي تكتشف فيه جبنه بعد ان يرفض اجهاضها. عند ذلك، طريقها وطريق القس دونيسان (جيرار دوبارديو) يتقاطعان، فالقس يبحث عن طريقه نحو القداسة محملاً بالعذابات، ويلتقي في ليلة كابوسية بالشيطان الذي اتى ليوسوس له، ثم يلتقي بموشيت وينتزع منها اعترافها بجريمتها. وعندما تنتحر، يحملها الى الكنيسة، ويأخذ في لعق دمها تحت ذريعة اعادتها للحياة، مما يثير الاستنكار. لقد كان دونيسان يعيش عيش الزاهد المتقشف، وقد عزا الناس اليه بعض القوى الاعجازية، وكانت نزعته الخاصة ملاحقة فعل الشيطان اينما كان لمقاتلته.

البعد الفكري للنص

لكن مقاتلة الشيطان لا تخلو من لحظات تراجع وتردد بل واعجاب من امام فعل الشيطان يعبر عنه خضوع القس في مشهد لقائه مع الشيطان، وتقمصه لدوره الاعجازي حين محاولة احيائه للطفل، فبرنانوس يرى أن الخير والشر كليهما وليد الروح، وان الجسد (او المادة) يلتحق بالروح الخيرة او الشريرة، فيصبح خيراً او شريراً. لقد لعبت موشيت دور الجسد الذي لم يستقبل الروح الخيرة، فكانت مشتهاة، وكان مصيرها الانتحار، مثلما كان مصير عشيقها الموت، واجتماع خير الروح وشرها في شخصيتها يجمع بينها وبين القس دونيسان الذي تنازعته الروح في خيرها وشرها، وبسبب هذا التوزع الذي لم ينحسم لصالح روح الخير يموت هو الآخر، لنصل الى فلسفة برنانوس المثالية وقد تنكرت لدور المادة، وتبنت ثنائية الخير والشر بمواربة تحجب الاسس الاجتماعية للشر والخير على حد سواء.

ونحن نجد مع وليام بوش، المقدم لكتاب برنانوس، ان برنانوس لم يكن مانوياً، مثلما اتهمه العديد من النقاد، فالصراع لديه بين النور والظلام ليس احادياً كلية، لهذا يجري عرضه بمواربة، مثلما قلنا، يوقع رجل الدين تحت سلطة الشر، ويظهره، من هذه الناحية، موضوعاً لتجربة الخير والشر الدنيوية، قبل ان يرفعه الى السماء، عن طريق الموت ما بعد الخطأ / الخطيئة، او عن طريق الاستغفار، وهذه النتيجة في فلسفة الكاتب، تمثل العودة الى نقطة البدء، الى الثنائية المثالية المعهودة عن الخير والشر، وان الحبكة الروائية لم تكن الا وسيلة لاقرار عدالة الخير الدائمة - التي مثلها الاب مونو - سوجبريه في شخصية بيالا كممثل - في وجه الشر العابر والمؤقت، وان كان الثمن الذي ندفعه غالياً.

وفيما يخص النص الروائي، «تحت شمس الشيطان» اول رواية للكاتب الذي اوقع فيها الكثير من التعديلات اللغوية والاسلوبية وحتى الفكرية، مثلما اراد محكمو دار النشر، لكنه لم يتخل عن خطه الفلسفي الاساسي، وفي الطبعة الاخيرة، يعيد الناشر، «فرانس لوازير»، طباعة المخطوط الاول كاملاً، اي من دون حذف او تشطيب ولا اضافة، والقارىء لبرنانوس وتوفيق الحكيم يلاحظ التشابه الكبير بين الاسلوبين، وبين المفكرين، فالحكيم عايش جورج برنانوس، وربما تعرف اليه، وكلاهما كتب يوميات مشابهة للآخر، عندما نعرف ان برنانوس قد كتب «يوميات خوري في الارياف»، وزميله المصري قد كتب «يوميات نائب في الارياف».

كاريكاتير

معرض الجمعية المصرية للريشة الساخرة

ستة عقود من تاريخ مصر

القاهرة - خاص

تشهد القاهرة حالياً حدثاً ثقافياً جديداً. فلاول مرة تقيم الجمعية المصرية للكاريكاتير معرضاً عاماً، رغم مرور ما يقرب من ٤ سنوات على تأسيس الجمعية. ولا يكتسب هذاالحدث تميزه من كونه المرة الاولى التي يشاهد فيها جمهور القاهرة معرضاً عاماً مخصصاً لفن الكاريكاتير فقط، ولكن ايضاً لما يحمله فن الكاريكاتير وتاريخه في مصر من دور ريادي في الصحافة العربية بشكل عام وفي السياسة المصرية بشكل خاص. ومن المعروف ا نه في فترات الرقابة الطويلة على الصحف لجأت الى رساميها لكي يعبروا عن ارائها من خلال الكاريكاتير، والتي يقصها مقص الرقيب لو نشرت مكتوبة... بل ان الكاريكاتير في الصحافة المصرية - وبشكل عام - كان اول وسيلة صحافية للتعبير عن «الرأي العام» مثلما قاد رسامو كاريكاتير في مصر وغيرها من دول العالم حملات ناجحة ضد الفساد والانحراف...

وهكذا تتيح الجمعية المصرية للكاريكاتير فرصة لمراجعة كل هذا، وادراك علاماته من خلال ١٠٥ لوحة رسمها ٥٩ فنان وتضم ١٧٥ فكرة.

وقد خصصت الجمعية جناحاً خاصاً في المعرض المقام بقاعة النيل بأرض المعارض بالجزيرة للفنانين الراحلين: صاروخان والليثي وعبد السميع وصلاح جاهين...

تعتبر مسيرة فنان الكاريكاتير الكبير محمد عبد المنعم رخا هي مسيرة لتاريخ الكاريكاتير المصري في نفس الوقت... فقد بدأ الرسم للصحف المصرية منذ ستين عاماً، وكان كل شيء في تلك الصحف مصرياً ما عدا رسام الكاريكاتير الذي كان اجنبياً... يقول الفنان رخا: «كنا نطل على القارىء من خلال مساحات صغيرة محدودة في صحف ومجلات صغيرة، وهكذا عانينا من الوحدة»...

كان من ابرز هؤلاء الرسامين الاجانب الذين اثروا في الكاريكاتير المصري ومن اوائل رسامي الكاريكاتير في مصر الفنان صاروخان الارمني الذي وفد الى مصر عام ١٩٢٤ هاربا من البطش في بلاده. وفي وقت قصير استطاعت ريشته ان تلتقط الملامح الساخرة لوجوه الساسة المصريين، قبل ان يدخل المعركة معبراً عن الشعب واعدائه من الطغاة والغزاة... وظل صاروخان من المع فناني الكاريكاتير في الصحافة المصرية حتى لحق به فيها بعد الثلاثي الشهير: زهدي ورخا وعبد السميع...

من ابرز الفنانين الذين نشاهد اعمالهم في هذا المعرض الفنان الراحل صلاح الليثي الذي كانت رسومه في بداية الستينات اشبه بالطلقات النارية ولم ينقطع اسبوعاً واحداً عن تقديم ابوابه الثابتة على صفحات مجلتي روز اليوسف وصباح الخير وهي مجلة الكاريكاتير الاولى في الوطن العربي. وقد داهم المرض «الليثي» وسافر للعلاج وعاد لقرائه يقدم ابداعه لصحف المعارضة المصرية حتى اللحظات الاخيرة من حياته.

اما الفنان عبد السميع نصحه صديقه «علي امين» - مؤسس اخبار اليوم مع اخيه مصطفى امين - بأن يبدأ اولى خطواته في مجلة صغيرة، فبدأ عبد السميع حياته الفنية مع مجلة «الشعلة» ثم انتقل بعدها الى مجلة «روز اليوسف» حتى اصبح نجماً فانتقل الى «اخبار اليوم» كعادتها في انتقاء النجوم. الا انه انتقل من اخبار اليوم ليعمل في جريدة الشعب ثم الجمهورية. وفي مذبحة الصحافيين على ايدي الرئيس الراحل السادات انتقل عبد السميع ليعمل في «مؤسسة تعمير الصحراء». ثم عاد الى الصحافة من خلال مجلة المصور. حتى اعتزل الكاريكاتير بسبب المرض وبتر ساقه. الا ان ذلك لم يمنعه من كتابة القصص...

جاء الفنان الراحل متعدد المواهب «صلاح جاهين» معاصراً لثورة يوليو، وكان ايمانه بالشعب هو الدافع الذي جعله يعطي كل ما في وسعه ليس بحثاً عن شهرة او مجد، فقد كان شعبياً متواضعاً مما جعل لاسلوبه مذاقاً حلوا ينفرد به. عمل صلاح جاهين في جريدة الاهرام، وفي ١٥ يونيو ١٩٦٦ اختاره احمد بهاء الدين رئيساً لتحرير مجلة «صباح الخير» فرسم نفسه قطا يعود الى بيته متسللا. ثم يعود الى الاهرام حريصاً على عدم تكرار نفسه. ورغم تدهور صحته واصابته بالاكتئاب فقد ظل ممسكاً بريشته ناطقاً بالكلمة وما زالت افكاره واغانيه تتردد في جنبات الوادي.

ان المعرض يعتبر بالفعل - غير المتعة الفنية فيه - بانوراما لتاريخ الكاريكاتير في مصر... حول هذا التاريخ يقول الفنان الكبير «زهدي»:

صادف الكاريكاتير المصري الحديث حظاً موفراً جعله يكمل نموه في وقت محدود. ففي اوروبا يقدر عمر الكاريكاتير بعد ظهور مطبعة جوتنبرج بقليل (في منتصف القرن الثالث عشر) بينما بدأت النقطة الاولى للكاريكاتير المصري في عام ١٨٨١ وذلك بظهور مجلة «ابو نظارة» التي اصدرها يعقوب بن صنوع، وظلت هذه النطفة تنمو وتتخلق اربعين عاماً في رحم الصحافة المصرية حتى اكتمل الجنين خلال ثورة ١٩١٩ الوطنية، وجاءت سنة ١٩٢١ ليولد الكاريكاتير المصري الحديث بظهور مجلة «الكشكول المصور» وبعد ثلاث سنوات صدرت مجلة «خيال الظل» وصار للكاريكاتير منبران.

بعد ان تراجعت مجلتي



الرسامون في دليل المعرض

«الكشكول، وخيال الظل» عن مكان الـريـادة كانت «روز اليـوسف» هي المدرسة التي تدرب فيها اغلب حملة الريشات والاقلام. وكما قال استاذنا رخا ان عام ١٩٢٧ كان بمثابة عام الانطلاق الكاريكاتيري في مصر. ففي هذه السنة اصدر محمد علي حماد مجلة «الناقد» واصدر جمال الدين حافظ عوض «مجلة الستار»، واصدر مصطفى القشاشي «مجلة ابو الهول»، وبعدها «الصباح» واصدر اسماعيل وهبي مجلتي «المستقبل» و «المسرح» واصدر شاهين الجندي مجلتي «النجوم والمشهور». واصدر احمد شفيق مجلته «المطرقة».

بعد انفصال محمد التابعي عن مجلة روز اليوسف اصدر مجلة «آخر ساعة» ويأتي دور احسان عبد القدوس في روز اليوسف ليخطو بالكاريكاتير خطوة شجاعة وقد كانت افكار احسان مثل طلقات فعالة تطلقها ريشة عبد السميع.

وبظهور مجلة «صباح الخير» حقق الكاريكاتير وثبة رائعة في التعبير ويرجع الفضل في ذلك الى احمد بهاء الدين وحسن فؤاد.

ان الجمعية المصرية للكاريكاتير تحلم بالكثير، وهي قادرة على تنفيذ احلامها، وخاصة وانها تضم بين اعضائها ابرز رسامي الكاريكاتير في مصر والذي يتميز كل منهم بميزة لا يشبه فيهاغيرة: من فنان اخبار اليوم - او مطرب الاخبار - مصطفى حسين وفناني صباح الخير وعلى رأسهم حجازي ورمسيس ومحسن وايهاب شاكر مؤلف شخصية الطفل «التلفزيونجي» وشيخهم السياسي الرسام زهدي وفنان دار الهلال والاهالي «بهجت» الى فنان الاهرام الشاب عادل البطراوي...

يعبر الفنان الكبير محمد عبد المنعم رخا عن احلام الجمعية المصرية للكاريكاتير قائلاً: «ان الجمعية تعمل جاهدة لجعل احلامها حقائق... اقامة المعارض الدورية، وتنظيم حلقات الدرس والتوجيه للهواة والمبتدئين، انشاء مكتبة شاملة للكاريكاتير العالمي والمحلي بالصورة التي تصبح مصدراً وافياً ومرجعاً لمن يرغب من الباحثين، واصدار مجلة الكاريكاتير... هذا النوع من المجلات الذي تفتقده صحافتنا... واخيراً - وان كان واجباً ان يكون اولاً - فان جمعيتنا تحلم بمقر مناسب لنشاطنا المأمول والذي لا سبيل الى تحقيق حلمنا بغيره...».



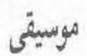
لحظة الانسجام مع الآلة

موسيقى

سالم عبد الكريم عازف على العود يكتشف طريقة جديدة للتدوين الموسيقي

طريقة عربية لتسجيل الانغام

أجرت المقابلة: امل الجبوري



سالم عبد الكريم فنان عراقي شاب... ضرباته على وتر العود تأخذ سامعها الى عالم موسيقي مليء بالسحر والابداع.

هو استاذ للموسيقى في معهد الدراسات النغمية ومدرسة الموسيقى والباليه بالعاصمة العراقية.

له طريقة خاصة في تدوين الموسيقى سجلها على انها اختراع خاص به، ولا يقتصر تطبيقه لها على عالم اللحن والاداء النغمي فحسب بل ينسحب ايضاً الى مجالات حياتية اخرى...

هنا، محاولة للاقتراب من معالم عوده الذي لا يفارقه، ومن طموحاته في تحقيق تدوين موسيقي جديد...

■ متى بدأت رحلتك مع الموسيقى؟

- لا استطيع ان احدد بالضبط بداية ولعي بالموسيقى ولكنها بالتأكيد استحوذت على اهتمامي وامتلكت مشاعري منذ الطفولة ولا زلت اذكر العديد من المشاهد من تلك الفترة والتي تركت في تأثيراً حتى الوقت الحاضر كأصوات المؤذنين عند الفجر او صوت امي وهي تهدهد اخي الصغير كما اني لا زلت احفظ العديد من (الحان) الاغاني التي كانت شائعة في تلك الفترة وقد ظلت رغبتي بتعلم الموسيقى تجابه بالرفض من قبل البيئة الاجتماعية المحافظة التي تربيت فيها ولم اتمكن من البدء بدراسة الموسيقى الا في عام (١٩٧٣)، تاريخ دخول معهد الدراسات النغمية العراقي بعد ان رفضت اكمال دراستي في كلية الهندسة / جامعة بغداد وانتقلت الى كلية العلوم ومنذ ذلك الوقت ولحد الآن وانا احاول ان اتعلم واواصل دراسة هذا العالم الجميل والعظيم المسمى «الموسيقى».

■ ... ودور العود في مسيرتك الفنية؟

- بعد دخولي المعهد اخترت آلة العود كآلة عملية، ومنذ لقائي الاول به ولحد الآن فان العود بالنسبة لي جزء لا يتجزأ من كياني لسنين عديدة وخاصة ايام دراستي والمجال الثاني، التأليف لآلة العود ولدي ما يقارب (١٥٠) دراسة اكاديمية لآلة العود اتمنى ان تنشر قريباً و(٢٠) مؤلفاً ولدي العديد من الدراسات بخصوص العود وصناعته وقد استفدت كثيراً من دراستي للرياضيات والفيزياء في هذا المجال.

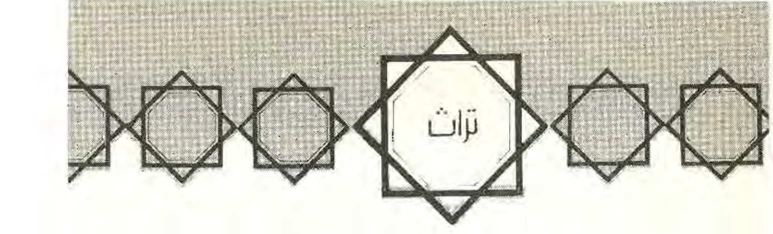
طريقة التدوين

■ ... وماذا عن اختراعك لطريقة التدوين الموسيقي الجديدة؟

- ان الطريقة المتبعة حالياً في تدوين الموسيقى (عالمياً) عمرها (١٠٠٠) عام تقريباً وهي عن طريق رموز وقواعد (بحدود ٢٠٠٠) رمز لا يمكن تعلمها الا من خلال دراسة منهجية طويلة كما ان مفرداتها (كالعلامات والمفاتيح وغيرها) تعتبر غريبة بالنسبة للناس الذين ليست لهم علاقة بالموسيقى وهذه الطريقة هي بالاساس انجاز غربي ولكي تلائم موسيقانا الشرقية اضفنا علامات معينة زادت من صعوبتها كما انها تحتوي على ثغرات يعرفهاجيداً المختصون في مجال التدوين الموسيقي ومن هذه النقطة بدأت التفكير في ايجاد وسيلة اخرى للتدوين حتى تمكنت من ذلك، وطريقتي في التدوين تعتمد على ثلاثين رمزاً فقط يمكن بواسطتها تدوين جميع انواع الموسيقى من شرقية وغربية وبصورة ادق من الطريقة المتبعة حالياً علماً بأن هذه الرموز المستخدمة في هذه الطريقة هي من واقع الحياة اليومية وهي مفهومة تماماً حتى بالنسبة لمن لا يجيد القراءة والكتابة او يعرف الموسيقى ولمختلف الاعمار.

■ ... وهل لهذه الطريقة من تطبيقات معينة؟

- نعم هنالك العديد من النتائج والتطبيقات لهذه الطريقة وهي ذات اهمية كبيرة جداً ولا يمكنني ان اتحدث عن جميع تلك التطبيقات والنتائج لان ذلك يحتاج الى عشرات الصفحات ولكني اوجز فأقول بأن للطريقة تطبيقات صناعية في مجال الاتصالات وغيرها ومن نتائجها جهاز تعليم المكفوفين الذي يكلف ثلاثة دنانير عراقية فقط بينما الجهاز المستخدم حالياً (من صنع غربي) ويكلف بحدود الف وخمسمائة دينار عراقي علماً بأن الجهاز المخترع من قبلي فيه مواصفات افضل بكثير من الجهاز الغربي ولطريقتي تطبيقات في المجال التربوي والاقتصادي. هذا بالاضافة الى نتائج استخدمها في المجال الاساسي وهو مجال العلوم الموسيقية التي تقوم هذه الطريقة بتذليل الكثير من الصعوبات التي يواجهها دارسو الموسيقى المختصون، وخاصة في مجال النظرية الموسيقية والتوزيع الآني وعلم التوافق الصوتي (الهارموني) وغيرها.



لكل مثل حكاية

ـ لا تجعلنّ بجنبك الا سدّة .

ـ قال ابو الفضل الميداني :

قلت : هذا مثل يقع فيه التصحيف ، فقد روى بعض الناس :

ـ لا تحفلن بجنبك الاشد .

ويحمل له معنى يبعد عن سنن الصواب ، وقد تمثل به ابو مسلم صاحب الدولة حين ورد عليه رؤبة بن العجاج وانشده شعره ، ثم قال له ابو مسلم .

ـ إنك اتيتنا والاموال مشفوهة والنوائب كثيرة ، ولك علينا معوّل ، والينا عودة ، وانت لنا عاذر ، وقد امرنا لك بشيء وهو وتح ـ شيء قليل ـ فلا تجعلنّ بجنبك الا سدّة .

هكذا اورده السلامي في تاريخه ، فإن الدهر اطرق مستتب ، ثم دعا بكيس فيه الف دينار فدفعه اليه .

قالَ رؤبة ; فوالله ما ادري كيف اجيبه؟

قال الجوهري : السدّ بالفتح ـ واحد الاسدّة ، وهي العيوب مثل العمى والصمّم والبكم ، جمع على غير قياس ، وكان قياسه سدوداً ، ومنه قولهم :

لا تجعلن بجنبك الاسدّة ، اي لا يضيقنّ صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم او بكم ، قال الكميت :

وما بجنبيّ من صفح وعائدةٍ
عند الاسدّة ان العيّ كالعضْب

يقول : ليس به عيّ ولا بكم عن جواب الكاشح . ولكني اصفح عنه ، لان العيّ عن الجواب كالعضب ، وهو قطع يد او ذهاب عضو .

نحن لا ندافع عن
لانها عربية هاشمي
او لانها اميرة من
الحاكم ، ولكن الرواية الشع
متهافتة ، ولا تقف اما
التحليل ، بل ان مؤرخين
يذكرونها باستهزاء وسخر
ذكره (مسرور) خادم (الرش
المقربين اليه ، يشير بوضو
الموالي الفرس في وضع



الكتبة والشعراء بمثل هذا الخبر الكاذب، فقد الف (جورجي زيدان) رواية (العباسة اخت الرشيد)، وكتب (عدنان مردم بك) مسرحية شعرية بعنوان (العباسة) وتميل الباحثة الدكتورة زاهية قدورة الى تصديق هذه الرواية وبذلك تنضم الى زيدان ومردم بك.

بقي ان نعرف ان (العباسة) كانت متزوجة من (محمد بن سليمان بن علي) وهو من رجالات قريش وشجعانهم. وقد ولاه ابو جعفر المنصور البصرة والكوفة. ولما تولى المهدي الخلافة من بعده زوجه ابنته (العباسة) وقد توفي زوجها في خلافة اخيها الرشيد سنة ١٧٣ هـ وكان عمره يوم توفي احدى وخمسين سنة وخمسة اشهر واذا علمنا ان سقوط البرامكة كان عام ١٨٧ هـ فيكون عمر (العباسة) قد تعدى الخمسين حتى لو كانت اصغر من زوجها بعشر سنوات. وقد لا يكون لامرأة قد تجاوز عمرها الخمسين الميل للرجال، وليس لها ارب في الزواج بعد هذا السن... وخاصة على امرأة مثل العباسة... في دينها... ومكانها... وبيتها. فحكاية تزويج العباسة من جعفر البرمكي لا تعدو ان تكون حكاية مختلقة، وضعها الاعاجم للطعن في العرب عامة، وفي هارون الرشيد خاصة، ولكي يجعلوها سبباً في «نكبة» البرامكة.

وتعزو رواية شعوبية اخرى سقوط البرامكة الى ميلهم الى حرية الرأي والمناقشة في مجالسهم حيث يحضرها المثقفون واصحاب الرأي من كل فئة، ويتجادلون في امور السياسة والفقه والدين والكلام، وان هذه المناقشات لم تعجب الرشيد الذي ادرك خطرها.
وهكذا تحاول هذه الرواية الشعوبية ان تجعل من البرامكة الزنادقة، مفكرين احراراً ذهبوا ضحية لتعسف السلطة العباسية!

ولا تقف الرواية الشعوبية عند هذا الحد، بل تمضي الى القول بأن «نكبة البرامكة» كانت ايذاناً بتدهور الدولة العباسية وبداية للعد التنازلي نحو السقوط، وكأن هذه الشخصيات الثلاث من آل برمك كانت تمسك بزمام الامور بكفاءة وقدرة عاليتين، وليس هناك من يوازيهم.

والواقع يؤكد ان سقوط البرامكة لم يؤثر في شؤون الدولة، بدليل ان الرشيد نشط في حروبه ضد البيزنطيين بعد الايقاع بالبرامكة، وانه ابدى همّة عالية في ادارة امور الدولة.

واخيراً، فقد صورت الرواية الشعوبية سقوط البرامكة وكأنه نكبة دامية ومجزرة مأساوية، والواقع ان الرشيد لم يقتل الا جعفراً من البرامكة، وامر بسجن يحيى والفضل، اما بقية العائلة البرمكية، فلم يمسسها احد بسوء، واكثر من ذلك، فأن الرشيد ترك اعوان البرامكة ومريديهم وشعراءهم يرثونهم بقصائد مطولة دون ان يقيد من مشاعرهم هذه او يمنعهم... وقد شاعت في حينه قصيدة الرقاشي شاعر البرامكة:

على اللذات والدنيا جميعاً
ودولة آل برمك السلام

وبهذا غدا البرامكة وسلطتهم (دولة)!! وليس مجرد «وزارة»! فتأمل.

الخاتمة

ان سقوط البرامكة، لم يكن وليد انفعال مفاجيء او قرار متسرّع من قبل الخليفة هارون الرشيد، بل كان تدبيرا مخططاً له منذ عام ١٧٣ هـ ولدته احداث تراكمت على بعضها لانهم استبدوا بالامور وامضوها على غير رأي الرشيد، ولعل في مقدمة تلك الاسباب، عملهم على فتح ضمانات للدخلاء والعملاء في جميع مرافق الدولة، وتوفير الرخاء الاقتصادي للاقلية الشعوبية، واستغلال الحكم لمصالح الشعوبية الحاقدة واحتضانهم لبعض الاسر المجوسية الفارسية مثل (آل سهل)، والتصرف الشائن بأموال المسلمين في شؤون شخصية كالدعاية ومجالس اللهو والبذخ المفرط، وايقاد مجامر النار في الكعبة، والتمسك بعبادات المجوس وتقاليدهم وتقديسهم لايوان كسرى واذا علمنا ان البرامكة كانوا على دين (ماني) يظهرون الاسلام، ويكنون الكيد له، ادركنا ما كانوا يرمون اليه من اطاحة بالحكم العربي، وطمس لمعالم الدين الاسلامي ولا يحيق المكر السيء الا بأهله... وكفى بالله نصيرا.

(أنتهى)

أسرار اللغة العربية

يجيء مصدر افعلت على «إفعال».
تقول: اكرمت اكراماً، واعطيت اعطاء، والالف مقطوعة، وفي المعتل على «افعالة».
نحو: اقمته اقامة، واجلته اجالة، وانما زيدت الهاء فيه تعويضاً مما ذهب منه، والذاهب من موضع العين من الفعل.
ويجيء مصدر فعلت على التفعيل والفعال، نحو:
كلمته تكليماً وكلاماً، وكذبته تكذيباً وكذابا، وجمّلته تجميلا وجمالاً، وفي ثبات الياء والواو على تفعله نحو: عزيته تعزية، وقويته تقوية.
ويجيء مصدر فاعلت على مفاعلة وفعال، وعلى فيعال نحو: قاتلته مقاتلة وقتالاً، وجالسته مجالسة، وقاعدته مقاعدة، وجادلته مجادلة.
ويجيء مصدر تفعلت على التفعل، يقولون:
تقولت تقولاً، وتكذبت تكذباً، والذين يقولون ـ كلمته كلاماً، يقولون: تحملت تحمالاً.
ويجيء مصدر افتعلت على افتعال نحو: اقتتلنا اقتتالاً، واحتبست احتباساً.
ويجيء مصدر انفعلت على انفعال. نحو: انطلقت انطلاقاً، وانصرم الشيء انصراماً.
ويجيء مصدر استفعلت على استفعال نحو: استخرجت، استخراجاً.
ويجيء مصدر افعللت على افعلال، نحو: احمررت احمراراً، واسوددت اسوداداً.
ويجيء مصدر افعاللت على افعيلال: نحو: اشهاببت اشهيباباً.
ويجيء مصدر افعَولت على افعوّال نحو: اجلوّذ اجلواذاً.

من عيون الشعر العربي

■ قال جزء بن طرار الغطفاني:

اتاني فلم اسرر به حين جاءني ... حديث بأعلى القنّتين عجيب
تصامَمته لما اتاني يقينه ... وافزع منه مخطيء ومصيب
وحدثت قومي احدث الدهر فيهم ... وعهدهم بالحادث قريب
فإن يك حقاً ما اتاني فإنهم ... كرامٌ اذا ما النائبات تنوب
فقيرهم مبدي الغنى وغنيهم ... له ورق للسائلين رطيب
ذلولهم صعب القياد وصعبهم ... ذلول بحقّ الراغبين ركوب
إذا ارتفعت اخلاق قوم مصيبة ... تصفّى لهم اخلاقهم وتطيب
ومن يغمروا منهم بفضلٍ فانه ... إذا ما انتمى في آخرين نجيب

■ وقال جعفر بن علبة الحارثي:

الا لا ابالي بعد يوم بسحبل ... اذا لم اعذب ان يجيء حماميا
تركت بجنبي سحبل وتلاعه ... مراق دم لا يبرح الدهر ثاويا
اذا ما اتيت الحارثيات فانعني ... لهنَّ وخبرهن انْ لا تلاقيا
وقود قلوصي بينهنَّ فإنها ... ستضحك اكباداً وتبكي بواكيا

■ وقال احد رجال بني أسد:

اقول لنفسي حين خوّد رألها ... مكانك لما تشفقي حين مشفق
مكانك حتى تنظري عمّ تنجلي ... عماية هذا العارض المتألق
وكوني مع التالي سبيل محمّد ... وان كذبت نفس المقصّر فاصدقي
لعمرك ما اهل الاقيداع بعدما ... بلغنا ديار العرض منا بمخلق
نقاتل من ابناء بكر بن وائل ... كتائب تردي في حديد ويلمق
إذا قال سيف الله كروا عليهم ... كررنا ولم تحفل بقول المعوق



المنبر



هذه الصفحة
منبر حرٌ لمحرري
المجلة واصدقائها المؤمنين
بخطها، يطلّون منه بآرائهم في
مختلف جوانب الحياة العربية
وليس بالضرورة ان تعكس
اراؤهم سياسة المجلة.

بين الادب والسياسة

العرب بين الحرب وحرب الانتخابات في اليونسكو



عزيز الحاج

سألني صاحبي:

«وما اخبار المعارك الانتخابية في اليونسكو والموقف العربي منها؟» فأجبته: «لخّص لي اولاً الموقف العربي من الحرب العراقية ـ الايرانية؟»

فقال مندهشاً، «وما العلاقة»! ؟» فقلت: «لخّص اولاً! » فأجاب: «باختصار، هناك التواطؤ الغادر المكشوف، والتواطؤ غير المكشوف، والصمت المشبوه، والصمت المتخاذل، وبضعة مواقف مشرّفة هي التي تمثل الضمير العربي الاصيل... دماء العراقيين تراق وثمة من يتحدث عن «الجار المسلم». والصواريخ والقنابل الفارسية تحصد الاطفال وتهدم المدارس في البصرة وفي عاصمة الرشيد، وثمّة من يطالب بادانة العراق، وآخرون يحشون آذانهم قطناً من الجبن... وايران تعتدي على غير العراق ايضاً وتنتهك حرية الملاحة في الخليج، وتتحالف عسكرياً مع الصهاينة، وتصدّر (الفلاشا) الى الكيان الصهيوني، ولكن اصواتاً عربية عديدة تواصل الثرثرة الباغية اللئيمة والهجينة عن «مقارعة ايران للامبريالية والصهيونية» وعن «الثورة الايرانية»؟ وهكذا، وهكذا من غرائب ما ابتلت به الامة العربية على ايدي البعض ممن سيحاسبهم التاريخ عاجلاً او آجلاً.

فقلت:

«ان المواقف العربية من ازمة منظمة اليونسكو هي من هذا الوضع العربي المريض، الضعيف، والمأساوي. فالى جانب الضمائر الحية والشجاعة دفاعاً عن بقاء المنظمة وعن مصالح العرب ودورهم فيها، فان هناك المنساقين وراء مناورات هدم المنظمة والغاء الدور العربي فيها. ويا ليتهم قادرون على منحها بعض الحقن المسكنة اذا انهارت.

وكما بالنسبة لموضوع الحرب، فان المنطق هنا غريب، والمغالطة التشويشية مستفحلة في منظمة يفترض انها منظمة للفكر والضمير العالميين، ومنبر لحرية التعبير والتفكير...... فكما ان العراق المعتدى عليه يصبح في نظر البعض هو المعتدي، وايران الاجرامية التوسعية تصبح الحليف المطلوب، والتحالف الايراني مع بني صهيون يعتبر عند البعض مبرراً لدعم هذا التحالف او تبريره بمنطق مفلوج، فهكذا في اليونسكو ايضاً، يصبح التجاوز على قضية القدس وعلى الموضوع الفلسطيني داعياً الى دعم المتجاوزين، ويتحول الانحياز لايران الى «كفاح الجنوب ضد الشمال»!، والتخلي عن مصالح العالم الثالث يصير «رمزاً لمصالح العالم الثالث»!! واما العمل لالغاء الدور العربي المستقل فانه شرط من شروط «التضامن» مع بعض الاصدقاء... وان السعي لمآرب شخصية ولمنافع قطرية يعتبر اولى دلالات «الموقف الثوري في التصدي للاميركان»... وبموجب الاعلام التشويشي، المدعم بالاكاذيب والشائعات، وروح التحريف، تختفي الطموحات الشخصية الحادة تحت خيمة قضايا الشعوب والقارات، لتصبح «قضايا مصيرية». وأما الرجال المستقيمون، الاشداء في دفاعهم عن الحق العربي فانهم في نظر هذا الاعلام الخبيث المغرض ينقسمون الى «متطرف» و «مغرض»!.

... ولو أردت لأسهبت بذكر التفاصيل والأمثلة. ولكنني اعتقد بأن هذه اللمحة كافية... فماذا تقول؟»

فأجاب بحزن غاضب:

«كفى! أعتقد انني بدأت افهم».

مدن عربية

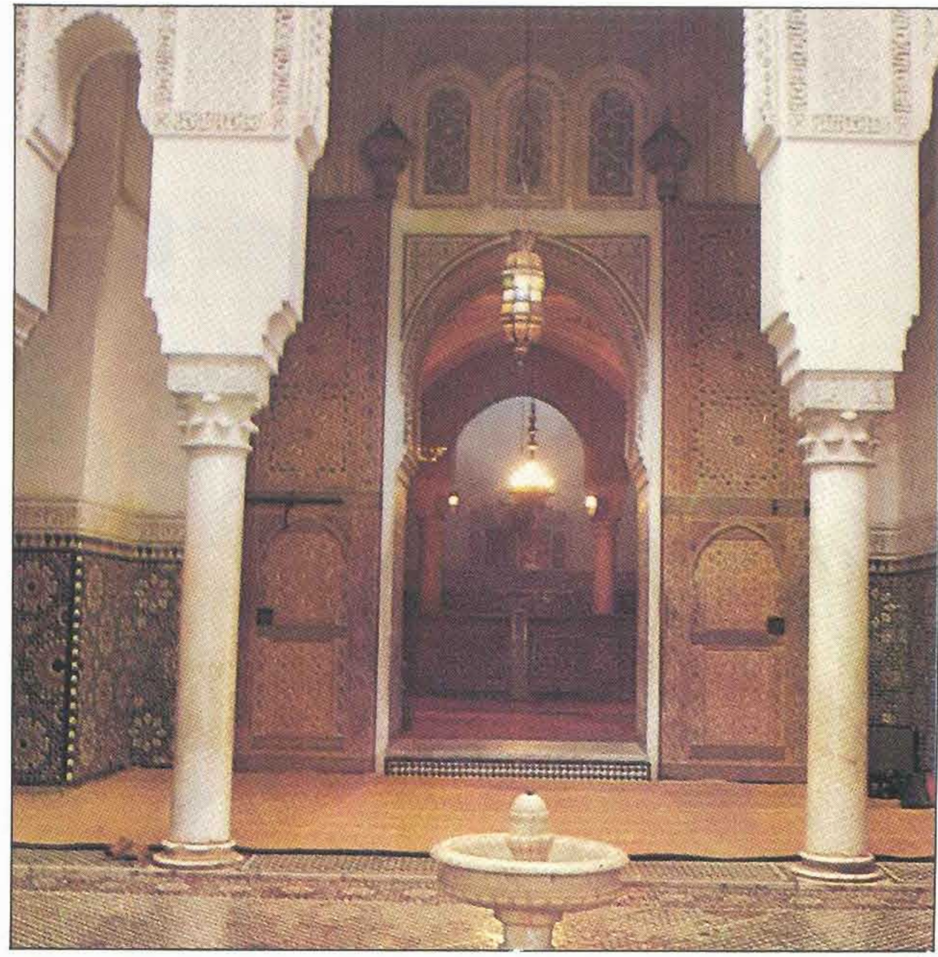
مكناس
صورة الماضي في العمران

للتعرف على مدينة مكناس المغربية، لا بد من زيارة ضريح مولاي اسماعيل، السلطان الذي تأسست المدينة في عهده خلال القرن التاسع للهجرة، ذلك لان هذا الضريح، فضلاً عن مكانته التاريخية، انما يسجل حقبة حضارية من تاريخ هذه المدينة وعمرانها واسس القيم المعمارية السائدة فيها، هذا بالاضافة الى حصنها الشهير الذي له عدة ابواب، ابرزها باب المنصور الذي يتضح شكله في الصورة المرفقة.

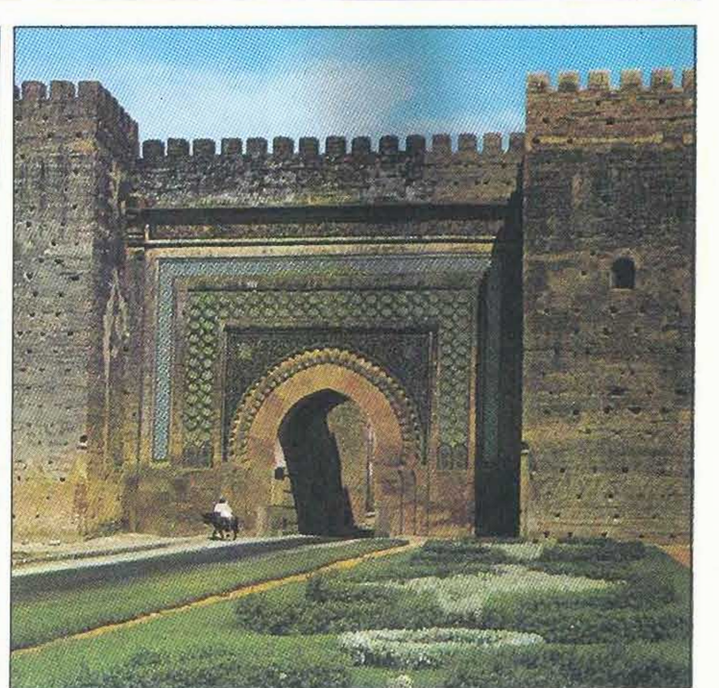
ومثل عشرات المدن المغربية فان مدن مكناس زاخرة بتراث معماري في تتجلى فيه اصول العمارة العربية في الزخارف والاقواس والكتابات العربية على الجدران والابواب والسقوف، فضلاً عن نماذج النافورات التي تتوسط الدور والساحات.

اسواقها هي الاخرى من نمط الاسواق العربية التقليدية التي نجد لها الكثير مما يشابهها ليس في مدن المغرب فحسب، بل في اغلب مدن الوطن العربي، بطريقة تسقيفها ودكاكينها وعرض بضائعها، ومكناس مدينة يؤمها السواح وعشاق الفن العربي وزخارفه واشكال عمارته، نظراً للمتعة الهندسية والجمالية التي تتمتع بها.

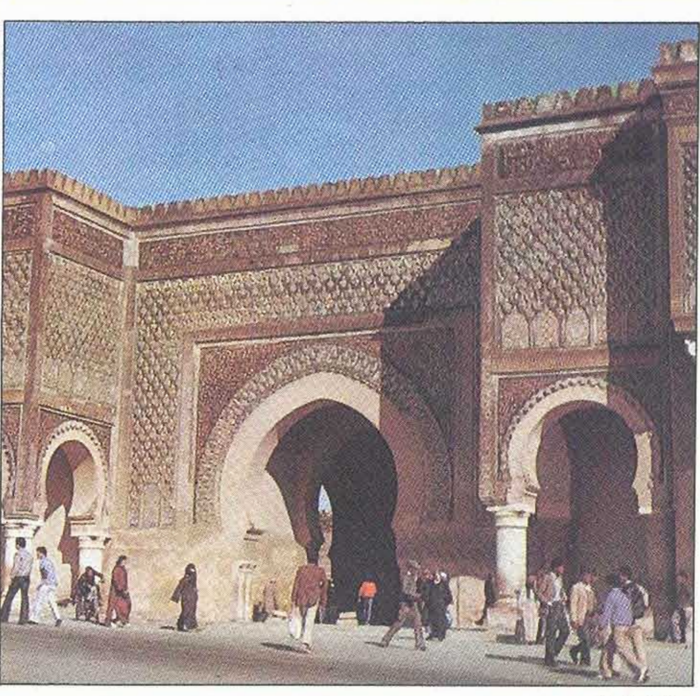
الغلاف الاخير / ضريح مولاي اسماعيل مؤسس مدينة مكناس



شكل النافورة التي تتوسط البناء



باب المنصور



مدخل المدينة


M 1163 - 232 - 7,00 F
3791163007001 02320